الجمهورية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر- باتنة-

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ وعلم الآثار

دور الطـرق الصوفيـة في منطـقة الأوراس 1844-1931

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

تخصص تاريخ الأوراس

إعداد الطالب :
حنفوق إسماعيل

إشراف الدكتور :
صالح فركوس

أعضـــاء لجنـــة المناقشـــة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفـــة
أ.د مصطفى حداد	أستاذ التعليم العالي	باتنة	رئيسا
د.صالح فركوس	أستاذ التعليم العالي	قالمة	مشرفا ومقررا
د. الجمعي خمري	أستاذ التعليم العالي	باتنة	عضوا مناقشا
د. علي أجقو	أستاذ التعليم العالي	بسكرة	عضوا مناقشا

السنـة الجامعيـة
2010- 2011

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله وكفى والصلاة على المصطفى سيدنا محمد الرسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين

شكـــــر وعرفـــــان

إلى الأستاذ الفاضل الدكتور صالح فركوس أقدم أخلص الشكر ووافر الامتنـان
على كل ما قدمه لي من توجيهات ونصائح ومعلومات التي ساعدتني كثيرا
لإخراج هذا البحث إلى النور.
إلى أخي حسين وزوجته – عبلة – التي كانت سندا وعضدا لي في هذا البحث
وعلى صبرهما علي طوال فترة انجازه.
إلى جميع أساتذة قسم التاريخ بجامعة باتنة
شكر تقدير وعرفان.

إسماعيل

الإهـــــــداء

إلى الذين سقوا بدمائهم شجرة الحرية فجنينا نحن ثمارها شهداء المقاومة والثورة.

إلى أبي وأمي مصدر العطاء ومنبع الحنان.

إلى أخي مسعود و ابني عماد وإخوانه وكل أهلي.

إلى كل من قدم لي يد المساعدة من بعيد أو قريب.

اهدي هذا العمل المتواضع.

إسماعيل

المقدمة

مقدمـــــة

ظهر التصوف في بلاد المشرق الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري(الثامن الميلادي) ومنه انتقل إلى بلدان المغرب الإسلامي والأندلس،أين ظهرت المدارس الصوفية بالجزائر ابتداء من القرن الثامن الهجري الموافق ل (الرابع عشر ميلادي) في عدد من المدن الكبرى والأرياف ،واستقطب معظم الشرائح الاجتماعية، وبذلك أصبحت الطرق الصوفية من الموضوعات التي تشغل بال الكثير من الناس والعديد من الباحثين والدارسين داخل الجزائر وخارجها .

والحق أن للطرق الصوفية أهمية بالغة في الإسلام لأنها تمثل الجانب العملي من التصوف، وهو جانب ارتبط بحياة المجتمعات الإسلامية إذ يسجل التاريخ للكثير من هذه الطرق مواقف شجاعة إزاء مواجهة العدو ورد الظلم والاهتمام بالطبقات المستضعفة،فشكلت بمختلف أنواعها خلال القرن التاسع عشر وعاءاً ثقافيا احتمي به الشعب الجزائري ،ومن بين الطرق التي لعبت دورا أساسيا في منطقة الأوراس من الناحية الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية الطريقة الرحمانية والقادرية باعتبارهما الأكثر انتشارا خاصة الأولى منها،وإذا كان الغزو الفكري والثقافي في حقيقة أمره يمثل روح الاستعمار ومحركه الأساسي فحشد لذلك كل طاقاته فكريا وماديا لنسف مقومات المجتمع وضرب مؤسساته الفكرية والثقافية لما تمثله من عمق تاريخي وحضاري وعنوان للهوية الجزائرية.

إن هذا التحدي الاستعماري وجد أمامه في القرن التاسع عشر في منطقة الأوراس جدار صلب تمثل في مقاومته من طرف الطرق الصوفية والزوايا،ولهذا يحتل موضوع التصوف ودوره أهمية كبرى في حياتنا الفكرية المعاصرة،إذ أنه من القضايا الشائكة والمعقدة في تاريخنا الثقافي والديني ،فالكثير من الباحثين مازال يتردد بين الإعلاء من قيمة هذه الظاهرة الدينية وبين الحط منها ،وربما يعود ذلك إلى ارتباطها بميول النفس البشرية ،فالبعض يرى أن الحركة الصوفية وتراثها في الجزائر ليست مؤسسة على المعرفة الصحيحة والبحث الموضوعي ، فيرون فيها الجمود والتحجر على علوم روحية مضى عهدها ولم يبق منها سوى آثار تتمثل في مزارات وأضرحة، أوفي كتب صفراء يصعب على الكثيرين فهمها أو في تظاهرات دينية وتلاوة أوراد وأدعية...والبعض يعتبرها أحد المعالم الرئيسية البارزة وظاهرة دينية روحية واجتماعية وسياسية هامة في تاريخ الجزائر،فمن أي زاوية تناولناها وجدنا الكثير من الفوائد التي تساعدنا على فهم الكثير من الحقائق.

ولذا فإن دور الزوايا في منطقة الأوراس يمكن تقسيمه حسب فترة دراستنا لهذا الموضوع إلى مرحلتين أساسيتين:فالأولى إيجابية امتدت من سنة 1844 م تاريخ بداية الاحتلال لمنطقة الأوراس إلى غاية سنة 1879م الذي يمثل آخر ثورة عرفتها المنطقة خلال القرن التاسع عشر،وتميزت هذه المرحلة بالمقاومة المتتالية لفرنسا.

أما الثانية فتبدأ من نهاية الأولى وتعد من أخطر المراحل لأن منطقة الأوراس انهارت وتم تدجين الكثير من الطرق والزوايا التي شابها الكثير من السلبية بعد أن عرفت فرنسا أنها وراء تلك الانتفاضات والثورات،وهو الأمر الذي يعرقلها على تكريس مشروعها الاستعماري إلى غاية ظهور جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م، والتي سعت إلى الإصلاح وإعادة الإسلام إلى صفائه ،ومحاربة كل الشوائب التي علقت به،ولذا وجد الأوراسيون أنفسهم أمام تحدي كبير وضخم فرض عليهم أحد الأمرين:

إما الرضوخ والاستسلام لإرادة المستعمر والقبول بواقع التدجين الثقافي والاجتماعي ضمن المنظومة الفكرية الاستعمارية، أو رفضه ومقاومته دفاعا عن الشرف والدين والوطن.

دوافع اختيار البحث:

إن هذا البحث جاء بتحريك جملة من الدوافع والأسباب:

- إن المتأمل في تاريخ الأوراس الحديث والمعاصر وتاريخ الحركة الوطنية خاصة، يلاحظ جل الكتابات غلب عليها الاهتمام بالجانب السياسي والمقاومة، في حين ظلت المؤسسات الدينية والزوايا في حاجة أكيدة إلى المزيد من الأضواء خاصة الجانب الديني و الثقافي والاجتماعي والاقتصادي.

-غياب دراسة تاريخية علمية تنفرد بالحديث عن الطرق الصوفية والزوايا بمنطقة الأوراس وتثرى أفكارها بمنهج علمي ورؤى موضوعية باستثناء ما ذكره الفرنسيون في مذكراتهم أو مقالاتهم وكتبهم.

- إن الطرق الصوفية من حيث وجودها وتنظيمها في منطقة الأوراس سابقة لظهور الأحزاب السياسية في الفترة التي ندرسها، لذلك لابد من معرفة تاريخ ظهورها ودورها في حياة المجتمع الأوراسي ،اعتبارا من أن الدين من المسائل الحيوية والحساسة ،فحاولت معرفة الأساليب والمجالات والصور والأشكال التي ظهر بها خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ثم كيف عملت السلطة الاستعمارية على توظيفه لخدمة مصالحها .

إشكالية البحث:

من خلال الدوافع السابقة أردنا الخوض في موضوع دور الطرق الصوفية وما قدمته للمجتمع الأوراسي، فهل اقتصر دورهم على التحرير الذاتي وتطهير النفس أم تعدى إلى المقاومة والجوانب الأخرى؟وبمعنى آخر أردنا أن نبين طبيعة الطرق الصوفية ومفاهيمها على المستوى السياسي والعسكري والاجتماعي والثقافي والاقتصادي في الفترة الممتدة ما بين 1931/1844.

ثم ما مدى نجاح وفشل هذه الطرق فى تحقيق أهدافها؟.وماذا تمثل الزوايا بالنسبة لسكان الأوراس،وما تأثيرها عليهم،ثم ما هي طبيعة العلاقة القائمة بين الزوايا والاستعمار فهل هي رضوخ بعد فشل أم ضرورة أملتها ظروف قاهرة،ثم طبيعة العلاقة القائمة بين الطرق الصوفية والحركة الإصلاحية وصولا إلى المجهود الأيديولوجي الذي قدمته الطرق و الزوايا بمنطقة الأوراس،ومدى استجابته مع العمق التاريخى للمنطقة والطموح الجماهيري،تلك تساؤلات كبرى تشكل محور إشكالية الموضوع الذي نحن بصدد دراسته.

منهج البحث:

إن المنهج الذي وظف في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي والتحليلي والمقارن للأحداث التا ريخية ولدور الطرق الصوفية خلال المرحلة التاريخية المحددة للموضوع.

دراسة المراجع:

الأرشيف:

-تقرير الثلاثي الثاني المقدم من حاكم قسنطينة إلى الحاكم العام بالجزائر سنة1855 عن الإخوان من أرشيف اكس- بروفنس بفرنسا،ومخطوط من زاوية منعة حول نسب عائلة بن عباس،ومخطوط آخر من زاوية الهامل خاص بشرح ألفاظ مقدمة الشيخ عبد الله الجرو مي كتبه الشيخ الحفناوي.

ولإثراء البحث والتوسع فيه انتقلنا إلى زوايا منطقة الأوراس والزيبان خاصة التي مازلت تعمل إلى يومنا هذا، انطلاقا من زاوية الهامل ببوسعادة وضريح خالد بن سنان، ثم زاوية أولاد جلال وطولقة وخنقه سيدي ناجي ،ومنعة ومشونش وسريانه ...لكن للأسف لم نجد فيها ما يشفي غليلنا في هذا البحث فكل المخطوطات والكتب تتناول الجانب الديني العقائدي الفقهي ولم نعثر على وثائق تتكلم عن الدور الذي قدمته هذه الزوايا الا القليل.

ولذا فقد اعتمدنا في بحثنا هذا على جمع وتحليل بعض الشذرات الواردة في ثنايا الكتب التي تشير الى منطقة الأوراس، باستثناء ما قدمته المجلات والأبحاث التي قامت بها جمعية أول نوفمبر، وبعض الكتب التي كتبها أشخاص بدون أسلوب أكاديمي، هذا إلى جانب اعتمادنا على مراجع متنوعة نذكر منها: كتاب (الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي) لعبد الحميد زوزو بجزئية الأول والثاني، وهي دراسة أكاديمية تفصيلية اعتمد فيها على الأرشيف الفرنسي ،ثم كتاب شارل روبير آجرون (الجزائريين المسلمين وفرنسا 1919/1871) ، ثم كتاب لويس رين (المرابطين والإخوان) وكتاب إيفون تيران (المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة**)** وكتاب صلاح مؤيد(الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر)،وكتاب (نشأة المرابطين) لمختار فيلالي ،وكتب أبو القاسم سعد الله و ويحي بوعزيز،ثم تقرير الحكومة العامة حول الجمعيات الدينية في الجزائر سنة 1951.

إلى جانب بعض المجلات التي تصدرها بعض الزوايا في منطقة الأوراس ،أما الرسائل الجامعية فكان أهمها رسالة محمد شرقي حول الطريقة الرحمانية ودورها في المقاومة الوطنية ،وعن الدوريات فقد اعتمدنا بشكل كبير على مجلة التراث وبعض الملتقيات الدولية والوطنية والمحاضرات التي لها علاقة بالموضوع .

صعوبـات البحـث:

- نقص المادة التاريخية العلمية المتخصصة المكتوبة في هذا الموضوع نظرا لتركز جل جهود الكتابة على الجانب العقائدي الديني للطرق الصوفية والزوايا بمنطقة الأوراس، وقليلاً عن الجانبين السياسي والعسكري لهذه الطرق، وبقائها حبيسة إلا ما ورد عرضا ،والمراجع التي عالجت هذا الموضوع كانت عامة لا تمس الأوراس إلا في أسطر قليلة.

- انعدام الجانب التاريخي في مكتبات الزوايا رغم أنني قمت بزيارتها واحدة بواحدة سواء التي مازلت قائمة، أو التي بقيت هياكل فارغة، أو التي اندثرت وبقيت حطام،ثم أن المناطق النائية والريفية تاريخها غير مكتوب والرواية الشفوية تفتقر إلى الدقة ويغلب عليها الطابع الأسطوري.

- التجاذب الفكري والأيديولوجي المرتبط بالموضوع بين تيارات الطرق الصوفية وزواياها وشيوخها،وصناع الحركة الإصلاحية وهذا ما شكل لدي صعوبة بالغة التعقيد لبناء رؤية توفيقية حول الموضوع خاصة في الثلث الأول من القرن العشرين.

- أضف الى كل هذا اتساع فترة البحث من (1844-1931).

خطة البحث:

إن المصادر والمراجع الآنفة الذكر تخطينا بها بعض الصعوبات التي واجهتنا،وفي نفس الوقت مكنتنا من صياغة خطة لهذا البحث، حيث قسمناه إلى مدخل و ستة فصول:تناولنا في **المدخل** لمحة وجيزة عن منطقة البحث كالمجال الجغرافي والتسمية والتضاريس والسكان.

أما في الفصل الأول فخصصناه للتصوف قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر،ومن خلاله حاولنا التعريف بماهية الطرق الصوفية والزوايا ونشأتها وظهورها بالمشرق العربي، وانتقالها إلى المغرب العربي ثم حالة التصوف في العهد العثماني بالجزائر وأنواع الطرق الصوفية ،و تاريخ دخوله إلى منطقة الأوراس في العهد العثماني وأهم الطرق والزوايا.

أما **الفصل الثاني** فخصصناه لأبرز الطرق التي عرفتها منطقة الأوراس وأهم الزوايا من حيث النشأة والعدد والانتشار في العهد الاستعماري،مركزين على الطريقة الأكثر انتشارا وهي الرحمانية التي سيطرت بزواياها على الأوراس والزيبان.

أما **الفصل الثالث** فقد خصصناه كاملا لدور الطرق الصوفية والزوايا في المقاومة بمنطقة الأوراس مشيرين في البداية إلى مقاومة أحمد باي والأمير عبد القادر، اللذين شكلا أرضية للمقاومة التي تلتها بقيادة رجال وشيوخ الزوايا انطلاقا من انتفاضة أولاد جلال سنة 1847م التي ساندت ثورة الشيخ بومعزة ووقفت بجانبه بعد لجوئه إلى زاوية الشيخ المختار الجيلالي، ثم ثورة الزعاطشة عام 1849م بعد إعلان فرنسا أن الجزائر قطعة من التراب الفرنسي، وكانت منطقة بسكرة أقصى نقطة وصلها الاحتلال في الجنوب بعد استسلام الأمير عبد القادر وأحمد باي، والتي قادها الشيخ بوزيان ،تليها ثورة الصادق بلحاج سنة 1859م بجبل احمر خدو والذي اتجهت إليه الأنظار بعد استشهاد الشيخ بوزيان وسي عبد الحفيظ الخنقي ومحمد الصغير بلحاج، ليصبح الوريث الشرعي لمنصب شيخ الطريقة الرحمانية ،ثم أشرنا الى علاقة ثورة 1871م بالأوراس ،إذ نجد الشيخ الحداد يراسل أعراش الأوراس خاصة الغربية منها يدعوها للجهاد فلبت النداء،أما آخر ثورة في القرن التاسع عشر عرفتها منطقة الأوراس فهي ثورة 1879م بقيادة محمد أمزيان ،والتي ملأت الفراغ بعد فشل الثورات السابقة وهي ثورة ضد فرنسا والقيّاد ،وفي خضم هذه المقاومات ركزنا على أسباب ومراحل ونتائج كل ثورة بصفة عامة ، دون أن ننسى ثورة 1916م التي تناولناها ليس من باب أنها مقاومة تزعمها رجال الطرق الصوفية، وإنما حاولنا التركيز على دور فرنسا التي سعت بمختلف الطرق أن تنسبها إلى الرحمانيين،فهل كان لرجال الزوايا دور في هذه الثورة أم على العكس كانوا ضدها؟ أم أن هذه الثورة كانت شعبية أوراسية لا علاقة للطرق الصوفية بها.

أما **الفصل الرابع** فقد تطرقنا فيه إلى دور الطرق الصوفية والزوايا من حيث الجانب العلمي والديني لما لهما من أثر على النهضة العلمية والحضارية في منطقة الأوراس ،إذ حرص رجال الزوايا على إعطاء مكانة بارزة للتعليم خاصة الديني منه ،فكان الأساس الحقيقي للمنطقة ،ثم تطرقنا إلى الدور الاجتماعي والاقتصادي لهذه الزوايا لما قدمته من خدمات اجتماعية لمواجهة الصعوبات التي حلت بالمنطقة فأصبحت المرجع الأول والأخير للجماهير،واعتبرت بذلك مركزا لوحدة القبيلة وملجأ للفقراء والمساكين ومحطة لعابري السبيل ومأوى لليتامى وقبلة للمتخاصمين ،أضف إلى ذلك دورها في التكافل الاقتصادي للأسر والقبائل والعشائر كظاهرة الملكية الجماعية للأرض والحيوانات ومياه السقي وأعمال التويزة المشتركة ،أما عن دورها السياسي فقد كانت النقطة التي تلتقي عندها جميع الأطراف

فكل الثورات نُفذت ونُظّمت بوحي منها خاصة الطريقة الرحمانية وفروعها المنتشرة في كامل الأوراس.

أما **الفصل الخامس** فقد خصصناه للحديث عن طبيعة العلاقة بين الطرق الصوفية والإدارة الاستعمارية خاصة بعد ثورة 1879م،حيث لجأت فرنسا إلى تطبيق سياسة اعتمدت فيها على مجموعة من الوسائل كمحاربة التعليم العربي والقضاء الإسلامي بواسطة محاولات التبشير والمكاتب العربية ،انطلاقا من سياسة الترهيب والترغيب لاحتواء مشايخ الطرق الصوفية واستهجانها واستمالتها وما مدى نجاحها في ذلك .

أما **الفصل السادس** فتحدثنا فيه عن وضع الطرق الصوفية من بداية القرن العشرين إلى غاية ظهور جمعية العلماء المسلمين في 05ماي 1931م،من حيث المظاهر البارزة والعلامات الدالة على بداية ضعف الطرق الصوفية، انطلاقا من فشلها في احتواء ثورة 1916م ومرورا ببوادر الإصلاح في المنطقة خاصة بعد الحرب العالمية الأولى والصراع القائم بين الطرقية وعلماء الإصلاح.

وفي ختام هذه المقدمة أقدم أعظم آيات الشكر وابلغ عبارات الامتنان للأستاذ الفاضل المشرف الدكتور صالح فركوس ،الذي كان نعم العون والسند ونعم الموجه بالقول والعمل وأشهد له بسعة الصدر وطول النفس مع الطالب (القليل التجربة والكثير التعثر)

وأنهيت هذا البحث بتسجيل أهم الاستنتاجات التي أمكنني الخروج بها من خلال دراستي لهذا الموضوع.

مدخل

التعريـــف بمنطقـــة الأوراس

01:المجال الجغرافي والتسمية

02:التضاريس والسكان

التعريف بمنطقة الأوراس

01: التسمية والمجال الجغرافي

ا- **التسمية:** إن لفظة الأوراس تعود إلى القرن السادس الميلادي، فقد ذكرها البكري والإدريسي ثم ياقوت الحموي وابن خلدون بهذا الاسم"**أوراس**"[1] وعن معنى هذه اللفظة طرحت فرضيتان الأولى لصاحبها **لو تورنو** "letourneux" والتي تذهب إلى الاعتقاد بأن أصل هذه الكلمة مشتق من كلمة أرزونة "Arzouna" والتي تعني شجرة الأرز التي كانت تغطي جبال المنطقة في القديم، ومازال هذا النوع من الأشجار ينتشر في المنطقة إلى يومنا هذا.والثانية لصاحبها **جورج مالي** "Georg Maly" فتستلهم دلالاتها من اللون الأشقر أو الأصهب[2]، وليس عندنا اليوم لكلمة أوراس هذه معنى معروف والراجح أنها تكون كلمة بربرية لها معناها عند قدماء البربر[3]،وقد أطلقت هذه التسمية كذلك على رأس قمة مرتفعة "راس أسرذون[4] التي يقع جنوب غرب خنشلة.

ب - المجال الجغرافي: إن المجال الجغرافي لموضوع دراستنا "الأوراس"، يقع في الجهة الشرقية للجزائر أي ضمن الإقليم الأوسط "إقليم الهضاب العليا" ، يمتد من جبال بوطالب و الحضنة الشرقية غربا, أي من مدينة مدوكال قرب مدينة بريكة جنوبا إلى منطقة أولاد سلام شمالا، وتبسة شرقا[5] أي من مدينة نقرين جنوبا إلى الشريعة شمالا، ويحدها شمالا قسنطينة وجنوبا بسكرة، وهي منطقة محصورة داخل مساحة خماسية الأضلاع، تبلغ 30000 كم^2 .[6] (**أنظرالملحق رقم01**) والأوراس في مجموعها تشكل كتلة جبلية ضخمة ذات تضاريس معقدة،أعتبرت همزة وصل بين الأطلس التلي والصحراوي.

02- التضاريس والسكان

ا- التضاريس:

* **الجبال:** تعد الكتلة الجبلية الأوراسية امتدادا طبيعيا من حيث التكوين الجيولوجي لسلسلة الأطلس الصحراوي(القصور ،العمور،أولاد نايل،الحضنة،الأوراس النمامشة)، وقد تعرضت هذه الكتلة إلى حركتين التوائيتين، إحداهما في بداية الزمن الجيولوجي الثالث والثانية في نهايته، ولهذا ظلت شديدة الإرتفاع، ومعقدة وصعبة الإختراق،تمتاز بقممها الشاهقة والإخضرار الدائم، و تمتد من جبال الحضنة غربا إلى جبال النمامشة شرقا ومن السهول العليا شمالا إلى الصحراء جنوبا وهي قسمان:

---

[1])- عبد الرحمان الجيلالي: **شخصيات لامعة من الأوراس** ،مجلة الأصالة،عدد 60-61، ص 104.

[2]) - عبد الحميد زوزو: **الأوراس إبان فترة الإستعمار الفرنسي"التطورات السياسية والإقتصادية والإجتماعية 1837/1993**"ج1،ترجمة مسعود حاج مسعود، وزارة المجاهدين 2005 ، ص 16.

[3])- عبد الرحمان الجيلالي :**المرجع السابق**،ص 104

[4]) –**أسرذون**:كلمة شاوية تعني البغل ولعل إطلاق هذا التسمية على القمة لأنها تشبه في شكلها رأس البغل.

[5])- جمعية أول نوفمبر:**ثورة الأوراس 1916م** ،باتنة 1996،ص 36.

[6])- عبد الحميد زوزو: **المرجع السابق**،ص 18.

- جبال الأوراس الشرقي: أهمها: جبل شليا الذي يبلغ إرتفاع قمته 2328 م وهي أعلى قمة في منطقة الأوراس يليه جبل المحمل 2321 م وجبل أحمر خدو 2000م،ثم جبل إيش 1809 م،وجبل ملالو 1780 م، و بوعريف 1741 م ثم جبل تفارنت 1403 م[1]،بالإضافة إلى الجبل الأزرق،وتطل كل هذه الجبال على مدينة تيمقاد الرومانية شمالاً ومدينة بسكرة وخنقة سيدي ناجي جنوبا[2]

- جبال الأوراس الغربي:تتشكل من جبال رفاعة 170 2م، الشلعلع 2100 م، مسعودة 1750 م ، ومستاوة 1648م، ثم أولاد سلطان 1393 م[3]، بالإضافة إلى جبال أخرى مثل متليلي ،أولاد سلام ،أولاد علي وبوطالب ... وكلها تنتمي إلى مرتفعات بلزمة ، وتكسوا هذه الجبال غابات كثيفة منها أشجار الصنوبر والأرز والعرعار والبلوط [4]، ونبات الشيح والحلفاء والديس، وتشتهر كذلك هذه الجبال بتربية الحيوانات وزراعة الحبوب في منحدراتها،وإلى الجنوب تنتشر واحات النخيل في عدة مناطق مثل (مشونش، لارباع، زربية الواد، خنقة سيدي ناجي، القنطرة).[5]وفي سيدي عقبة وبسكرة وطولقة وأولاد جلال.

***-السهول والمنخفضات:**

تمتد في الجهة الغربية من الأوراس مجموعة من السهول أهمها سهل بلزمة وزانة ومنخفض وادي الشعير وهي من أخصب الأراضي الزراعية وأكثرها مردودية في زراعة الحبوب وتربية المواشي ثم سهل نقاوس(ونظرا لأهميتها فقد قام الاستعمار بالإستيلاء على هذه السهول وبنى فيها مراكزه الإستيطانية بعد أن طرد سكانها الأصليين إلى الجبال، مثل كورناي (مروانة) وبيرنال (وادي الماء) وباستور (سريانة) ورأس العيون، ونقاوس، وبومقر،[6] أما في الجنوب يمتد سهل لوطاية وسهل لقصورو شمال القنطرة وسهل عين التوتة "مكماهون"، وفي داخل كتلة الأوراس الشرقية نجد سهول وأحواض ومنخفضات وخوانق مثل سهل لمدينه " إيشمول" وسهول خنشلة، ومن المنخفضات نجد منخفض غوفي السحيق والسياحي، ومنخفض القنطرة، ووادي عبدي والوادي الأبيض، وشعبة أولاد سيدي سليمان وخانق خنقة سيدي ناجي الواقعة على حافة الأوراس الجنوبية.

***/ المناخ:**

يتميز مناخ منطقة الأوراس بالتباين بين الشمال والجنوب، ففي الشمال يسود المناخ الشبه الجاف القاري الذي يتميز بحرارة الصيف وبرودة الشتاء، تتلقى كمية من الأمطار تتراوح بين 200 إلى 600 مم سنويا أما الجنوب فيسود المناخ الصحراوي الذي يتميز بالحرارة والجفاف ولا تزيد كمية التساقط عن 200 مم، وتنتشر أشجار السنديان وغابات الأرز على الهوامش الشمالية لكتلة الأوراس في حين أن المنحدرات الجنوبية ذات غطاء نباتي قليل جدا يتمثل في غابات الصنوبر الحلبي وأشجار العرعار ونبات الحلفاء.

***/ الأودية:**

---

[1]) عبد الحميد زوزو :**الأوراس إبان فترة الإستعمار**,مرجع سابق,ص.29.

[2])- جمعية أول نوفمبر : **ثورة الأوراس1916**، مرجع سابق ،ص 35.

[3])- عبد الحميد زوزو:**المرجع السابق** ،ص 28 .

[4] – المرجع نفسه، ص24.

[5])- نفسه، ص 2.

[6]) جمعية أول نوفمبر:**المرجع السابق**، ص 35.

تجري بمنطقة الأوراس مجموعة من الأودية تنبع من جبال الأوراس وتصب في معظمها جنوبا ومن أهمها: وادي الأبيض، وادي عبدي، وادي القصر، وادي العرب، وادي القنطرة ثم بلزمة وبريكة.

ب/السكان:

لقد عرف سكان الأوراس بتسميات عديدة منذ القديم، فقد سماهم الإغريق الليبيين، وسماهم الرومان بالماصيل والمصاصيل، ثم اسم المور، وعند البزنطين بالبرابرة، أما العرب فسموهم **بمازيغ والبربر** ابتداء من القرن الخامس ميلادي، أما في الوقت الراهن فيعرفون باسم الشاوية، ومن القبائل والأعراش التي تسكن المنطقة أولاد رشايش، النمامشة، بني ملول، أولاد بوسليمان، السراحنة، أولاد غسيرة، بنو أو جانة، العمامرة، أولاد داوود...،هذا في الأوراس الشرقي، أما الأوراس الغربي فتسكنه قبال أولاد بوعون، وأولاد سلطان، أولاد فاطمة، أولاد مومن، حيدوسة، أولاد سلام (1).

---

1) – عبد الحميد زوزو:**الأوراس إبان فترة الاستعمار**،مرجع سابق ، ص - ص 63-64.

الفصل الأول

التصوف قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر

المبحث الأول: نشأة الطرق الصوفية والزوايا

المطلب الأول: نشأة الطريقة والتصوف

المطلب الثاني: نشأة الزوايا

المبحث الثاني: التصوف في بلاد المغرب الإسلامي والعهد العثماني

المطلب الأول: نشأته وأسباب ظهوره في المغرب الإسلامي

المطلب الثاني: الطرق الصوفية ودورها في العهد العثماني

المبحث الثالث: الطرق الصوفية ودورها في منطقة الاوراس قبل الاحتلال الفرنسي

المطلب الأول: علاقة الأتراك برجال الطرق الصوفية في المنطقة

المطلب الثاني: أهم الزوايا في المنطقة

الفصـــل الأول: التصوف قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر

المبحث الأول: نشأة الطرق الصوفية والزوايا

المطلب الأول- نشأة الطريقة والتصوف

1/ تعريف الطريقة لغة واصطلاحا:

أ/ **لغة :** هي الممر والسبيل والصراط إلى غير ذلك من الأسماء وقد تذكر وتؤنث وهي حسية يمشي عليها الناس ووسائل نقلهم المختلفة (الحيوانية والآلية) [1].

ب/ اصطلاحا:

تعني المذهب أو الملة الدينية التي يسير عليها المؤمنون وفق منهاج شرعي, وتكون معنوية والسير في هذا الطريق المعنوي الديني قد يكون مختلف الشاكلة **﴿ قل كل يعمل على شاكلته﴾ (*)**

وعليه فإن الطريقة في الإسلام هي ذلك المنهج الذي وضعه الله جل جلاله لخلقه من الناس للتعايش فيه لقوله ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم**﴾ (**).

أما الطريقة وفق المنظور الصوفي نشأت منذ العهد النبوي حيث يترقى فيها المسلم عبر معارج التقوى والمعرفة بمقاماتها الثلاث (الإسلام، الإيمان، الإحسان). وعليه فإن الطريقة هي السلوك في هذه المعارج والتعمق فيها ومعرفتها، وبمعنى آخر هي ترقي المسلم من وراثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى وراثة أحواله ومنازلاته ومعاملاته مع الخلق ومع الحق تعالى **﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا** ﴾ (***). ولذا نجد أن الصوفي الحق هو المتحقق بمقام الإحسان الذي عرّفه الرّسول صلى الله عليه وسلم بقوله:(**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**). ومما سبق يمكن القول أن الطريقة هي مجموعة من الأسس و المبادئ التي يسطرها شيخ الطريقة لأتباعه ومريديه كطريق يسيرون عليه للوصول إلى معرفة الله ونيل رضاه. وتجد مبرر وجودها في الفلسفة الصوفية التي تقسم العقيدة الإسلامية إلى ظاهر وباطن، أي شريعة وحقيقة فالأولى هي الباب الذي يدخل منه الجميع والثانية هي التي لا يصل إليها إلا المصطفون الأخيار ، وكثيرا ما يشبّهون الشريعة والحقيقة بالدائرة ومركزها، فالطريقة إذا هي الخط الذاهب من محيط الدائرة إلى المركز وكل نقطة على محيط الدائرة هي مبدأ الخط وهذه الخطوط تنتهي كلها إلى المركز ومهما اختلفت فالهدف واحد لأنه لا وجود إلا لمركز واحد وحقيقة واحدة[2].

والطريقة بهذا المفهوم هي طريق خاص بنوع من الناس يتميزون عن غيرهم برؤية معينة في المنهج اللازم إتباعه للوصول إلى الحقيقة المطلقة عبر مراحل ومقامات محددة، تجتهد كل طريقة في استقائها من منابع ومصادر تعتقد أنها يقينية

---

1)– حسن العكريمي: **حقيقة التصوف والطريقة في الإسلام،** دار الهدى عين مليلة، الجزائر 2008، ص 21.

(*) – سورة **الإسراء**: آية، 84.

(**) – سورة **الفاتحة**: الآية، 06، 07 .

(***) – سورة **الإنسان** : الآية، 29 .

2) – التليلي العجيلي: **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في البلاد التونيسية (1939/1881)**، منشورات كلية الأدب بمنوبة، تونس 1992، ص 35.

02- تعريف التصوف : لغة واصطلاحا

لقد تعددت التعريفات حول ماهية التصوف حتى تجاوزت الألف من العدد[1] والتعريفات الاصطلاحية ليست كافية وخاصة في أمر روحي دقيق ذي تجليات متنوعة، ولذا فقد حاول الكثير من الباحثين إعطاء تعريفا للتصوف حسب مفهومه سواء من حيث اللغة أو المصطلح.

أ/ لغـة:

عند البحث عن أصل الكلمة نجد البعض قد نسبها إلى أهل "**الصفة**"[*] وقيل أنه مشتق من "صوفة" واسمه "الغوث بن مرّ صوفة" أحد سندة الكعبة في الجاهلية[2]، وهناك من قال أخذت من الصفاء أي القلب وطهارة ظاهره وباطنه ، وهناك من ذهب إلى أنها مشتقة من الصوف لأن القوم كانوا يفضلون لباسه لمناسبته لحياة الزهد التي كانوا عليها، وأن كلمة (تصوف) هي نفسها جمعت عدة كلمات ولكنها مختزلة وحسب مصطلحهم فإن التاء تشير إلى التقوى والصاد تشير إلى المصافاة والواو إلى الوفاء والفاء تشير إلى الفنا [3]،

أما المستشرقون فيرون أنه لفظ يوناني مركب "theospophie" "فتيوس" تعني الإله و "صوفي" تعني الحكمة و هي طريقة رياضية لمعرفة الله[4].

غير أن أغلب الباحثين يرجحون إسم الصوف لأنه كان اللباس الغالب على الزهاد والعباد. وان نسبة الصوفية إلى الصوف مطابقة لما عليه الكثير منهم اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي (نسب إليه لبس الصوف لقول أنس فيما رواه ابن ماجة أن الرسول أكل خشنا ولبس خشنا، لبس الصوف واحتذى المحفوف. وقد حذى حذوه الصحابة رضي الله عنهم، فقد آثروا لباس الصوف على غيره من اللباس زهدا ومنهم الصحابيان أبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي) [5]. لذلك نجد الكثرة من المتصوفة يلبسون الصوف لأنه رمز الزهد والتواضع.

---

1)– أ.د حسن الشافعي، أ.د أبو اليزيد العجمي: **التصوف الإسلامي**، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، مصر 2007، ص 23.

(*)– **أهل الصفة** هم فقراء المهاجرين والأنصار الذين كانوا يخيمون في صفة بناها لهم الرسول صلى الله عليه وسلم في مؤخرة المسجد الشريف للذكر والعبادة ولاشك أن مواظبتهم على الحياة التعبدية اتخذت كقدوة حسنة للصوفية من بعدهم يعيشون على صدقات المحسنين ولما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا منها

2)– أبي الفرح عبد الرحمان (ابن الجوزي): **تبليس إبليس**، دار التقوى، القاهرة، ب - ت - ط ص 179.

3)– حسن العكريمي: **حقيقة التصوف والطريقة في الإسلام**،مرجع سابق ص 06.

4)– مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر القديم والحديث**، ج2، تقديم وتصحيح محمد الميلي، مكتبة النهضة الجزائرية، 2004، ص 341.

5)– صلاح مؤيد العقبي:**الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر،تاريخها ونشاطها** ،دار البراق بيروت،لبنان 2002، ص 36.

ب/اصطلاحا:

نعني بالتصوف عزوف النفس عن الدنيا والعكوف (على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة)[1]. أما سهل التستيري البصري فيعرفه بقوله: الصوفية سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام والتوبة وأداء الحقوق[2]. أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد سعي إلى إبراز التصوف كمدرسة تربوية هدفها الأساسي تهذيب النفس وتطهيرها من أخلاقها الذميمة ولذلك عارض كل انحراف طرأ على التصوف بقوله: " والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أجل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم نفسه عاص لربه)[3]. ويؤكد أبو القاسم الجنيد الذي أعلن الحرب على الانحراف الخلقي وقاد حملات المتصوفة المجاهدين ضد الفتنة المادية الهوجاء التي طغت على المجتمع الإسلامي يومئذ، فقد عرف التصوف بقوله: (التصوف تجنب كل خلق دني والتحلي بكل خلق سني، وان تعمل لله بغير غاية إلا رضاه) [4].أما الإمام ابن القيم الجوزية ففي كتابه مدارج السالكين، ج2. ص 307، يقول: (التصوف زاوية من زوايا السلوك الحقيقي. وتزكية النفس وتهذيبها لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى).

ويرى الشيخ عبد القادر الجيلاني صاحب الطريقة القادرية في التصوف والصوفي (فيقال لهما متصوف وصوفي إذا اتصف بهذا المعنى، فهوفي الأصل صوفي على وزن فوعل مأخوذ من المصافاة، يعني عبدا أصفاه الحق عز وجل ولهذا قيل الصوفي من كان صافيا من آفات النفس خاليا من مذموماتها سالكا لحميد مذاهبه، ملازما للحقائق غير ساكن لأحد من الخلائق). [5]

أما مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده فيقول: الصوفي نسبة إلى الصوفية وهم طائفة من المسلمين همهم من العمل إصلاح القلوب وتصفية السرائر[6].

والدكتور يوسف القرضاوي في كتابه فتاوي معاصرة، ج1، ص 735 و 736 قال: (ومن هنا ظهر هؤلاء الصوفية ليسدوا ذلك الفراغ... وصار لدى كثير من الناس جوع روحي فلم يشبعه إلا الصوفية الذين عنوا بتطهير الباطن قبل الظاهر وبعلاج أمراض النفوس وإعطاء الأولوية لأعمال القلوب وشغلوا أنفسهم بالتربية الروحية والأخلاق.... وصرفوا إليها جل تفكيرهم حتى قال بعضهم التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف

---

1) – عبد الرحمان بن خلدون: **المقدمة،** ط1، دار بن الهيثم، القاهرة 2005، ص 391.

2)– فيلالي المختار الطاهر: **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني،** ط1، دار الفن للطباعة، باتنة 1976،ص11 .

3)– صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر**، مرجع سابق، ص 40.

4) المرجع نفسه/ ص.45

5)- حياة محمد الفقيه :**الغوث الأعظم محي الدين عبد القادر الجيلاني** ،ب د ط - ب ت ط ، ص 6 .

6)- صلاح مؤيد:**المرجع السابق** ،ص 41.

ومن خلال التعاريف السابقة نرى إن التصوف هو أخلاق دينية وطريقة سلوكية قوامها التقشف والزهد والتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل، ولذلك تتفق معظم الآراء حول التصوف على أنه نزعة روحية تنأى بالإنسان عن العالم المادي وترتفع به إلى العالم الخارجي [1].

وعليه فإن التصوف الإسلامي في جوهره الحقيقي هو إخلاص التعبد لله عز وجل وعدم الانجراف إلى تغليب الجوانب المادية للحياة الإنسانية على الجوانب الروحية فهو بذلك علم من العلوم الإسلامية وروح الإسلام وجوهره لأنه تصفية للقلب وطهارته من الرجس وإخلاص لله ونبذ للحياة الدنيا والخشوع والصمت والتأمل[2].

03: نشأة التصوف و أنواعه:

ا- نشأة التصوف وأسباب ظهوره :

إن القرآن الكريم هو أساس الدين والعقيدة والفروض في الإسلام، جعل من الله إلها واحدا لا شريك له، والحديث هو الأصل الثاني، فنجد الرسول صلى الله عليه وسلم كان يختلي في غار حراء خلال خمسة عشرة سنة من حياته بعيدا عن الناس، وكان الصحابة والتابعين وإن لم يتسموا باسم الصوفية، فقد عاشوا لربهم لا لأنفسهم وتجلى ذلك في ميلهم إلى البساطة والزهد[*] وملازمة العبادة مقبلين على الله بالروح والقلب في جميع الأوقات [3]، وقد انقضى القرن الأول للإسلام ومعه عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه حيث تميز فيه الدين بتعاليمه السامية ومثله العليا وكان الزهد من سمات الكثير من أتباعه، أمثال أباذر الغفاري وسلمان الفارسي والحسن البصري.... وغيرهم.

ومن الأسباب التي أدت إلى ظهور الزهد والتصوف خلال القرن الثاني الهجري نذكر ما يلي:

- الفتوحات الإسلامية وما جادت به من اختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم والشعوب والأديان، فأقبلوا على الحياة الجديدة وما زخرت به من البذخ والترف وقد أكد ذلك ابن خلدون في مقدمته بقوله (فلما فشى الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة) [4].

- انشغال المسلمين واهتمامهم بالكسب والامتلاك فغفلوا عن أعمال القلوب وهنا بدأ الانحراف عن تعاليم الإسلام وتوجيهاته رغم أن الإسلام دين الوسطية و الاعتدال سمح

---

1) – إبراهيم مياسي: **لمحات من جهاد الشعب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007، ص 213.

2) – صلاح مؤيد:**الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر**،مرجع سابق ،ص 09.

(*)- **الزهد:** هو التكسب من الحلال والعمل النافع والعكوف في الأربطة بانتظار ما يجود به الناس، أو التكفف والاستجداء وكذلك التكلف بالظهور بمظهر الفاقة في ملابسهم بلبس المرقعات البالية إظهارا للتزهد والصلاح والولاية، وبعضهم قد يكون صادقا في تقشفهم احتقارا للدنيا واستصغار لها بالقلب وحددوا طريقة تحقيقه بإخراج هم الدنيا من القلب وإدخالهم الآخرة، واعتبره السراج الطوسي أساس التصوف مستدلا بزهد الخلفاء الراشدين,أما الحسن البصري فطريقته في الزهد تقوم على تصفية النفس بالتأمل والتفكير مع حزن يرافقه خوف وقد تكونت من هذه الطريقة مجموعة من النساك منهم رابعة العدوية صاحبة المنهج الصوفي المعروف بالحب الإلهي. أنظر طاهر بونابي: **التصوف في الجزائر** خلال القرنين12 و 13م ، دار الهدى، عين مليلة، ص 37.

3) – عبد القادر عيسى: **حقائق عن التصوف**، منشورات دار العرفان حلب، سوريا 2005، ص 23.

4) – ابن خلدون:**المقدمة**، المرجع السابق ،ص 391.

بالتمتع بطيبات هذه الحياة لكن دون إسراف لقوله تعالى: **﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤتيه منها وماله في الآخرة من نصيب﴾** [1].

- الاستبداد السياسي وعجز الكثيرين عن التصدي له دفع البعض إلى مؤاثرة السلامة باللجوء إلى العزلة والانزواء والتفرغ لإصلاح النفس والتركيز على التأمل والملاحظة حتى تشفّ النفس وتصل إلى درجة الإشراق.

-يرى القشيري وابن خلدون كذلك أن التصوف ولد في ظروف صعبة تميزت بظهور البدع في المعتقدات المختلفة غذتها الفرق، كالمعتزلة والخوارج وكل كان يدعي الزهد في الدنيا.

إن هذه العوامل كلها أدت إلى ظهور جماعة من الصحابة والتابعين يدعون الناس إلى مراجعة الذات والعودة إلى ما كان عليه سلفهم الصالح، وحذروهم من الانغماس في الدنيا انطلاقا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على قبلكم فتنافسوها كما نافسوها وتهلككم كما أهلكتهم» وقد عرف هؤلاء من الدعاة باسم الزهاد[2]. الذين أسسوا منهاجا وطريقا معينا للتصوف ووضعوا له مقامات ومراتب وأبرز هؤلاء الحسن البصري[*] ، الذي نبذ زينة الدنيا وقضى حياته زاهدا عابدا واعتبره المؤرخين للتصوف هو الإمام الأول للصوفية وواضع أسس التصوف[3]، وعليه فإن التصوف ظهر في البصرة وترعرع فيها.

وفي القرن الثالث الهجري ظهر أبو القاسم الجنيد[**] الذي أعلن الحرب على الخرافات والانحرافات الخلقية. وبرز كذلك ذي النون المصري[***] الذي وضع المقامات والأحوال [****] والقائل: (الصوفية قوم آثروا الله على كل شيء فآثرهم على كل شيء) [4].

أما في القرن الرابع الهجري فقد نما وازدهر التصوف وكثر مريديه وأتباعه، وذهب البعض إلى مخالطة التصوف بالفلسفة الهندية التي تقوم على تدريب النفس على تحمل كل شيء

---

1) – سورة **الشورى**: آية 20.

2)– صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر**، مرجع سابق، ص 31.

(*) - **الحسن البصري**: هو الحسن بن ابي الحسن، نشأ بوادي القرى، توفي سنة 101 هـ، في شهر رجب عن عمر ثمانية وثمانين سنة، عاصر جمعا من الصحابة وروى عنهم.

(3) – صلاح مؤيد/ **المرجع السابق**، ص 32.

(**) – **أبو القاسم الجنيد**: أصله من نهاوند "همذان" ومولده ومنشأته في العراق كان فقيها تفقه على أبي ثور وكان في يفتي في حلقته وهو من أئمة القوم وسادتهم مقبول على جميع الألسنة توفي سنة 297 هـ من أقواله في التصوف "ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله التعزف عن الدنيا".

(***) – **ذي النون المصري**: ذو النون بن إبراهيم المصري أبو الفيض ويقال ثوبان بن إبراهيم وذو النون لقب ويقال الفيض بن إبراهيم، توفي سنة 245 هـ بالجيزة، من أقواله: "إياك تكون بالمعرفة مدعيا، أو تكون بالزهد محترفا، أو تكون بالعبادة متعلقا".

(****) – **المقامات والأحوال**: الصوفية على اختلاف مناهجهم يتصورون طريق إلى الله يبدأ بمجاهدة النفس أخلاقيا ويتدرج السالك لتحقيق ذلك بمراحل متعددة تعرف بالمقامات والأحوال التي تنتهي إلى معرفة الله وهي نهاية المطاف حيث يكون مقام العبد بين يدي الله ومن هذه المقامات (التوبة، الزهد، الورع، الفقر، الصبر، الرضى، التوكل...) أما الأحوال فالمقصود بها ما يحل بالقلوب من صفاء الأذكار ومنها (المراقبة، المحبة، الخوف، الرجاء، الشوق الأنس، الطمأنينة، اليقين...).

4) – صلاح مؤيد: المرجع السابق، ص 46.

والتجرد عن ملذات الدنيا وانتشرت فكرة الحب الإلهي [1]، خاصة عند رابعة العدوية[*] التي عاشت مجاهدة في سبيل المعرفة الكبرى تحت ضلال الكلمة الربانية المقدسة[2].

وفي القرن الخامس الهجري ازداد نشاط شيوخ الطرق الصوفية لنشر تعاليمهم وأصبحت الحاجة إلى التنظيم والتنسيق ضرورة حتمية، فانفردت كل طريقة بمبادئها وأسسها، عرفت في الأخير باسم الطرق الصوفية يرأس كل واحدة منها شيخ يسمى بشيخ الطريقة، ومن هنا بدأ الصوفية ينظمون أنفسهم طوائف وطرق يخضعون فيها لنظم خاصة بكل طريقة، وكان قوام هذه الطرق طائفة من المريدين يلتفون حول شيخ مرشد ليبصرهم على الوجه الذي يحقق لهم كمال العلم وكمال العمل، كما نجد ذلك في بغداد في العصر العباسي الأول عند فرقة (السقطية والطيفورية والمحاسبية والخرازية)، وانتقل بذلك التصوف وتطور من ظاهرة فردية بين الإنسان وربه إلى ظاهرة اجتماعية طرقية ,كثر رجالها وأتباعهم ومريديهم ,والتفوا حول الشيخ ونسجوا له هالة من التقديس والتبجيل ,وبدأت تظهر الطرق الصوفية بشكلها المتعارف عليه الآن، وأول هذه الطرق القادرية والمدينية والرفاعية والشاذلية والخلوتية...

وإذا كان التصوف في العصور الإسلامية الأولى نقيا سليما ففي العصور المتأخرة شابه الانحطاط مما أعطي للفقهاء مجال للتحامل عليه وعلى أرائه في الأولياء والكرامات[**]

وعليه فالتصوف ظاهرة دينية ومفهوم معين للإسلام قوامة فلسفة روحية ترتكز على الذكر والاعتكاف وفق أساليب تربوية مرهقة للنفس لحملها على الطاعة حتى تزكو وترتقي إلى مراتب عليا من الإيمان.

---

1) – ضيف الله محمد الأخضر: **محاضرات في الحضارة العربية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص 110.

(*) – **رابعة العدوية**: أم الخير ولدت في البصرة سنة 105 هـ وقضت طول حياتها تقية وآثرت كل تضحية وعاشت فقيرة معوزة لتصل إلى هذه الدرجة العليا والمقام الروحي المرموق، تيتمت منذ صغرها وعكفت على دراسة العلم وتأدبت بآداب الإسلام وسعى إلى صحبتها والإفادة من معرفتها علماء أفذاذ أمثال: الحسن البصري ومالك بن دينار، أمضت حياتها في العبادة والصوم والدعاء والذكر توفيت عام 185 هـ وهي في الثمانين من عمرها، ما يزال قبرها إلى اليوم في رأس جبل الطور شرقي القدس.

2)– مكتب الدراسات لدار الهدى: **متصوفة الزهاد رابعة العدوية**، دار الهدى عين مليلة، الجزائر 1997، ص 74.

(**) – **الكرامات:** جمع كرامة، عند الصوفية تعني ظهور أمر خارق للعادة على يد ولي الله تعالى يوجب لصاحبه الاحترام وتظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، أنظر أحمد الجوهري (**كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال**، دار الآفاق العربية، القاهرة 2003، ص 19).

ب / أنواع التصوف:

التصوف نوعان تصوف سني وتصوف فلسفي غير أننا سنركز في هذا الجانب على التصوف السني لأن مرجعيته الأساسية

***- التصوف السني:** مرجعيته الأساسية القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ولهذا التزم المسلمون في القرن الأول والثاني الهجريين بأوامر الله ونواهيه والإقتداء بحياة النبي صلى الله عليه وسلم، عبادة وتزهدا في الدنيا وإعراض عن مباهجها، وعلى هذا الأساس تلخصت وجهتهم الصوفية في مظهرين:

-مظهر ظاهري يتمثل في ترك مظاهر الدنيا (مال وجاه وعيشة رغدة) انطلاقا من قوله تعالى: **﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً﴾** [*] **﴿ والآخرة خير وأبقى ﴾** [**] ومثال على ذلك الإمام أحمد بن حنبل اكتفى بدخل قليل ولما أرسل إليه الخليفة المتوكل بعشرة آلاف درهم فرقها على المحتاجين[1]، "وقال بعض الزهاد يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا"[2].

- مظهر باطني يتمثل في مراقبة أفعال القلب وسميت بمرحلة مجاهدة التقوى[3].

وقد تطور التصوف السني في القرنين الثالث والرابع الهجريين الموافقين للقرنين التاسع والعاشر الميلادي، حيث سعى فيه الصوفية للوصول إلى نفس لا يصدر عنها سوى أفعال الخير مؤدبة بآداب القرآن والسنة عن طريق الإرادة والرياضة[***] .أما التصوف الفلسفي هو الذي يتجه الى القول بنظرية الحلول ووحدة الوجود والفناء وتزعم هذا الإتجاه الحسن بن المنصور الحلاج. وقد رفضها الكثير من المتصوفة والفلاسفة,وقد ظهر هذا الإتجاه في القرن الخامس الهجري(الحادي عشر ميلادي).

---

[*] – سورة **النساء**: آية 77

[**] – سورة **الأعلى**: آية 17.

[1] – عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: **تاريخ الفكر الإسلامي**، ط1 ، دار الفكر العربي، القاهرة، ب- ت – ط ، ص 327.

[2] – الطبري:**تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة 193.**

[3] – الطاهر بو نابي: **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 هجري الموافق 12 و 13 م**، دار الهدى عين مليلة، الجزائر 2004، ص 39.

[***] – **الرياضة**: هي تدريب لنفس على رفض زينة الحياة الدنيا من مال وجاه وشهوات ومقاومتها عن طريق الصيام المتواصل وقيام الليل والتهجد للوصول الى مراتب الأنبياء والشهداء وأطلق على هذا النوع مجاهدة الإستقامة .

وقد ثار الفقهاء ضد المتصوفين وحكموا على بعضهم بالكفر أو القتل وجعلوا الحكم الظاهر هو المنهج القويم لحكم المسلم لأنه المنهج الذي سار عليه الأولون وهو وحدة طريق النجاة، ويرى بعض المعاصرين أن التصوف والمبالغة في الزهد نزعة رجعية قديمة ليس من الإسلام في شيء، ومما سبق نستنتج أن التصوف قد عرف أوج ازدهاره في القرن الثالث والرابع والخامس هجري.

المطلب الثاني- نشأة الزوايا:

1/التعريف بالزاوية لغة واصطلاحا:

أ/- لغة: الزوايا جمع زاوية مأخوذة من فعل زوى وانزوى بمعنى ابتعد وانعزل، وسميت بذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة والمرابطين[*] اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه وبحثا عن الهدوء والسكون لأنهما يساعدان على التأمل والرياضة الروحية, ويناسبان جو الذكر والعبادة[1] وتعني عادة الركن من البيت، وتولدت لها معاني كثيرة مثل قولهم انزوى الناس بعضهم لبعض أي تضامنوا وتآلفوا [2].

ب/- اصطلاحا: إن الزاوية بناية ذات طابع ديني وثقافي يقيم فيها الشيخ الصوفي ويقوم بتأدية الصلاة والعبادة وتلاوة الأوراد، يخدمه متطوعون نذروا أنفسهم لخدمة الزاوية، وقد تطلق على مقر المرابط "الشيخ" في حياته وبعد مماته، أما أن يكون قد أسسها بنفسه أو بنيت على ضريحه من بعده من طرف الأتباع[3].

أما **دونوفو** فيقول: "الزاوية هي عبارة عن مكان تجمع من حولها بين عشرين وثلاثين مسكنا... وأحيانا تشمل مدينة بكاملها، وهي بناية مربعة الشكل تعلوها قبة تبنى تكريما للمرابط"[4]، وقد تكون مأوى للمتصوفين والفقراء[1]

---

[*] – **المرابطون**: جمع مرابط، في الأصل لفظة مأخوذة من الرباط وهو مكان ينفرد فيه المسلمين للعبادة والتأهب للجهاد فهو بذلك بيت دين وحرب وقد ذكر الرباط في قوله تعالى: ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل**﴾ سورة الأنفال، آية 60. وقوله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ سورة آل عمران، آية 200. والرباط من فعل رابط أي لا زم. وفي نفس الوقت له علاقة وطيدة بالدولة المرابطية التي تنحدر من قبيلة لمتونة من بربر صنهاجة في المغرب، حكموا بلاد المغرب العربي زهاء 120 سنة، وكانوا مثال في الشجاعة والشهامة ومنهم يوسف بن تاشفين الذي استنجد به ملوك الطوائف في الأندلس ضد ألفونس السادس حاكم قشتالة عام (484 هـ - 1091 م)، وقد سمي المرابطين بهذا الاسم لقصة حدثت لزعيمهم الروحي الأول يحي بن إبراهيم الذي عاد من تونس بفقيه هو عبد الله بن ياس ليعلم قبيلته صنهاجة لكن الموت داهم يحي بن إبراهيم فتفرق الناس عن الفقيه لكن ذلك لم يضعف عزيمته واعتزل الناس في رابطة أو رباط ولذلك سمي كل من يلتحق به مرابطا. أنظر مقال في جريدة الأخبار عدد 305، لصاحبه سنقوقة، بعنوان **المرابطون في الجزائر**، 07 أفريل 2004، ص 17.

وقد أطلق هذا الاسم على كل مقيم في ثغر مدافع عن المسلمين، والرباط لفظا ومعنى ووظيفة هو عبارة عن ثكنة محصنة ثم تحول إلى مكان يقصد لتعلم فنون الحرب قصد الاستعداد للجهاد وأوقات الفراغ فيه تقضى في العبادة وبذلك فهو مدينة محصنة يسكنها رجال دين وحرب. انظر : الطاهر بونابي /**التصوف في الجزائر**، ص 54.

1) – صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر**،مرجع سابق ,ص 301.

2)– اعميراوي أحميدة: **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة، الجزائر 2007، ص 25.

3) – فيلالي المختار: **نشأة المرابطين والطرق الصوفية في الجزائر**، مرجع سابق، ص 27.

4) – ايدوارد دونفو: **الإخوان دارسة أثنولجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر**، ترجمة كمال فيلالي، دار الهدى عين مليلة، الجزائر 2003، ص 26.

وعليه فنحن نرى أن الزوايا هي مراكز ومقرات لمشايخ الطرق الصوفية، قد تكون محل تلقى فيه دروس للطلبة به مساكن خاصة لهم تتوفر فيها جميع الظروف المادية والعلمية، وقد تكون ملجأ للطلبة أو للعلماء المغتربين يجدون فيها المأوى مجانا وكذلك للفقراء وأبناء السبيل، وقد تكون ضريح عالم أو رجل صالح، وفي سائر الحالات يوجد بها مسجد للصلاة والوعظ والإرشاد والأذكار الصوفية.

2/- نشأتها:

يرى الكثير من الباحثين والمؤرخين في مجال التصوف أن أصل الزاوية كانت رباطا وتحول بمرور الزمن إلى زاوية، ومن المعروف أن للرباط دور أساسي في حياة المسلمين، إذ كان هو الثكنة التي حمت الثغور الإسلامية من الأخطار الخارجية، وكان يلتقي فيه الرجال الذين طلقوا الدنيا واختصوا بالعبادة والذكر لا يبرحونها إلا للجهاد وصد العدو[2]. وبعد ذلك يتحول إلى مدرسة يتلقى فيها المراوبطون تربية روحية عالية تغرس فيهم مكارم الأخلاق وجميل الخصال وتوجيههم نحو الفضائل، لأنها مجمع رجال العلم والمعرفة وخاصة المتصوفة مما يجدونه من خلوة واعتكاف والذكر والتأمل والانقطاع للتعلم والتعليم حتى إذا ما دعاهم الواجب هبوا للجهاد[3]. (وقد اكتضت تلك الرباطات بالنخبة وأصبحت ابتداء من القرن الرابع الهجري تعرف تحولا كبيرا لدرجة أن العلماء قاموا بتأليف الكتب والرسائل داخلها)[4]. وبعد انقضاء زمن الجهاد تحولت بعض الرباطات إلى زوايا، وغادر المتصوفة هذه الرباطات وشيدوا أبنية في القرى والمدن لإيواء المرابطين المنقطعين إلى العبادة، وتعرف في الشرق الأوسط بالرباط أو الخانقاة[*] وفي المغرب العربي تعرف بالزاوية [5].
ومن الأسباب التي دفعت المتصوفة إلى إنشاء هذه الأماكن "الزوايا" هي رغبتهم في الاجتماع بمريديهم وتلاميذهم (وقد ذكر ابن السبكي في طبقاته أن حجة الإسلام الغزالي- رحمه الله- قد بنى في أيامه الأخيرة مدرسة للفقهاء وخانقاة "زاوية" للصوفية بالقرب من بيته وذلك بغية الاجتماع بتلاميذه ومريديه"[6].

و الزواية في المغرب العربي ظهرت منذ القرن الثالث عشر لتحل محل الرباط، ونمت في القرن الخامس عشر لسببين وهما: ضياع الأندلس والغزو الأجنبي الذي تمثل في احتلال اسبانيا لثغور الجزائر[1]

---

1) – صلاح مؤيد : **الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر**، مرجع سابق، ص 302.
2) – المرجع نفسه: ص 322.
3) – محمد الهادي العامري: **تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1974، ص 203.
4) – صلاح مؤيد: **المرجع السابق**، ص 324.
(*)– **الخانقاة:** هي بيوت ملاصقة للمساجد خصصت للذكر والعبادة والاعتكاف والانقطاع للتأمل والتفكير والرياضة الروحية، بناها خلفاء المسلمين الأوائل للمتصوفة.
5)– محمد الهادي العامري: **المرجع السابق**، ص 204.
6) – صلاح مؤيد: **المرجع السابق**، ص 324.

وكان بناء الزاوية يختلف عن بناء المسجد والمدرسة، تتميز بقصر حيطانها وانخفاض قببها، قليلة النوافذ يوحى شكلها بالعزلة والتقشف والهدوء[1]. أما الاشرف على الزاوية فكان من طرف شيخها ويسمى شيخ الزاوية أو مرابط ومن بعده إلى ذريته، والزاوية هي مقام الولي ومصلاه ومجمع أو راده وأفكاره، وفيها يدرس ويستقبل المريدين ويصلح بين الناس ويفتيهم ويحكم بينهم، وفي غيابه يتولى شؤونها عادة أحفاده وأبنائه، بالإضافة إلى خدام الزواية، وفي بعضها يتولى التلاميذ تسييرها ويصهرون على النظافة والتموين والأمن تحت إشراف وكيل الزواية [2].

المبحث الثالث: التصوف في بلاد المغرب الإسلامي والعهد العثماني:

المطلب الأول:نشأة التصوف وأسباب ظهوره في المغرب الاسلامي:

1/-نشأته:

ظهر التصوف كما رأينا في السابق في بلدان المشرق العربي منذ القرن الثاني الهجري على يد مجموعة من الأقطاب نذكر منهم أبي القاسم الجنيد المتوفي سنة 297 هـ الموافق لـ 874 م، وأبي المغيث الحسين الحلاج (244 - 309 هـ، الموافق لـ 858 ، 922م)، وأبي حامد الغزالي (450 -504 هـ الموافق لـ 1059- 1111م)، وغيرهم، وكانت هناك ظروف كثيرة ساعدت هذه الحركة على البروز نذكر منها تغير حياة الخلفاء والأمراء والسلاطين من البساطة إلى التعقيد والترف والبذخ واختلاط المسلمين بغيرهم من الشعوب.

ومن المشرق الإسلامي انتقل التصوف إلى بلدان المغرب الإسلامي والأندلس وانتقلت معه حياة الزهد والتقشف وازدهرت في الرباطات والزوايا، وحسب العارفين بخبايا حركة التصوف في المغرب الإسلامي فإنه نشأ في القرن الخامس هجري الموافق للقرن الحادي عشر ميلادي أثناء حكم المرابطين من خلال وصول أراء الإمام حامد الغزالي في كتابه "الأحياء" والذي وجد معارضة شديدة لدرجة أن علي بن يوسف بن تاشفين أمر بحرقه عام 503 هـ[3].

ورغم ذلك انتشرت حياة الزهد و التقشف وبرز مجموعة من أقطاب التصوف حمل أغلبهم لقب الغوث [*] مثل أبا مدين شعيب بن الحسين [**]، وابن العربي [***] ، وأبو الحسن الشاذلي (592-668 هـ- 1228م)،

---

1) – أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20 م)** ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص 269.

2)– المرجع نفسه، ص 271.

3) – إبراهيم مياسي: **لمحات من جهاد الشعب**، مرجع سابق ،ص 214.

(*)– **الغوث:** هو أعلى مراتب الصوفية ويعني العون الأكبر أو يسمى بالقطب الذي يدور حوله عالم التصوف بالإضافة إلى مراتب أخرى مثل الأوتاد ، الأبدال، النقباء....وتختلف أدوارهم في التصوف.

وأحمد زروق المتوفي سنة (889 هـ/1491م) [1] .

ولم تعرف بلاد المغرب أي انتشار للفلسفة والحكمة قبل تأسيس دولة الموحدين لتمسك علمائها بمذهب أهل السنة وعدائهم للمعتزلة والفلاسفة والغلاة من الصوفية ويرجع للموحدين الفضل في نشر مذهب الأشاعرة ومؤلفات الغزالي مما كان له أثر فعال في التمهيد لإحلال التصوف مكان في حياته الدينية حيث أصبح من الممكن الأخذ بنظريات الصوفية المعتدلة وإدراج هذا التيار ضمن إطاره الحقيقي الصحيح.

2/- **أسباب ظهوره:**يعود انتشار التصوف في بلاد المغرب الإسلامي إلى مجموعة من العوامل والأسباب.

أ-الأسباب الفكرية:

-ظهور أعلام صوفية عملوا على نشر التصوف في بلاد المغرب خاصة الأوسط واثروا بسلوكهم وعملهم ومؤلفاتهم مثل: أبا مدين، الثعالبي، ابن عربي، والشاذلي، وابن مشيش... وارتيادهم المدن الساحلية والداخلية مثل: بونة، بجاية، تنس ، وهران، تلمسان، قسنطينة، طبنة، المسيلة، قلعة بني حماد.

- مؤثرات المشرق العربي عن طريق الحج وتتلمذ هؤلاء الرواد على يد مشايخ التصوف والاطلاع على مذاهبهم والتزود بالكتب والمؤلفات المهمة في هذا الشكل كرسالة القشيري، وقوت القلوب للمكي، وإحياء علوم الدين للغزالي وغيرها [2]، وكان العائدون منهم يدرسونها في المساجد والزوايا والرباطات ووصل بعضهم إلى منصب الإفتاء و المشيخة العلمية والصوفية ونالوا احترام العامة والخاصة .

- زيارة ذي النون المصري للمغرب وهو من كبار المتصوفة في القرن الرابع الهجري (10 م).

- أثر المذهب الشيعي الذي تسرب إلى المغرب الأوسط وبفكرة المهدي التي بنيت عليها الدولة الفاطمية في المغرب، وكذلك الدعوة الموحدية وسقوط الأندلس الذي أدى إلى الغزو والإسباني لمعظم سواحل المغرب الإسلامي وهجرة كثير من صوفية الأندلس إلى الأراضي الجزائرية.

ب- الأسباب السياسية:

[**] – **أبا مدين**: (520- 590 هـ 1126 -1197 م) درس بالأندلس ثم في فاس حيث سلك طريق التصوف وأخذه على يد الشيخ أبي يعزى ومنه تلقى الخرقة، وتعرف بالشيخ عبد القادر الجيلاني بعرفة وأخذ عنه، ثم درس في بجاية وكثر أتباعه ولقب بالقطب ويشبهوه بالشمس، وتوفي في تلمسان ويعد شيخ الصوفية دون منازع في كل الأقطار المغربية والأندلس في القرن السادس هجري (12 م) دعاه بن عربي بشيخ الشيوخ.

[***] – **محي الدين ابن العربي الأندلسي**: (560 -638 هـ الموافق لـ 1165- 1240م) ولد بالأندلس يعد بدوره قطب من أقطاب التصوف الفلسفي في عهد الموحدين، زار الجزائر "بجاية"، ثم واصل طريقه إلى المشرق في أواخر القرن السادس الهجري، لكن المصريين نقموا منه نظرا لأرائه الصوفية حول وحدة الوجود والحقيقة الوجودية المقتبسة من الفلسفة اليونانية القديمة، له عدة مؤلفات منها: رسالة القدس "تتعلق بحياة الصوفية كما شاهدها ابن عربي في المشرق والمغرب، كتبت سنة 600 هـ (1203 م) على شكل رسالة القدس " تتعلق بحياة الصوفية كما شاهدها ابن عربي في المشرق والمغرب، كتبت سنة 600 هـ (1203 م) على شكل رسالة إلى صديق له في تونس وهو الصوفي محمد بن عبد العزيز.

1.[1]– يحي بو عزيز**: ثورات القرن التايع عشر والعشرين** ،ط1 ، دارالبعث الجزائر1980، ص 339.

2.[2]– مختار فيلالي: **نشأة المرابطين**، مرجع سابق ، ص 17.

- سقوط الدولة الموحدية التي كانت تمثل دولة قوية واجهت الغزو الإسباني وعرف حكمها الأمن والاستقرار.

- هجرة بعض الأسر العلوية من المشرق إلى المغرب الأوسط هروبا من انتقام العباسيين، ونزوح عرب الأندلس فرارا من اضطهاد المسيحيين، وأدى ذلك إلى ظهور أسر شريفة أو مدعية الشرف بالولاء وأصبح لهم نقباء مما دفع إلى تقديس أفرادها[1].

ج- الأسباب الاجتماعية:

-إنتشار البذخ والترف عند طبقات معينة نتيجة الثراء الفاحش وتراجع القيم الدينية والأخلاقية، حيث أهمل العامة والخاصة الكثير من مبادئ الدين وجاءت الصوفية لتحارب هذا الإنحراف مستنكرة إنحلال الأخلاق وفساد السلوك[2].

- التشجيعات والجوائز التي كان يقدمها شيوخ الصوفية والزوايا لطلبتهم وأتباعهم ويستمر مفعولها لدى أبنائهم على مر العصور [3].

- طبيعة المغرب الإسلامي "جبال، سهول، هضاب، صحراء...." وهي كلها تدعوا إلى التأمل والتفكير وتساعد على الانطواء على الذات والزهد في مناهج الدنيا [4].

أما الباحثون الأوروبيين فقد عالجوا عوامل وأسباب النشأة على الشكل التالي: فروجي إدريس أرجأ الظاهرة إلى النهضة المالكية في القيروان في مواجهة الشيعة في القرن التاسع الميلادي، وليفي بروفنسال levi provençol حصرها في تأثير المعتقدات الوثنية على البربر وحركة الجهاد ضد الاسترداد المسيحي[5].

لكن نجد هذه العوامل تفتقد إلى الشمولية وهي غير كافية لأن الظاهرة الصوفية هي نتاج إرهاصات دينية واجتماعية وفكرية وسياسية واقتصادية تمخض عنها ميلاد الحركة الصوفية التي بدأت تتضح في المغرب الإسلامي في القرن الثاني عشر ميلادي بالنسبة للتصوف السني والثالث عشر بالنسبة للتصوف الفلسفي.

وإذا كان التصوف في بداية الأمر محدودا ومنحصرا في جماعات قليلة ومنعزلة فإنه أخذ منذ أواسط القرن السادس الهجري "12 م" ينتشر شيئا فشيئا في مختلف الربوع وركز المريدين على جهاد النفس وتطهيرها والتعمق في الدين وهذا الأمر لا يتطلب الثقافة الواسعة. (ويبدو أن تغلغل التصوف في مختلف الأوساط وخاصة بين العوام قد اقترن بالميل إلى رواية الأخبار العجيبة عن الأولياء وما يصدر عنهم من كرامات وخوارق لم يفتأ هذا الاتجاه

1.) –مختار فيلالي: **نشأة المرابطين** ، مرجع سابق، ص 25

2.) – ألفريد بيل /**الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم** ،ترجمة عبد الرحمان بدوي ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت1981،ص 378.

3.) – مختار فيلالي: **المرجع السابق**، ص 25.

4.) – ديوب محمد: **دور حركة صوفية المغرب الاسلامي في الحياة الثقافية والفكرية وتفاعلاتها بالمشرق**، مجلة حولية المؤرخ، العدد 02، 2002، ص 105 .

5.) – الطاهر بونابي: **التصوف في الجزائر**،مرجع سابق، ص 46.

يزداد تضخما بمرور الزمان وخاصة بعد تأسيس الطرق الصوفية منذ أواخر القرن التاسع الهجري)[1].

وقد تركز التصوف في بداية الامر بالمدن التي كانت مراكز للحضارة الإسلامية بينما الأرياف كانت مهملة، وفي القرن السابع الهجري "13 م"، بدأ التصوف ينفذ إلى سكان الأرياف والبوادي بفضل سكانه الذين تعلموا في المدن فأسسوا زوايا وبدأوا في تدريس مبادئ التصوف وترويض الناس على المجاهدات[*] الصوفية الضرورية لسلوك الطريق[2]، ومن الطرق الأولى التي نشأت في المغرب الإسلامي في القرن السابع الهجري "13م"الطريقة القادرية والشاذلية,وبدأ يبرز شيوخ التصوف خاصة في القرن التاسع الهجري (15 م) مثل ولي وهران محمد الهواري المتوفي (1439م) الذي أقام زاوية يجتمع فيها الفقراء للذكر ويدرس فيها الطلبة، وكذلك محمد السنوسي المتوفي (1490م) وله عدة مؤلفات منها: "نيل الابتهاج والبستان"[3].

وشيوخ الزوايا والرباطات قاموا بنشر تعاليم الإسلام في كافة المناطق والتي أصبحت في متناول فهم العامة كما اهتموا بشرح متون الكتب والتي يحفظها الطالب بعد أن يحفظ القرآن كله.

ويرجع نجاح الشرفاء في القرن السادس عشر ميلادي إلى غزوات المسيحيين وعجز الحكومة القائمة آنذاك عن ردعهم، فأثار الصوفية ورجال الطرق الحمية الدينية في المدن والأرياف من أجل مقاومة الغازي المسيحي وحماية البلاد، (ومن الصفات المطلوبة في الصوفي هي العبر في الشدائد وتحمل الآلام والفتوة التي تجعله يحتقر الإهانات ويكرس نفسه لخدمة الآخرين خصوصا الضعفاء وكذلك المجاهدات الزهدية الشديدة... ومناقب السالك في الطريق للوصول إلى المعرفة الكاملة هي المنازل[**] التي تعتبر الموضوعات الرئيسية في تعاليم الصوفية)[4].

وقد لعبت الحركة الصوفية دورا أساسيا في رسم معالم الحياة الدينية والاجتماعية في الأقطار المغربية ومنها الجزائر ولم تعد هذه الحركة تقتصر على جماعة من الزهاد والمتصوفين بل شملت كافة المجتمع وانتشرت الألقاب مثل الولي، الغوث، القطب، ومعرفة علم الحقيقة وبدأ الناس يقبلون على المجاهدة وينخرطون في الزوايا ويؤمنون بالأولياء وكراماتهم، وأصبح المتصوفة يمثلون قوة روحية[5].

ونستطيع القول أن التصوف العملي أو الطرق الصوفية أول ما وجدت وجدت في بلاد القبائل (بجاية) والمناطق المحيطة بها لأنها كانت مركز إشعاع بواسطة رجالات

1.(– عبد الحميد حاجيات: **سيدي محمد الهواري شخصيته وتصوفه،** مجلة الثقافة عدد 88، أغسطس 1985، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ص 87.

(*)– **المجاهدات**: هي الصلاوات ,الأذكار, القراءات,الدعوات والتأملات,والمحاسبات,الخلوة,التهجدات,الصوم,المجاهدات البدنية وتسمى عند البعض بالرياضات.

2.(– ألفريد بيل: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي،** مرجع سابق ، ص 405.

3.(– المرجع نفسه، ص 406.

(**) – **المنازل** هي (الإرادة، الزهد، التوكل، الصبر، الحزن، الخوف، الرجاء، الشكر، المحبة، التوبة، الأنس).

4.(– ألفريد بيل: **المرجع السابق،** ص 384.

5.(– إبراهيم مياسي: **لمحات من جهاد الشعب**،مرجع سابق، ص 315.

التصوف الكبار من أمثال أبي مدين وأبو زكرياء الزواوي ويحي العيدلي وأحمد زروق ومنها انتشر التصوف إلى مناطق المغرب الأوسط.

ومما سبق نستنتج أن التوصف في الجزائر قد مر بمرحلتين أساسيتين فالمرحلة الأولى هي مرحلة التصوف النخبوي في القرن (11-12-13 م)، وكان مقتصرا على طبقة معينة من المتعلمين ومركّز في الحواضر الكبرى مثل(بجاية وتلمسان ووهران).

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التصوف الشعبي في القرن (15 م) حيث تميز بالانتشار الكبير للزوايا والرباطات في الريف خاصة، وانضواء آلاف الناس تحت لوائها وبهذا ظهرت الطرق الصوفية وانتشرت في مختلف أرجاء القطر كالقادرية والمدينية والشاذلية والرحمانية والتيجانية.

المطلب الثاني: الطرق الصوفية ودورها في العهد العثماني:

01- الطرق الصوفية:

إن الجزائر قبل مجيء العثمانيين كانت من الناحية الصوفية تحت نفوذ الطريقة الشاذلية والقادرية، وظهرت الزوايا في المغرب الإسلامي منذ القرن الثالث عشر الميلادي حيث حلت تدريجيا محل الرباط ثم تطورت مهامها على يد المرابطين، وفي هذه الرباطات الجهادية تكونت الطرق الصوفية ونمت وانتشرت بكثرة في القرن الخامس عشر الميلادي كرد فعل على الغزو الصليبي لثغور الجزائر وسقوط الأندلس.

أما الجزائر فقد بدأت تظهر فيها الطرق الصوفية منذ بداية القرن السادس عشر، ثم أخذت تنمو وتتسع حتى انتشرت على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر [1].

ومعظمها فروع لطرق أخرى خارج الجزائر والبعض أصلي ومحلي، اتخذت لنفسها فروع كثيرة فقد ذكر الضابط "لويس رين" أن للشاذلية وحدها واحد وعشرين فرع في الجزائر والتيجانية لها فروع في معظم بلدان القارة الإفريقية ومصر والحجاز وحتى في أروبا وأمريكا، وكذلك الأمر بالنسبة للسنوسية والرحمانية والعلوية التي لها فروع في تونس والمغرب الأقصى ومصر والحجاز وفرنسا وانجلترا[2].

وإذا كانت القادرية أقدم طريقة صوفية في العالم الإسلامي نشأت في المشرق العربي وامتدت إلى المغرب العربي، فإن الطريقة الشاذلية المشيشية المدينية نشأت في المغرب العربي وامتدت نحو المشرق[3].

1.(1) –فيلالي مختار:**نشأة المرابطين**، مرجع سابق، ص 34.
2.(2) – يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر**، مرجع سابق ،ص 342.
3.(3) – http// www. al fadjr.com.phpçcode8539.

ولقد احتضن المجتمع الجزائري الكثير من الطرق الصوفية ويعد الشيخ أبا مدين شعيب شيخ مدينة بجاية الرئيس الأقدم للطرق الصوفية المنتشرة في الجزائر [1]، ومن أهم الطرق الصوفية التي عرفتها الجزائر خلال العهد العثماني ما يلي:

أ- الطريقة القادرية:

تعتبر أول طريقة صوفية ظهرت في العالم الإسلامي وأقدمها وجودا في الجزائر، تنتسب إلى مؤسسها العارف الرباني القطب الغوث سيدي عبد القادر الجيلاني[*] (**أنظر الملحق رقم 02**)وقد لقب بسلطان الصالحين وأعظم الأولياء والأتقياء[2].اعتكف على الدراسة والتعلم وتضلع في الفقه الحنبلي وبرع في جميع العلوم حتى كاد يعد للمناظرة وفي ثلاثة عشرة فنا [3]، وألف عددا من الكتب في الأصول والفروع وأدعية وأوراد في التوسل إلى الله، واشتغل بالتدريس والفتوى في بغداد ومال إلى حياة الزهد والتصوف وألف طريقته الصوفية القادرية[4]، وقد طاف أنحاء عديدة من العالم الإسلامي ليوصل طريقته التي وضع لها سبع دعائم، (المجاهدة، التوكل، حسن الخلق، الشكر، الصبر، الرضى، الصدق). وطريقته مبنية على الكتاب والسنة وسلامة الصدر وسخاء اليد وبذل الندى وكف الجفاء وحمل الأذى والصفح عن عثرات الإخوان حسب وصيته لأبنه عبد الرزاق[5].وتعد هذه الطريقة أوسع الطرق الصوفية في العالم، وكان لرجالها الفضل الكبير في نشر الإسلام في إفريقيا وآسيا ومقاومة الاستعمار [6].

دخلت هذه الطريقة وسط إفريقيا في القرن الخامس عشر ميلادي، ثم انتقلت إلى المغرب العربي عن طريق مصر والأندلس وتقوم هذه الطريقة أساسا على العلم والفقه والدعوة الدينية[7].ولها عدة فروع (**أنظر الملحق رقم03**).

وعليه فإن الطريقة وجدت في الجزائر قبل العهد العثماني، وعن دخولها إلى الجزائر فيعود ذلك إلى الشيخ سيدي أبي مدين شعيب الذي تتلمذ على يد شيخها وأخذ عنه التصوف وألبسه الخرقة في لقائهما بالحج وكما كان لقدوم إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني من المشرق إلى المغرب الأقصى ثم انتقاله إلى الجزائر واستقراره بالأوراس حيث أسس الزاوية القادرية ببلدة منعة [8]، بالإضافة إلى تلاميذ أبي مدين أبرزهم محي الدين بن عربي وعبد السلام بن

1.(- محمد الصالح آيت علجت :**صحف التصوف الجزائري من1920الى 1955**,ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 2001، ص 34.

(*)- **عبد القادر الجيلاني:** هو أبو محمد عبد القادر الكيلاني بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحي بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- ولد سنة (470 هـ/1077)، ببلدة جيلان أو كيلان الموجودة حاليا بالأراضي الإيرانية قرب مدينة طبرستان وفيها تلقى مبادئ الشريعة الإسلامية، ثم رحل الى بغداد مجمع العلماء والفلاسفة والفقهاء والشعراء، قضى بها سبعين سنة، عاصر خمس خلفاء عباسيين، له عدة مؤلفات منها: (الفتح الرباني والفيض الرحماني، الغنية لطالبي طريق الحق، وسير الأسرار). توفي سنة (561هـ/1176م)، أنظر **الغوث** الأعظم، ص 12. و**الغنية** لطالبي الحق،ص 03.

2.(- ايدوارد دونوفو: **الإخوان** ، مرجع سابق،ص 29.

3.(- الشيخ عبد القادر الجيلاني**: السفينة القادرية**، مكتبة المنار تونس، ب.ت.ط ، ص 94.

4.(- يحي بوعزيز: **موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر**،دار الهدى،2004، ص 440.

5.(- إبراهيم مياسي: **لمحات من جهاد الشعب**، مرجع سابق ،ص 216.

6.(- إسماعيل ابن السيد محمد سعيد: **الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية**، دار الهدى عين مليلة، الجزائر 2004، ص 27.

7.(- أحمد الخطيب: **جمعية العلماءالمسلين الجزائرين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1985، ص 57.

8.(- صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية**، مرجع سابق،ص 146.

مشيش (*) وأبي الحسن الشاذلي (**) ومنه انتقلت إلى الشيخ مصطفى بن محمد بن المختار الغريسي(***) الذي يعد أول من أسس فرعا للقادرية سنة 1200 هـ الموافق لـ: 11/04/ 1785 م سميت بزاوية القيطنة(****) بالقرب من مدينة معسكر[1]، ومنه انتقلت إلى الشيخ محي الدين(*****) والد الأمير عبد القادر الذي أصبح شيخ الزاوية بعد وفاة أبيه وأقبل عليه طلاب العلم والمعرفة ومريدوا الطريقة والتصوف واشتهر بالصلاح وغزارة العلم ومقاومته لسياسة الظلم ،ولذلك وشى به بعض خصومه إلى الباي حسين بن موسى بوهران فوضعه تحت الرقابة[2] ، وبعد وفاته سنة 1833 م خلفه ابنه عبد القادر الذي تصوّف وألف موسوعته بدمشق (1856/1883)بعنوان (المواقف في علم التصوف وفنونه وآرائه) [3].

وكان العثمانيون قد شجعوا القادرية في أول أمرهم فلما صاروا أسيادا على البلاد اضطروا الى اتخاذ سياسة صوفية واعتمدوا على جماعة القادرية (وأحاطوهم بالدعاية ومظاهر الاحترام ورفعوا من شأنهم في نظر العامة ولم يقصروا في مجازاة خدماتهم بسخاء) [4] وميلهم للقادرية كان لأسباب نذكر منها أن سلطان القسطنطينية كان حاميا لهذه الطريقة في المشرق، ثم أن الجهاد الديني ضد الإسبان يتطلب سياسة المهادنة والتقرب خاصة وأن شيخ هذه الطريقة عرف بالغرب الجزائري بمولاي عبد القادر يتردد اسمه كثيرا على الألسنة ويتداوله الفقراء عند طلبهم الصدقة ويستنجد به البؤساء وحتى المرأة في مخاض ولادتها بقولهم "يا سيدي عبد القادر" [5]، ومن الملاحظ كذلك أن بعض الحجاج من الجزائريين من العلماء والصالحين كانوا يتوجهون بعد أداء فريضة الحج إلى بغداد لزيارة ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني وكانت تلك الزيارة جزء مكمل للحج[6].

وكانت الزاوية الأم ببغداد هي مقر الطريقة القادرية، و يزور بعض مقدميها من بغداد الجزائر لتثبيت المقاديم وعزلهم وتوجيههم ويتركون لهم تعليمات روحية ويرتحلون[7]، ونجد

(*)– **عبد السلام بن مشيش** بن أبي بكر الحسيني ولد في جبل بني عروس شمال المغرب الأقصى، تتلمذ على يد أبي مدين ببجاية وعنه أخذ التصوف يمتاز تصوفه بالاعتدال، ارتفع بمبدأ النهي عن المنكر والأمر بالمعروف إلى درجة الجهاد، توفي سنة 625 هـ من آثاره: صلوات ابن مشيش، أنظر **الأعلام** ج4، ص 09، و **معجم** مشاهير المغاربة، ص 500.

(**) – **أبي الحسن الشاذلي**: هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف أبو الحسن الهذلي الشاذلي مولود بالمغرب الأقصى ببلدة غمارة قرب مدينة سبتة سنة 593 هـ فيها درس العلوم الدينية والصوفية ثم اتجه إلى تونس واستقر ببلدة شاذلة التي أنسب إليها وعرف بها فيما بعد ثم رحل إلى الإسكندرية، توفي سنة 656 هـ ودفن بالصعيد المصري وهو في طريقه إلى بيت الحرام. له مؤلفات "الحزب المشهور، رسالة الأمين في آداب التصوف".

(***) – توفي سنة 1212 هـ وهو راجع من حجته الرابعة ببرقة قرب درن من قرى ليبيا عند عين غزالة بساحل البحر وقبره هناك معرف

(****) – **القيطنة**: هي قرية بواد الحمام المعروف بحمام بو حنيفية، تبعد عن مدينة معسكر بحوالي 30 كم.

1)– إبراهيم مياسي/ **لمحات من جهاد الشعب**، مرجع سابق ،ص 217.

(*****) – **الشيخ محي الدين**: ولد بوادي الحمام سنة (1190 هـ/1776 م)، درس على يد أبيه مصطفى الغريسي ، حج مع ابنه عبد القادر سنة 1826م زار بغداد وأخذ منها الإجازة بالطريقة القادرية، أعلن الجهاد ضد فرنسا سنة 1832 م، توفي سنة 1833م.

2)– يحي بو عزيز: **موضوعات وقضايا**، مرجع سابق، ص 343.

3)– المرجع نفسه ، ص 444.

4)– الفريد بيل: **الفرق الإسلامية**، مرجع سابق، ص 430.

5)– دونوفو: **الإخوان** ، مرجع سابق، ص 29.

6)– أبو القاسم سعد الله :**تاريخ الجزائر الثقافي** ج1،مرجع سابق، ص 520.

7)– LOUIS RINN. **Marabouts et khouans** étude sur l 'islam en algerie. Alger.adolphe jourdan

الزوايا القادرية منتشرة في كل من: توات، أدرار جنوبا، الغزوات، وهران، معسكر غربا، الميلية والأوراس شرقا، وحسب إحصائية 1882 م بلغ عدد زوايا القادرية 29 زاوية و268 مقدما وأتباعها 14574[1] .

وفي سنة 1897 م ظهرت إحصائيات أخرى في كتاب(**الطرق الدينية الإسلامية)** لأوكتاف ديبون وإكزافييه تذكر الأعداد التالية: الإخوان 25578، منهم 2695 امرأة و 558 مقدم، 33 زاوية، 521 طلبة، 04 شيوخ[2]. ومن أهم زوايا القادرية في الجزائر بمنطقة الغرب (وادي الخير بمستغانم، تلمسان، ندرومة، الرمشي، بلعباس، معسكر) أما في الشرق فقد بلغت 15 زاوية في كل من (قسنطينة،تبسة،قالمة،سوق أهراس ،سكيكدة، الميلية،مسكيانة،أم البواقي، القالة، منعة....)أما في الجنوب فنجد وادي سوف ورويسات بورقلة[3].

ب/ الطريقة الرحمانية: مؤسس هذه الطريقة هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري[*] وقد نشأ في بلاد زواوة [**]، ذات الجبال الشاهقة الوعرة والأشجار العالية والطبيعة الخلابة، تقع بين بجاية شرقا ودلس غربا، ووسطها مشهود له بالعلم والمعرفة، حيث كانت (من المراكز التي عرفت في أنحاء الجزائر بالحذق في القراءات حتى أنها كانت مقصودة العلماء للإتقان والبراعة) [4]. ومدرسة هامة لعلم النحو. الأمر الذي جعلها قبلة طلاب العلم والعلماء [5] وكانت بها زوايا عديدة مثل زاوية بن اعراب الذائعة الصيت، كل هذه العوامل قد ساهمت في تكوين هذه الشخصية العلمية وفي إعداده الصوفي، ومن أشهر العلماء الذين درس عندهم الشيخ الأزهري الشيخ بن أعراب الذي زار مصر وعاد منها بثقافة واسعة نشرها في زاويته المعروفة باسمه في قرية آيث ايراثن[6]، ثم توجه إلى المشرق طلبا للعلم سنة 1152 هـ/1739م، وأداء فريضة الحج وأثناء عودته استقر به المقام

1884. p 171

1– L. rinn. **Ibid**. P 200

2– عبد الباقي مفتاح: **أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته،** دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 313.

3– المرجع نفسه، ص 314.

(*)– هو محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن يوسف بن أبي القاسم بن علي بن إبراهيم بن عبد الرحمان البذي يرتفع اسمه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد ما بين (1133/1126 هـ) الموافق 1720 م بقرية بو علاوة بعرش أيث اسماعيل من إقليم قشتولة من أرض جرجرة وزواوة، لقب بالجرجري نسبة إلى جبال جرجرة والأزهري لأنه درس بالأزهر تعلم بزاوية الشيخ الصديق بن أعراب بأبث ايثراثن، ثم توجه إلى المشرق لتكملة دارسته ومن هناك أخذ الطريقة الخلوتية، من أشهر مؤلفاته: رسالة فتح الباب وطي الأنفاس ودفتر الدفاتر وزلزلة النفوس، توفي سنة 1208 هـ/1794م، أنظر عبد الباقي مفتاح: **أضواء على الطريقة الرحمانية**. ص ص 63-76.

(**)– **زواوة:** أشتقت من كلمة أقاوا "جمع أقاواون" الدالة على مجموعة من الأعراش والقبائل القاطنة شمال جبال جرجرة نذكر منهم "آيت عيسى آيث صدقة، آيث بطرون، آيث منكلات، آيث إسماعيل..."شكلت قبيلة كبيرة من قبائل البربر من أكبر بطون قبائل البتر. أنظر محمد أرزقي: **زواوة أم قبائل،** جريدة الشروق، عدد 2287، 2008/04/28 ، ص 23.

4– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر الهجري** ج2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1980، ص 21.

5– ابو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي،** المرجع السابق، ص 163.

6– عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام** ج4، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1994، ص 47.

بالأزهر فترة طويلة[1] قدرت بثلاثين سنة فلازم العلماء لتحصيل العلوم الشرعية وأخذ جميع الفنون كما حكى ذلك بنفسه بقوله: "قدمت إلى مصر... وشرعت في قراءة جميع الفنون في الجامع الأزهر"[2]، وهذا ما يؤكد أنه خريج مدارس عالية المستوى في الفقه والشريعة عامة، وأهم شيخ أخذ عنه التصوف هو محمد بن سالم الحفناوي[*] الذي أدخله الطريقة الخلوتية التي تمتد إلى الطريقة السهروردية نسبة إلى أبي نجيب عبد القادر السهروردي [**] تتلمذ على يده الحفناوي شيخ الأزهري "ولما رأى الشيخ من تلميذه محمد بن عبد الرحمان تمكنه من العلم واقتداره على التربية والتوجيه ولمس فيه الصلاح للدعوة كلفه بالذهاب إلى السودان"[3]، وبقي فيها زهاء ست سنوات في منطقة دارفور، التي نشر فيه الطريقة، ثم رجع إلى مصر وألبسه شيخه الحفناوي الخرقة وطلب منه العودة إلى الجزائر سنة 1769م، ولدى عودته إلى الجزائر قام بتأسيس زاوية في مسقط رأسه في ايث إسماعيل[4].ومنها إنطلق في نشر تعاليم الطريقة الخلوتية التي عرفت باسمه فيما بعد -بالرحمانية- ولقيت إقبالا كبيرا من طرف سكان المنطقة[5]. وقد جر نجاحه في اكتساب المريدين حسد أهل بلده فهاجر إلى العاصمة وأقام فيها بمنطقة الحامة وأسس زاوية أخرى [6] لمواصلة تعليمه ونشر طريقته وتربية المريدين خاصة تلقين الأوراد، ولقي استحسانا وإقبالا كبيرين مما أثار مخاوف المرابطين والسلطة العثمانية وحوكم أمام المجلس العلمي الذي أكد براءته، وأمام هذه المضايقة عاد إلى زاويته بآيت إسماعيل وبها توفي بعد أشهر قليلة من عودته [7]، وقد توفي ولم يترك واحدا من صلبه وإنما أولاده هم تلاميذه الذين أصبحوا مشايخ للطريقة الرحمانية الأزهرية[8]. وتولى الزاوية بعد توصية منه علي بن عيسى الذي ازدادت الطريقة في عهده نجاحا واتساعا، فتخوف الأتراك من ذلك وقاموا بمحاولة وضع حد لتدفق الزوار على الزاوية الأم آيت إسماعيل فرأوا أن يقوموا باستخراج جثمانه من القبر ودفنه بالعاصمة لتحويل الأنظار عن الزاوية الأم مما يسهل عليهم أمر مراقبة أتباعه، وفعلا نقل جثمانه إلى الحامة وبنو له مسجد ولقب منذ ذلك "ببوقبرين"[9]. وقد ترك من ورائه تلاميذ عملوا على نشر هذه الطريقة وأسسوا مجموعة كبيرة من الزوايا في مختلف أنحاء التراب الجزائري، خاصة في الشرق والوسط والجنوب وحتى في تونس[10]،

---

1)- مختار فيلالي: **نشأة المرابطين**،مرجع سابق، ص 40.

2)- مناقب الشيخ الأزهري : **مخطوط** لعلى بن عيسى العفوني بالمكتبة الوطنية بالحامة، رقم 945، ص2 .

(*) - هو شمس الدين محمد بن سالم الشافعي الخلوتي ولد ببلدة حفنة بالأقصر وبها نشأ ونسب إليه الحفناوي، تعلم بالأزهر وتولى التدريس فيه وولي مشيخته وهو فقيه ونحوي ورياضي، من تصانيفه: "حاشية على شرح رسالة للسعد"، توفي سنة 1181 هـ.

(**)- هو أبو النجيب عبد الله بن محمد بن عموية، اسمه عبد الله الملقب بضياء الدين السهروردي (563/490 هـ)، تتلمذ على يد أحمد الغزالي مؤلف كتاب آداب المريد وكتاب شرح أسماء الله الحسنى.

3)- عبد القادر عثماني: **الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري**، مجلة منبر الإمام مالك، ع4، دار الهدى عين مليلة، الجزائر 2002، ص 12.

.4)- عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق ص 47.

.5)- صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية**، مرجع سابق، ص 156.

8)-عبد الرحمان الجيلالي: **المرجع السابق** ،ص 48 .

http./el-hamel.aspace.com/soufisme/rahmanya.htm. -(9 .

. 10)- ماجدة القاسمي الحسني: **الطريقة الرحمانية أركانها وأصولها**- دراسة تحليلية نقدية- رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2000، ص 39.

.9)- مختار الفيلالي: **نشأة المرابطين**،مرجع سابق، ص 44.

.10)- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي** ج1،مرجع سابق، ص 515.

ومن هذه الزوايا"زاوية صدوق، برج بن عزوز، طولقة، أولاد جلال، خنقة سيدي ناجي، وقسنطينة.." [1]. وحسب احصائية عام 1892م للمستشرق- رين - بلغ عدد زوايا الطريقة الرحمانية 177 زاوية وأتباعها 156214 خونيا[2].

جـ/ الطريقة التيجانية:

تعود نشأة الطريقة التيجانية بحسب العديد من المؤرخين إلى مؤسسها التيجاني[*] وهو الخليفة الأول للطريقة وواضع أسسها التي تقوم على مبايعة الخليفة من أبناء التيجانية عملا بمبدأ الأكبر سنا[3]، ويقال أنه مال للتصوف وطريق الصوفية وعمره عشرون عاما، فدرس علومها واطلع على بعض أسرارها[4]،وجمع من خلال رحلاته أراء وأفكار الطرق الصوفية في العالم الإسلامي وشكل من ذلك كله مذهب صوفي واستطاع أن يجمع عدد كبير من الأتباع والمريدين الذين يؤمنون بجملة من الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي صلى الله عليه وسلم [5]، وقد أعلن أمام جمهور مريديه في بوسمعون عام 1196 هـ بأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي أمره بترك جميع الطرق الصوفية الأخرى[6]، وأمام نشاطه المتزايد وجولاته المتعددة عبر الصحراء الجزائرية وحتى خارج الجزائر كالسودان وتونس وإنشائه لمجموعة كبيرة من الزوايا أثار قلق الأتراك فاستولى باي وهران على مدينة عين ماضي مقر الطريقة سنة 1784م.

وفرض عليها إتاوة،فقرر الهجرة مع إتباعه وأهله إلى المغرب واستقر بمدينة فاس ومنحه سلطان المغرب مولاي سليمان قصر بحوش المرايا لإقامته الخاصة، مع راتب وتفرغ لنشر طريقته وبث تعاليمه[7]،وبعد أن أسس زاويته بمدينة فاس بحي البليدة ظل بها

حتى أدركته الوفاة، وكان يقول (أن سنده الحقيقي وأستاذه في طريق التصوف هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن ما تلقاه من المشايخ الآخرين من الأوراد والسلاسل والعهود لم يرو ضمأه ولم يحقق له المقصود) [8]. وقد قام ولداه محمد الكبير ومحمد الصغير بثورة ضد الأتراك 1826-1827 كرد فعل على استفزازهم وظلمهم، لكنهما فشلا ومات

1.(– صلاح مؤيد/**الطرق الصوفية والزوايا**، مرجع سابق، ص 162.

2.(- المرجع نفسه : ص 158.

(*) – هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التيجاني، ولقب بالتجاني نسبة إلى قبيلة بنوا توجين التي استقرت قديما بعين ماضي قرب مدينة الأغواط سنة (1150 هـ/1737 م)، بدأ دراسته الأولى بمسقط رأسه حيث حفظ القرآن وتلقى العلوم العربية والفقه المالكي، سافر إلى مدينة فاس ودرس علم التصوف، ثم تتلمذ على يد عبد الرحمان الأزهري، ثم اتجه الى تونس ثم مصر ثم البقاع المقدسة التقى بمجموعة من العلماء مثل محمد الكردي في مصر والشيخ السمان في السعودية، ثم رجع إلى عين ماضي وقام بتأسيس زاويته، توفي سنة (1230 هـ/1815 م)، من مؤلفاته "الإرشادات الربانية، جواهر الحقائق، التعرف بحقيقة سيد الخلائق".

3.(– http://www.alarabiya.net/articles/2006/11/29/29482.html

(4)– فيلالي مختار: **المرجع السابق**، ص46.

(5)– http://www.saaid.net/feraq/mathahb/22.htm.

(6)– فيلالي مختار: **المرجع السابق**،ص 48.

(7)– صلاح مؤيد: **المرجع السابق**، ص 177.

(8)– أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي** ج1، مرجع سابق ،ص 519.

محمد الكبير سنة 1827 [1]. وقد انتشرت هذه الطريقة في المغرب الأقصى و إفريقيا السوداء وحتى في تركيا[2] وفي السنغال ونيجريا والسودان والغابون والكونغو ومصر وبلاد العرب وبعض أجزاء آسيا.

والملاحظ أن الطريقة التيجانية لم يكن انتشارها واسع في الجزائر فقد تركزت معظم زوياها في الصحراء ولعل ذلك يرجع إلى "تطرف مؤسس الطريقة الشيخ أحمد التيجاني بإعلانه أن النبي أمره أن يتخلى عن كافة الطرق وأن من رآه يدخل الجنة بغير حساب"[3] بالإضافة إلى بروز نشاط النهضة الفكرية ومضايقة الأتراك لدرجة إعلان الثورة كما رأينا.

وقد بلغ عدد زوايا هذه الطريقة سنة 1882م 17 زاوية، 100 مقدم، 11082 مريد [4]، ومن أهم زوايا هذه الطريقة عين ماضي بها 15000 مريد، وزاوية تماسين قرب توقرت 40000 مريد"[5]، دون أن ننسى زاوية قمار بوادي سوف وزاوية ورقلة.

د/-الطريقة الشاذلية: تنتسب هذه الطريقة إلى الشيخ أبو الحسن علي ابن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المولود في المغرب الأقصى ببلدة غماره قرب مدينة سبتة سنة 593 هـ، ومن أهم العلماء الذي درس على يدهم القرآن والعلوم الدينية واللغوية والصوفية عبد السلام بن مشيش[6]، ثم اتجه إلى تونس واستقر ببلدة شاذلة التي نسب إليها وعرف بها فيما بعد وهي من مدن تونس،و دخل إلى الإسكندرية وفي طريقه إلى بيت الحرام توفي ودفن بالصعيد المصري سنة 656 هـ ، وقد كان عالما عارفا بالعلوم الظاهرة جامعا لدقائق فنونها وعيونها من حديث وتفسير وأصول ونحو وصرف ولغة وحكمة وآدابا، له آ ثار منها – الحزب المشهور ورسالة الأمين في آداب التصوف-[7] ، انتشرت في مراكش ومنها انتقلت إلى الجزائر خاصة في الغرب والجنوب الغربي، ومن فروعها (الزيانية، الحنصالية، الدرقاوية، الطيبية، الزيانية، الزرواقية، اليوسفية، الشيخية) [8]

هـ/-الطريقة الدرقاوية: نسبة إلى مؤسسها الأول الشيخ محمد العربي بن أحمد بن الحسين بن محمد بن يوسف الملقب بأبو درقاوي الشريف الإدريسي[9]، ولد في قبيلة بني

زروال بضواحي مراكش (1150 هـ/1737م)، اشتهر بالإستقامة والزهد في متاع الدنيا واحتقار السلطان، أسس زاوية له في بوبريج،وطريقته تستمد أصلها من الطريقة الشاذلية[10]، انتشرت في غرب الجزائر "وهران، مستغانم، الونشريس، تلمسان، تيارت" في بداية القرن التاسع عشر على يد عبد القادر بن الشريف الذي قام بثورة على الأتراك وبايات الغرب الجزائري دامت أكثر من عشر سنوات[11] وأعلنت الطريقة كذلك الثورة على

---

(1)– فيلالي المختار: **نشأةالمرابطين**،مرجع سابق، ص 49.

(2)– gouvernement général de l'Algérie : **service de l'action administrative** et econmique bulletin de liaison et de documentation – Février –Mars 1956- p17.

(3)– فيلالي المختار: **المرجع السابق**، ص 49.

(4)– LOUIS. RINN : l**es marabouts**,opcit p451.

(5)– government general:opcit p.17

6)– صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية والزوايا**، مرجع سابق، ص 149.

7)– المرجع نفسه ، ص 151.

8)– أحمد الخطيب: **جمعية العلماء وأثرها**، مرجع سابق ،ص 58.

9)-فيلالي مختار: المرجع السابق، ص 53 .

10)- صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر**، مرجع سابق,ص 230 .

11)- فيلالي مختار: **نشأة المرابطين**، مرجع سابق، ص 55 .

الأتراك في شرق الجزائر بقيادة محمد بن الأحرش الذي أيده بعض المرابطين، بقيت الطريقة وراء الكثير من الثورات التي قامت ضد الحكم العثماني والاحتلال الفرنسي فيما بعد [1] وقد بلغ عدد الزوايا الطريقة الدرقاوية سنة 1882 م 32 زاوية، و 268 مقدم و 1474 مريد [2] ومن زوياها في الجزائر زاوية سيدي عدي قرب تيارت "4000 مريد" تسيرها عائلة غلام الله، وزاوية معسكر تديرها عائلة شنتوف[3]ومن أهم فروعها الكتانية والهبرية والحراقية.

و/-الطريقة السنوسية: أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسن الإدريسي، ولد سنة (1202 ه/ 1787م) ببلدة يلل قرب مستغانم، وسبب إشتهاره بالسنوسي يعود إلى جدهم الذي لقب نفسه بذلك تبركا بالشيخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي صاحب التآليف المعروفة وعالم تلمسان[4]، حفظ القرآن وتلقى دراسته الأولى في معسكر "مازونة" بتلمسان علي يد علماء المنطقة مثل محمد بوراس ومحي الدين بن شهلة ومحمد بن عبد القادر والشيخ بن قندوز، وأخذ الصوفية في فاس على يد العربي بن أحمد الدرقاوي وعاد إلى الجزائر وجال عدة مناطق مثل الأغواط والجلفة ومسعد وعين ماضي وبوسعادة ثم نحو تونس وطرابلس والقاهرة ومكة المكرمة[5] أسس في مكة أول زاوية له سنة 1837م في جبل أبي قبس،ورفض الفتوى التي قدمها الجاسوس المعروف ليون روش والتي تطلب من العلماء إيقاف معركة الجهاد ضد الغزاة، إذ أنهم لا يستطيعون التغلب عليهم والرضا بقضاء الله وقدره في هذه الحالة[6].

عاد إلى الجزائر وعندما وصل إلى قابس جنوب تونس علم بمساعي الفرنسيين للقبض عليه فرجع واستقر ببرقة وأسس بها زاويته التي عرفت بالزاوية البيضاء قرب الجبل الأخضر ثم نقل مركز الزاوية إلى جغبوب التي أنشأ بها أكبر الزوايا السنوسية، توفي في واحة سيوة في ليبيا سنة 1859 [7] ولهذه الطريقة فضل كبير في نشر الإسلام بوسط إفريقيا خصوصا[8] له من المؤلفات ما يفوق الأربعين منها (السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين- نزهة الجنان في أوصاف تفسير القرآن).

ز/الطريقة الزيانية: شيخها محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن أبو زيان الإدريسي، عرف بالقندوسي نسبة إلى القنادسة[*] وولد بقصر تاغيت "زوزفانة" **(1062** هـ/ **1650** م) وفيها حفظ القرآن ومبادئ الدين واللغة ودرس في زاوية الشيخ المبارك بن العربي السجلماسي ثم

---

1)- صلاح مؤيد **:المرجع السابق** ،ص 213.

(2 LOUIS RINN / **marabous et khouans – opcit .p.235.**

3)– gouvernement général **:service de laction**, opcit. P17

4)– صلاح مؤيد: **المرجع السابق** ، ص 182.

5)– المرجع نفسه، ص 183.

6)- نفسه، ص 184.

7)- أحمد الخطيب / **جمعية العلماء وأثرها**، مرجع سابق، ص 58

8)- أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 378

(*) واحة جنوب غرب بشار تبعدها ب 17 كلم.

توجه إلى فاس التي بقي بها ثماني سنوات[1] ، وفيها درس مختلف العلوم الدينية وعلم التصوف ليعود إلى القنادسة ويستقر به المقام ويؤسس طريقته الزيانية ويبني زاويته العامرة التي توفي بها سنة 1145هـ[2]

ح /**الطريقة الطيبية:** أسسها مولاي عبد الله إبراهيم (**1089 هـ/ 1678م**)، ولد في قبيلة برج عروس ودرس في تيطوان وفاس، انتشرت هذه الطريقة في الجنوب الغربي لوهران ومعسكر وقسنطينة، وطريقته نسبت إلى ابنه مولاي الطيب، كانت له علاقة طيبة مع الأتراك، إذ نجد أحد بايات الغرب الباي حسين قام بشراء دار بساتين بمثقال من الذهب وجعلها وقفا على الزاوية الطيبية بتلمسان سنة **1173** هـ، أما في الشرق فقد مثل الطريقة محمد بن بكر مقدم الطريقة في قسنطينة **1314** هـ. [3]

ط/**الطريقة العيساوية** : تنتسب لمحمد بن عيسى الإدريسي في مكناس من قبيلة سفيان، ولد (**1467**م)، أسس الزاوية العيساوية بباب البرادين بمكناس [4] وانتشرت في بعض المناطق الجزائرية خاصة جنوب وهران وأم البواقي .[5]

ي/**الطريقة اليوسفية:** تنتسب إلى الشيخ أحمد بن يوسف الهواري الملياني، أسس طريقته على مبادئ و تعاليم الطريقة الشاذلية، عرفت هذه الطريقة انتشارا واسعا في الجزائر و المغرب الأقصى و كثر أتباعها ومريدوها، و لعبت دور سياسي بارز في الجزائر و المغرب الأقصى انطلاقا من زاويته راس الماء بمليانة، توفي سنة **831** هـ[6]

ن/**الطريقة الحبيبية:** تنتسب إلى محمد بن الحبيب الأمغاري الإدريسي ولد بقرية مدغرة ناحية فقيق "فاس" وفيها نشأ و درس القرآن و العلوم العقلية و النقلية، أخذ الطريقة على يد محمد بن على الصوفي[7] ، وإذا كانت الزاوية الأم توجد بمدينة مكناس فإن الطريقة إنتشرت إنتشارا واسعا في بعض جهات الجزائر، وأسست لها زوايا وأصبح لها أتباع خاصة في ورقلة و عنابة و معسكر وقصرالبخاري.

02-دورها:

إذا رجعنا قليلا إلى الوراء نجد الأتراك في طبعهم الديني و تكوينهم النفسي و الحربي متأثرين بالطرق الصوفية، و قد كان الدين و الرغبة في الجهاد للدفاع عن حدود الإسلام الغربية مبررا لدخولهم إلى الجزائر ، لذالك بدءوا يبحثون عن حلفاء و مؤيدين فوجدوهم في رجال الدين و صفوف المرابطين[8] .

و الدليل على ذلك ما قام به **عبد الرحمان الثعالبي**[*] حينما نادى إلى الجهاد في مدينة بجاية و الجزائر، و نفس الشيء بالنسبة للشيخ محمد التواتي إذا كان المجاهدون يلجؤون إلى زاويته في مدينة بجاية (ومن الحكايات التي تروى عن مدينة وهران أن الشيخ محمد

---

1) صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية والزوايا**، مرجع سابق، ص 207.

2) المرجع نفسه ، ص 110.

3) نفسه، ص 22.

4) نفسه ، ص 256.

5) م- فريد : **نبذة عن الزوايا في الجزائر والطرق**، جريدة الخبر، عدد 3928، ليوم 2003/11/06، ص 13.

6) صلاح مؤيد: **المرجع السابق** ، ص 252.

7) المرجع نفسه، ص 259.

8) أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي** ج1،مرجع سابق، ص 465.

(*) **الثعالبي**: هو الشيخ عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف أبو زيد الشهير بالثعالبي ولد بواد يسر شرق مدينة الجزائر سنة 726 هـ و هو من كبار علماء الجزائر، فقيه و مفسر، من مؤلفاته: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن، و العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة" توفي سنة 875 هـ أنظر **معجم أعلام الجزائر**لعادل نويهض ط1، بيروت 1971، ص 88.

الهواري قد نقم على أهلها فرفع حمايته عنها و دعا عليها بالسقوط في أيدي الكفار فكان الحال كذلك) [1] ، و من أهم العلماء و الفقهاء البارزين نذكر عبد الرحمان الثعالبي و **محمد بن يوسف السنوسي**[**] اللذين يعتبران من أكبر العلماء و الزهاد في القرن التاسع الهجري، فقد جمع كل منهما بين الإنتاج العلمي و السلوك الصوفي.

ورغم أن الأتراك في بداية الأمر اتخذوا سياسة صوفية واعتمدوا على جماعة القادرية (وأحاطوهم بالدعاية ومظاهر الاحترام ورفعوا من شأنهم في نظر العامة ولم يقصروا في مجازاة خدماتهم بسخاء[2] ' ولعل ذلك يعود إلى أن سلطان القسطنطينية كان حاميا لهذه الطريقة في المشرق، خاصة أن مؤسسها عبد القادر الجيلاني كان عالما بالأصول والفروع ويربط التصوف بالكتاب والسنة، ويغلب على أقواله الطابع الخلقي[3] وقد التف الشعب حول الطرق الصوفية التي وجد فيها ضالته هروبا (من اضطهاد الحكم العثماني وإرهاقه بالضرائب) [4] ' ثم أن دور المرابطين بدأ يضمحل بسبب إهمالهم للشعب وخدمتهم للأوجاق، وبروز عدد كبير من الدعاة المفقهين فانكبوا على القادريين والرحمانيين والتيجانيين والدرقاويين،وهذا مايفسر فشل العلماء الدينيين الذين ناصبوا العداء للطرقية[5].

وقد تميزت الفترة العثمانية بكثرة عدد الزوايا، إذ نجد في كل ناحية زاوية وقبة وضريح كما إنتشرت في المدن الكبرى كالجزائر العاصمة ووهران وتلمسان و قسنطينة مثل زاوية سيدي أحمد بن عبد الله بالجزائر سنة **1623**م و زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي في عهد الداي حسين باشا حيث بلغ عددها عشية الاحتلال **12** زاوية، و في بجاية نجد زاوية سيدي تواتي وفي قسنطينة زاوية الفقون و باشتارزي، و في تلمسان زاوية سيدي بومدين ومحمد السنوسي، أما وسط و شرق البلاد فقد تأسست مجموعة كبيرة من الزوايا مثل زاوية قصر البخاري و دار الشيوخ بالجلفة و بني حافظ بجيجل **و عبد الصمد** بباتنة و زاوية **سيدي خالد** و حمادوش بسطيف و التيجانية **بقمار** ... إلخ.

و قد كان للطرق الصوفية و زواياها في العهد العثماني دور كبير و نشاط مستمر عبر أرجاء الجزائر، فلقد أكد سليمان العنابي في محاضرة له في ملتقى المجلس الإسلامي الأعلى أن الحركة الصوفية في الجزائر لعبت دور رائد في الحياة العامة سواء من الناحية الاجتماعية أو الدينية أو السياسية ،و ذلك من خلال الاضطلاع بمسؤولية الدفاع عن الوطن و قطع الطريق على مختلف الحركات الاستعمارية، وأوضح أن حروب الاسترداد كانت الدافع الأساسي الذي حرك الشعب للإلتفاف حول قادتهم الروحيين الذين كانوا يطلق عليهم اسم المرابطين أو أولياء الله الصالحين، فجعلوا من زواياهم قلاعا حصينة للدفاع عن الوطن

---

[1]) أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي** ج1 مرجع سابق، ص 466.

[**]) **هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب**، اشتهر بالسنوسي لأنه من قبيلة معروفة بالمغرب الأقصى تسمى بن سنوس ولد سنة 830 هـ من مؤلفاته في العقيدة (العقيدة الكبرى، أم البراهين، العقيدة الصغرى) و في الفقه (القرب المستوفى) و في التصوف (مختصر بغية السالك على أشرف المسالك)، توفي سنة 895ه . أنظر ابن مريم **البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان** ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ب-د-ت، ص 237.

[2]) ألفريد بيل: **الفرق الإسلامية**،مرجع سابق، ص 430.

[3]) عامر النجار: **الطرق الصوفية في مصر نشأتها و نظمها و روادها**، دار المعارف القاهرة، مصر 1983، ص 116.

[4]) فيلالي مختار**: نشأة المرابطين**،مرجع سابق، ص 59.

[5]) عميراوي حميدة: **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، مرجع سابق ، ص 34.

و الدين معا[1]، بالإضافة إلى دورها في التعليم فبفضلها ظل التعليم العربي الإسلامي قائما رغم ضعف مستواه و ظل إقبال الجزائريين على الزوايا كبير حتى جاوز عدد الطلبة في بعضها الألف[2]، و بظهور العثمانيين بالجزائر والتزامهم الجهاد ضد المسيحيين ساعد الزوايا على أن تحصر نشاطها في الجانب الديني والاجتماعي[3]، و قد كان الأتراك يعظمون رجال الدين و التصوف و يلجئون إليهم و يتبركون بهم و يعفونهم من الضرائب و يمنحونهم الأوقاف [4]، و قد أخذت حركة التعليم و الثقافة اتساعا كبير بعد أن انتقلت إلى الأرياف والسهول و الصحاري، و تأسست زوايا كثيرة بهذه المناطق النائية واحتضنت العلم بعد أن كانت وظيفة الزوايا القديمة إطعام الطعام و إيواء الضيوف العابرين و تأمين أموال الناس و منح الأتباع البركة[5]، و لعل من بين أسباب انتشار التعليم في الريف هجرة العلماء إلى داخل البلاد و تأسيسهم للزوايا بعد سقوط غرناطة واحتلال الإسبان لثغور الجزائر خاصة مدينة بجاية سنة **1510**م، حيث نزح السكان نحو الداخل و تحولت الزوايا إلى معاهد للتعليم، ثم أن كل الطرق الصوفية أعطت أهمية بالغة لنشر التعليم في زواياها كالزاوية الراشدية و القادرية بالقيطنة في غرب الجزائر و زاوية عين ماضي، و **طولقة** بالصحراء[6]، و قد كانت الزاوية تعتمد في تمويلها على الهبات و الأوقاف و أموال الزكاة و تنفق على طلبتها و كذا العلماء الذين يدرسون بها ومن أهم العلوم التي كانت تدرس في هذه الزوايا(علوم القرآن و الحديث و النحو و اللغة و التوحيد) بالإضافة إلى علم الحساب و الأصول و البيان و المنطق و علم الفلك و الطب و بفضل هذا كله انتشر العلم و قلت الأمية[7]، و نجد بعض الزوايا أصبحت مختصة فمثلا في العاصمة زاوية مولاي حسن تختص بالسكان العزاب، و زاوية أبي عتيقة تستقبل الفقراء و المرضى و العجزة، و زاوية سعيد قدورة تستقبل فقراء العلماء، أما زاوية شيخ البلاد لا يسكنها إلا الطلبة العثمانيون[8]

و قد كانت هذه الزوايا تشكل ملجأ للهاربين من العقاب و القتل لأن الناس و الحكام يعتقدون في حصانة الزوايا و أضرحتها فكل من يلتحق بها لا يمسه سلطان[9]

و لهذا نجد الزاوية في العهد العثماني مقام للولي و مصلاه و مجمع أوراده و أذكاره و فيها يدرس ويستقبل المريدين و يصلح بين الناس و ينورهم في شؤون دينهم و يفتيهم و يحكم بينهم، و لذا تميز المرابطين و الأولياء بالخلوة والكرامة و قد كان المجتمع الجزائري ينقسم إلى أشراف و غير أشراف، والأشراف ينقسمون بدورهم إلى قسمين "أجواد و مرابطين" فالأجواد يستمدون مكانتهم الإجتماعية من قوة السيف و الشجاعة في الحروب و القتال، أما المرابطين يستمدون مكانتهم عن طريق الدين و الزوايا و الطرق الصوفية و كان التنافس

---

[1] سعيد حمودي: **الزوايا الصوفية قلاع للدفاع عن الدين و الوطن**، محاضرة لسليمان العنابي في المجلس الأعلى الإسلامي، جريدة الخبر، عدد 431، ليوم 2005/01/25.

[2] صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية و الزوايا** في الجزائر، مرجع سابق، ص 311.

[3] عميراوي حميدة: **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، مرجع سابق، ص 34.

[4] أبو القاسم سعد الله:**تاريخ الجزائر الثقافي** ج1،مرجع سابق، ص 470.

[5] العيد مسعود: **حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**: مجلة سيرتا ع 03، مطبعة البعث قسنطينة 1980، ص 62.

[6] المرجع نفسه، ص 64.

[7] أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، مرجع سابق، ص 90.

[8] أبو القاسم سعد الله: **المرجع السابق**، ص 270.

[9] المرجع نفسه، ص 270.

شديد بينهم على زعامة الشعب[1] ، وعموما كانت الزاوية متعددة المهام، كما كانت للطريقة سلطة روحية و دينية و مدنية و قضائية و كان لها الولاء الشعبي ففضت النزاعات و حافظت على التماسك الاجتماعي و نشرت الأمن و أطعمت المعوزين و علمت الناس[2] .

03-موقف الأتراك من رجال الطرق الصوفية:

إن موقف العثمانيين من رجال التصوف في بداية الأمر هو الاحترام و التبجيل فكثرت بذلك الزوايا و الأضرحة و المساجد و المريدين، لذا نجدهم تقربوا بمختلف الوسائل من هذه الشريحة الاجتماعية و أغدقوهم بالهدايا و عفوهم من الضرائب، فمثلا تقرب باي قسنطينة حسن بوحنك من المرابط الشيخ الشليحي فمنحه قصر عرف بدار الشليحي، و أنشأ له زاوية في أولاد عبد النور وأعفاه من الضرائب[3]. ونجد رجال البحرية عند خروجهم للغزو يطلبون البركة من الأولياء الصالحين و يطلقون طلقات مدفعية احتراما لهم، وأصبحت العلاقة بين الطرفين وطيدة.

و من جهة أخرى إنتشرت البدع و الانحرافات وابتعاد الكثير منهم عن التصوف الحقيقي فتحالفوا مع الولاة الفاسدين، حيث نجد بعض المرابطين و الدراويش يرشون الولاة ليسكتوا عن ابتزازهم لأموال الناس، و نفس الشيء بالنسبة لبعض رجال الحكم في الدولة العثمانية ولا شك أن هذا الصنف لا يمثل المتصوفين الحقيقيين[4]، و قد أدت هذه الانحرافات إلى ظهور مجموعة من العلماء تصدوا لذلك و على رأسهم الفقون في كتابه **"منشور الهداية"** و الذي بين فيه أسباب تأليفه لهذا الكتاب لخصها في انحراف أهم الطرق الصوفية و حاول كشف فسادهم خاصة في القرن 17 م، فقد قال "لما رأيت الزمان بأهله تعثر و سفن النجاة كذا من أمواج البدع تتكسر... كل ذلك و القلب مني يتقطع غيرة على حزب الله" و قد حاول أن يبين حقيقة الرجل الصالح العارف بالله و بأحكامه و يمقت ما كان يقوم به هؤلاء من خرافات و بدع التي عرفها بالخصوص في القرن 17 **و** 18 م كالبدعة و الشعوذة واستغلال العامة ولم يبقى التصوف مثلما جاء به الأوائل الذين زهدوا في أموال الدنيا ولم يدعوا الكرامة و لا الخارقة بل اتبعوا القرآن و السنة[5] و هناك من رجال الطرق الصوفية من عارضوا الحكام الأتراك مثل محمد بن ملوكة التلمساني ضد عروج عندما احتل تلمسان و الشيخ أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية الذي خرج من الجزائر بأهله واتجه نحو المغرب حيث أعلن للسلطان المغربي بأنه هرب من جور الأتراك و ظلمهم[6] .

أما البعض حولوا زواياهم إلى مراكز لتدريب الأتباع من أجل الثورة ضد السلطة العثمانية خاصة في أواخر العهد العثماني مثل يحي الأوراسي، الزابوشي، وابن الشريف الدرقاوي وابن الأحرش و زاوية عين ماضي التيجانية[7] .

و مما سبق يمكن القول أن الطرق الصوفية قد اختلفت علاقتها مع الأتراك، فمنها الذي أعلن الولاء للنظام التركي و التعامل معه، و منهم من تحفظ وانزوى إلى مهام التعليم و التربية الدينية، و منهم من رفضه و حاربه، و يتضح كذلك خلال العهد العثماني أن الجزائر كانت

---

[1]) تركي رابح: **من أعلام الجهاد الإسلامي في الجزائر "الأمير عبد القادر و أثر البيئة و التربية التي نشأ فيها في تكوين شخصيته**، مجلة الثقافة، ع 88، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر أغسطس 1985، ص 96.

[2]) عميراوي حميدة: **من الملتقيات التاريخية**، مرجع سابق ،ص31.

[3]) أبو القاسم سعد الله:**تاريخ الجزائر الثقافي**ج 1، مرجع سابق، ص 274.

[4]) المرجع نفسه، ص 277.

[5]) نفسه، ص 283.

[6]) نفسه، ص 272.

[7]) عميراوي حميدة: **من الملتقيات ..**،مرجع سابق، ص 31.

غنية بالمرابطين و الطرق الصوفية الذين ابتعدوا شيئا فشيئا عن الزهد و التصوف واقتربوا إلى التدجيل و الخرافة.

المبحث الثالث: الطرق الصوفية ودورها في منطقة الأوراس ابان الحكم العثماني:

المطلب الأول /علاقة الأتراك برجال الصوفية بمنطقة الأوراس

من العوامل المساعدة على انتشار الطرقية والزوايا في المناطق الداخلية خاصة في القرن الخامس عشر والسادس عشر"م" سقوط الأندلس والاحتلال الاسباني لثغور شمال الجزائر والفراغ الإداري في المغرب الأوسط، فانتشرت الفوضى والاعتداءات في منطقة الأوراس على المسافرين والقوافل التجارية وكذا الحجاج، فقدم كل هؤلاء شكاويهم للحكام الأتراك ضد سكان الأوراس خاصة قبيلة النمامشة ، ومن أجل ذلك لجأت الإدارة التركية إلى وضع مجموعة من الأساليب لبسط نفوذها على المنطقة، كتأسيس الحاميات العسكرية المكونة من الجنود الأتراك "النوبة" في المدن القريبة من إقليم الأوراس مثل حاميتي تبسة وبسكرة وكذالك قامت بتنصيب عشائرالمخزن لمراقبة السكان مثل عشيرة الزمول التى تكلفت بحماية طريق بسكرة وعشيرة العشاش في خنشلة[1]، وعشيرة بن دايخة في أولاد سلطان وقامت بتدعيم المشيخات الوراثية المتعاملة مع البايلك مثل أولاد بوعزيز في منطقة بلزمة وأولاد عبدي في منطقة منعة وأولاد بوضياف في الأوراس وأولاد بلقاسم في شيليا وابن قانة بناحية الزيبان.

لكن أهم أسلوب الذي قام به الحكام الأتراك هو سعيهم للحصول على مباركة وتأييد شيوخ الزوايا ومرابطي الطرق الصوفية، نظرا لمكانتهم ونفوذهم في وسط السكان عن طريق منح الامتيازات والهدايا والإ قطاعات لهؤلاء ليكونوا واسطة بينهم وبين الأهالي الذين يكنون لهم الاحترام والتقدير لما كانوا يقومون به من خدمات اجتماعية وثقافية، كالتوسط في النزاعات وإقرار أحكام الشريعة الإسلامية والقيام بشؤون العبادات والتعليم، وفي مقابل ذلك كان هؤلاء المرابطين يحرصون على تقديم خدمات للإدارة التركية، مثال على ذلك زاوية بن عباس بمنعة فهي تقوم بتأمين الطريق عبر مضائق وادي عبدي حتى تتمكن الحامية التركية في بسكرة(النوية) من تجديد أفرادها بعد انتهاء مدة الخدمة العسكرية[2] أما من الجانب الإداري فقامت الدولة العثمانية بتأسيس قيادات محلية في الأوراس وبلزمة والنمامشة، وهي إدارة تتماشى ومصالح البايلك يستخدمها لتوطيد الروابط الاقتصادية والسياسية بين مركز الحكم ومنطقةالأوراس، واستفادت السياسة التركية من الهدوء والأمن النسبي في المنطقة وإرادات الضرائب (أغنام، خشب، خيل، بغال،بقر،فواكه، رسوم...) [3] .

المطلب الثاني/أهم الزوايا في منطقة الأوراس في العهد العثماني:

1*زاوية بن عباس بمنعة: المعروفة ب**"مول السبيل"** والتي يعود تأسيسها إلى أوائل العهد العثماني عن طريق الشيخ بن سيدي ابراهيم بن موسى المنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني صاحب الطريقة القادرية[4] وكان آخر شيوخ هذه الطريقة في العهد العثماني هو سيدي محمد بن عباس الذي استضاف في زاويته الحاج أحمد باي أثناء المقاومة، وكان لهذه

---

[1] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،** المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1980،ص271.

[2] المرجع نفسه،ص272..

[3] نفسه،ص275.

[4] عميراوي حميدة/ **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**،مرجع سابق، ص 31.

الزاوية دور كبير في الأوراس خاصة في حماية الطريق اتجاه القنطرة وبسكرة، وأقامت علاقات متينة مع بايات قسنطينة مبنية على الثقة والصداقة في نهاية القرن الثامن عشر[1] .

2*زاوية خنقة سيدي ناجي: وهي تابعة لعائلتي بن ناصر وحفيظي اللتان سيطرتا على منطقة الزاب الغربي ومنطقة الأوراس الجبلية، فبالإضافة إلى الجانب الروحي الذي يمثلونه، كانوا وسطاء بين قصر الداي في الجزائر والباي في تونس[2] وقد لقبوا في عهد الأتراك بشيوخ الخنقة وششار من 1741-1831، ثم ساءت علاقتهما مع الأتراك حيث حاصر الباي أحمد بن علي القلي (1757-1771)عائلة بن ناصر واستولى على ثرواتها، وتوطدت العلاقة مرة أخرى في عهد الشيخ الحسين بن أحمد مع مطلع القرن18م نظرا للتسهيلات التي كانت تقدمها العائلة لموظفي البايلك لجباية الضرائب، وكان محمد الطيب آخر زعماء هذه الأسرة التي كانت في خدمة الأتراك سنة1817م، ونظرا لشهرة سي أحمد بن محمد من عائلة حافيظي العلمية والمعرفية وورعه وتقواه حضي بتقدير من عائلة بن ناصر التي طلبت منه تأسيس زاوية في نهاية القرن 17م، وسرعان ما أصبحت لها ملحقات، وكان حفيده سي عبد الحفيظ بن محمد مقدم الطريقة الرحمانية زاهد فأصبح بذلك قبلة للمريدين من مناطق كثيرة وتلجأ إليه سلطة البايلك لتسوية الخلافات[3] .

3*زاوية سي أحمد بن بوزيد المعروفة بزاوية **مول القرقور** وكان المقدم الأول لهذه الزاوية سيدي محمد بلقاسم المشهور بكنية مول القرقور وهو آخر شيوخ الزاوية قبل الاحتلال الفرنسي، والزاوية تقع بمنطقة بلزمة، اهتمت بنشر العلم ووطدت علاقتها مع بايات قسنطينة الذين أعفوها من دفع الضرائب[4] .

4***زاوية أولاد سيدي يحي بن زروق:** تقع هذه الزاوية على وادي فضالة قرب دشرة معافة، كان آخر شيوخها في الفترة العثمانية سيدي أحمد الزروق مقدم الطريقة الرحمانية في الجهات الوسطى من الأوراس والتي تقطنها عشائر بني فرح وأولاد عبدي.

5***زاوية بلقاضي:** أسسها أحد الأبناء الثلاثة لابن القاضي جهة الأوراس والذي أسس زاوية بناحية جرمة(بين سريانة وباتنة) وعرفت بزاووية بلحاج، تأسست في بداية العهد التركي[5] وكان آخر شيوخ هذه الزاوية قبل احتلال الأوراس هو سيدي بلقاسم فلقاضي[6]

6*الزاوية العثمانية بطولقة: أسسها سيدي علي بن عمر سنة **1780**م ونسبها إلى جده عثمان وكانت في البداية عبارة عن مجموعة من الخيم أو غرف من الطين اهتمت بالعلم والمعرفة.

***زوايا أخرى**: بالإضافة إلى هذه الزوايا عرفت منطقة الأوراس في العهد العثماني زوايا أخرى أقل أهمية كالزاوية المختارية في أولاد جلال، وزاوية سيدي خالد السناني، وزاوية سي الصادق بلحاج في جبل أحمر خدو، وزاوية بن سعيد في وادي الطاقة.

---

[1])-عبد الحميد زوز: **الأوراس ابان الاستعمار الفرنسي**،مرجع سابق ،ص 97 .

[2]).المرجع نفسه، ص 98 .

[3])صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية**، مرجع سابق، ص 422 .

[4])عبد الحميد زوزو: المرجع السابق ، ص 100.

[5]) صلاح مؤيد : **المرجع السابق**، ص 424.

[6]) ناصر الدين سعدوني:**دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، مرجع سابق ، ص 286.

وزاوية عبد الصمد قرب باتنة....الخ، وظهر كذلك مجموعة من الأشخاص اهتموا بالخرافات والسحر ومثال على ذلك قاسم ابن أم هاني الذي اتخذ طريق الشعوذة لكي يرد ما كان لأسلافه من زكوات وأعشار، وقد قيل عنه أنه بدأ يكثر من الصوم والصلاة ولبس الغرارة المرقعة وأكل الشعير حتى اشتهر أمره بين الناس بنواحي مدينة نقاوس، ثم بدأ يجمع حوله الناس وادعى أنه يشفي العاهات وصاحب كرامات، وكان همه جمع المال[1]. وكذلك ظهر محمد الحاج في نواحي مدوكال الذي اعتزل الناس وشيد زاوية، وأصبح له رعايا وإتباع.

ورغم ما اكتنف الطرق الصوفية من خرافات وبدع إلا أنها لعبت دور أساسي على جميع المستويات الاجتماعية والدينية والثقافية، وسنتطرق لهذه الزوايا ودورها في الفصول اللاحقة.

---

[1]) أبو قاسم سعد الله :**تاريخ الجزائر الثقافي** ج1،مرجع سابق ،ص 490.

الفصـــل الثاني

الطرق الصوفية والزوايا في منطقة الأوراس خلال عهد الاستعمار الفرنسي

المبحث الأول : الطرق الصوفية

المبحث الثاني : الزوايا في الأوراس والزيبان

- ✓ **المطلب الأول :** الزوايا في الأوراس

1) **زاوية منعة**
2) **زاوية الشيخ الصادق بلحاج (تيبرماسين)**
3) **الزاوية الدردورية**
4) **زاوية بن عبد الصمد**
5) **زاوية مول القرقور**
6) **زوايا أخرى**

- ✓ **المطلب الثاني :** الزوايا في منطقة الزيبان

1) **الزاوية العثمانية بطولقة**
2) **الزاوية المختارية باولاد جلال**
3) **الزاوية الشيخ الجروني وقبر سيدي خالد**
4) **الزاوية خنقة سيدي ناجي**
5) **الزاوية التيجانية بقمار**

الفصل الثاني: الطرق الصوفية و الزوايا في منطقة الأوراس عهد الاستعمار الفرنسي

المبحث الأول: الطرق الصوفية في الأوراس:

إن الزوايا في منطقة الأوراس قليلة العدد و حديثة الإنشاء في معظمها ، تعتبر امتداد أو فروع لزوايا أخرى أكثر شهرة، و رغم ذلك فقد استقطبت أعداد كبيرة من الأتباع و المريدين، و لعل ذلك يعود إلى غياب مؤسسات التكوين و المدارس التي تحرر العقل و تنير الفكر و لاسيما بين سكان الريف(1) .

و قد عرفت منطقة الأوراس العديد من الطرق الصوفية كالقادرية و الشاذلية و الرحمانية و التيجانية، و أكثرها انتشارا هي الرحمانية و القادرية – فالأولى (الرحمانية) يعود الفضل في انتشارها بمنطقة الأوراس إلى محمد بن عزوز الذي مثل الطريقة في برج بن عزوز قرب بسكرة و منها إنتشرت الى المناطق الأخرى مثل "أولاد جلال.وطولقة و سيدي ناجي وجبل احمر خدو و أواسط الأوراس و شرقه و غربه"، و سبب إنضمام الناس إلى هذه الطريقة هو اعتمادها على تعاليم القرآن الكريم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشدة تقوى شيوخها ومعارضتهم لكل ما يفرق بين الأخوة في الدين ويندون بكل ماهو دخيل عن الإسلام(2) أما الطريقة الثانية المنتشرة في الأوراس فهي القادرية التي تركزت خصوصا في وسط الأوراس (منعة) ومدينة بسكرة اما الثالثة فهي الطريقة التيجانية في منطقة وادي سوف خصوصا .

وقد قام _ لويس رين_ بإ حصاء عدد المريدين بكل منطقة وهو مسؤول المكتب العربي بباتنة على النحو التالي:

-في منطقة بسكرة: الرحمانية **13870**-التيجانية **2330** –القادرية **1620**-الشاذلية **205**.

-في منطقة باتنة القادرية **1620**-الرحمانية **1099**-الدرودورية **600**(**أنظر الملحق رقم03)**

-في منطقة خنشلة الرحمانية **2687**-التيجانية **79**-القادرية **33** (3)

وقد شكلت هذه الطرق وزواياها إشعاعا ونور افي المنطقة وانتشرت في القرى والأرياف بحيث أصبحت قطبا للحياة الدينية ومراكز ثقافية وقيادية تنطلق فيها التوجيهات والأوامر للمريدين وغيرهم(4)، وبذلك تزايد نفوذ المرابطين وشيوخ الزوايا الذين أصبحوا يحضون بالاحترام والتقدير من قبل سكان المناطق الريفية والجبلية بالأوراس لما كانوا يقومون به من خدمات اجتماعية وثقافية ودينية (5)، خاصة وأنها قامت بدور كبير في المحافظة على الدين الإسلامي وشعائره وتعاليم القرآن والفقه ونشره في أوساط المريدين والشعب ومواجهة المبشرين وكانت على رأس كل انتفاضة أو مقاومة في المنطقة.

---

(1)-عثماني مسعود:**أوراس الكرامة أمجاد وأنجاد**، دار الهدى عين مليلة،الجزائر2008، ص 117.

(2)- عبد الحميد زوزو:**الاوراس إبان فترة الاستعمار**،مرجع سابق، ص 103 .

LOUIS RINN. **Marabous et khouans** /opcit. p :205. (3)

(4)-صلاح مؤيد :**الطرق الصوفية والزوايا**، مرجع سابق، ص 428 .

(5)-ناصر الدين سعيدونى: **دراسات وأبحاث فى تاريخ الجزائر فى العهد العثمانى** ، مرجع سابق، ص 284.

المبحث الثاني/ الزوايا في الأوراس والزيبان:

المطلب الأول : الزوايا في الأوراس

1-زاوية منعة: تعتبر زاوية منعة[*] حسب بعض الروايات التاريخية أول زاوية قادرية تظهر بالجزائر فحسب أكتاف ديبون في كتابه" الطرق الدينية في الجزائر"، ان إبراهيم أخ عبد القادر الجيلاني أو ابن سلطان الصالحين الذي بعد هجرته إلى المغرب جاء لنشر تعاليمه في وسط الأوراس وهو الذي بنا هذه الزاوية الجميلة بمنعة أو أحفاده الذين أداموا مذهبه ونشروا تعاليمه التطبيقية[1] وكان انتقالهم في أواخر المائة التاسعة للهجرة وبداية المائة العاشرة، وقيل أن بعضهم انتقل من المغرب إلى الجزائر ليستقر في الأوراس بالشرق الجزائري، ومنهم الشيخ محمد بن إبراهيم بن موسى الذي أسس زاوية قادرية ببلدة منعة[2](**أنظر الملحق رقم04**) في أوائل العهد العثماني، وكانت أسرة ابن عباس هي المشرفة عليها ونسب هذه الأسرة يصعد إلى الشيخ إبراهيم المذكور حسب التسلسل التالي" محمد الصغير بن علي بن محمد بن بلعباس بن بوبكر بن محمد بن احمد بن عمر بن بلقا سم بن عبد الرزاق بن علي بن عبد الرحمان بن داوود بن إدريس بن إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني) [3](**أنظر الملحق رقم 05)** ،وكان لهذه الزاوية نفوذ كبير استمدته من بايات قسنطينة خلال القرن 18حيث حصلت على امتيازات مثل مزرعة القرزي التي تبلغ مساحتها 3000هـ، و كان هدف الأتراك هو تسهيل مهمة جباة الضرائب للمرور في البلد و ضمان الحماية لقواتها المتجهة نحو مدينة بسكرة خاصة و أن الطرق الأخرى (نقاوس، القنطرة) غير مأمونة الجانب، و لذا أقامت معها علاقة وطيدة في عهد أحمد باي في السنوات الأولى من الاحتلال[4] ثم أن بعض بايات قسنطينة يلجئون في الفترات المضطربة إلى هذه الزاوية في القرن 19ومنهم أحمد طوبال 1807 وابراهيم بن العربي 1818[5]، ولقد لجأ إلى هذه الزاوية الحاج احمد باي بعد سقوط قسنطينة سنة 1837، كما لجأ إليها الكثير من المجاهدين خلال الثورات التي شهدتها منطقة الأوراس[6] وقد كانت هذه الزاوية تحضي باحترام كبير من طرف سكان المنطقة الأوراسية نظر لدورها الاجتماعي والثقافي والروحي[7] .

(*)- تقع قرية **منعة** في قلب الأوراس وتعتبر حاضرة القبائل الجبلية، شكلت محافظة إقليمية، استمدت أهميتها من كونها مقر الزوايا القادرية التي عرفت الكثير من رجال الدين، وكانت قرية منعة حصنا قديما لا يتجاوز عدد المنازل فيه 150منزلا سنة 1844 وسكانها 1200 ، انظر عبد الحميد زوزو، **الأوراس ابان فترة الستعمار**، ص77.

(1) - Octave du pont et Xavier coppolanie/(**les confiéries relegieuses musulmans**).alger. ajordan 1897 p312.

(2)- عبد الباقي مفتاح :**أضواء على الشيخ عبد القادر الجلاني** ،مرجع سابق،ص 286.

(3) - Octave Dupont / **opcit,** p 311.

(4)-عبد الحميد زوزو:**الأوراس إبان فترة الإستعمار**،مرجع سابق ،ص97.

(5)- المرجع نفسه: **انظر الهامش**،ص98.

(6)-عبد الباقي مفتاح: **المرجع السابق**، ص 286.

(7)-صلاح مؤيد :**الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر** ،مرجع السابق،ص 416 .

وقد اعتبرها **"دوبون** "تذكارحي للمرابطين ومعلم إسلامي للمغرب في بلاد البربر، إذ بينت كيف كان إيمان الصوفيين في العالم الإسلامي بواسطة هذه الطريقة (فهم يغرسون في طريقهم البذرة التي لا تمحى لمذهبه) [1] أي مذهب عبد القدر الجيلاني – و قد أكد **"دوبون"** أن بلعباس محمد الصغير الذي هو رئيس الزاوية يعتبر من أحفاد عبد القادر الجيلاني[2] ومن الشيوخ الذين درّسوا في زاوية منعة نذكر البعض منهم حسب الجدول التالي:

اسم الشيخ	فترة تدريسه
الشيخ سيدي محمد الصغير بن عباس (شيخ الزاوية)	**1178-هـ1191(1760-1774)م**
الشيخ سيدي بلعباس بن عباس (شيخ الزاوية)	**1191-هـ1221 (1774-1804)م**
الشيخ سيدي ابراهيم بن محمد بن قديدة العقبي	/
الشيخ سيدي محمد بن عباس (شيخ الزاوية)	/
شيخ سيدي محمد او علي أبر كان[*]	/
الشيخ ابن عم سيدي محمد ابركان	1920-1927
الشيخ سيد ي محمد الصغير بن عباس (شيخ الزاوية)	1925-1935
الشيخ سي علي بن بوزة (الكفيف)	حوالي سنة 1930
الشيخ خرشوش محمد	حوالي سنة1938[3]

Octave du pont /**les corfreries.**opcit. p312.(1)

Octave/ **i pid**. P 310. (2)

(*)- تخرجت على يده اكبر دفعة من حفظة القرآن أكثر من 300طالب .

(3)-عبد الماليك بن عباس :**أسماء المشايخ الذين درّسوا في زاوية بن عباس 1760-2004**، مجلة المريد، للزاوية القادرية لدار بن عباس بمنعة الأوراس 2004 ص1 ،وهي وثيقة كتبها صاحبها مشافهة من السادة :الشيخ بن عباس بلعباس والشيخ بن عباس محمد.

أما عند المريدين واتباع القادرية سنة 1896 حسب **"دوبون"** فنوضحه في الجدول التالي:

المنطقة	الزوايا	المقدم	الإخوان	الخونيات	ا لمجموع
بسكرة	/	01	100	/	101
عين التوتة	/	/	412	07	419
تبسة	1	01	204	/	205
خنشلة	02	08	490	221	721
أوراس	01	02	226	233	462
باتنة	/	16	912	/	928
المجموع	04	28	2344	416	2836[1]

وقد كان لأحمد باي علاقة وطيدة بهذه الزاوية، فابتداء من تاريخ سقوط مدينة الجزائر حتى سقوط مدينة قسنطينة قضى أحمد باي 07 سنوات في إعداد البلاد، و نسج التحالفات مع القبائل و البحث عن دعم خارجي لمواجهة التوسع العسكري الفرنسي، و كانت مقاومته وطنية اشترك فيها أهل الجنوب و الشرق و منطقة القبائل، و بعد سقوط عاصمته إقليم الشرق شكلت بداية لمرحلة جديدة في المقاومة، إذ لجأ إلى أخواله أولاد بن قانة في الصحراء و الزيبان الذين حموه بعض الوقت قبل أن يتخلوا عنه[2] فاتجه إلى أولاد سلطان و خاض مجموعة من المعارك عام 1844 كما ذكر هو ذلك و أكد أنها من أكبر المعارك التي خاضها[3]ثم اتجه إلى منعه و بالضبط إلى الزاوية القادرية لدار بن عباس برئاسة شيخها سيدي محمد بن سيدي بلعباس، التي استقبلته بحفاوة بالغة و قدمت له كل الدعم و لعائلته وجنوده و مكث عندهم أزيد من ثلاث سنوات[4] ،وعند هذه العائلة فقد إثنين من أبنائه و هما محمد و عمره 13 عاما، و محمود و عمره خمسة أعوام و أضرحتهم موجودة إلى الآن بالمقصورة[5]، و في عام 1845 هاجم الجنرال بيدو (bideau) سكان أولاد عبدي فاستنجدوا بالحاج أحمد باي لكن فرنسا إكتسحت قرى أولاد عبدي و أولاد داوود و بني أوجانة و بني سليمان و سكان الخنقة و أولاد يعقوب و بني معافة و غيرهم[6] ، و عندما عاد الحاج أحمد باي إلى منعة لاحقه الفرنسيون يوم 22/ماي/1845 فانسحب إلى قرية أكباش بجبل أحمر خدو واحتمى بأولاد عبد الرحمان قرب زاوية الشيخ الصادق بن الحاج حتى سلم نفسه في 05/جوان/1848 و أسر من طرف المقدم **"غايار دوسان جرمان"**[7]

---

(1) -Octave du pont /**les confrériés**. opcit**.** pp 313-314

(2)-الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي: **مقاومة الأوراس في عهد أحمد باي**، محاضرة ألقيت في منطقة أكباش بلدية المزيرعة ولاية بسكرة أكتوبر2006 بمناسبة الملتقى الأول لتخليد ذكرى أحمد باي، ص3 .

(3)- العنتري محمد صالح : **فريدة مونسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها**(تاريخ قسنطينة) مراجعة وتقديم يحي بوعزيز ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ب.ت.ط، ص 208.

(4)- صلاح مؤيد : **الطرق الصوفية** ،مرجع سابق،ص 416.

(5) العنتري محمد صالح : **المرجع السابق**، ص 208.

(6)- جمعية الزاوية القادرية لدار بن عباس / **القائد المجاهد أحمد باي**، مجلة المريد منعة ، جوان 2006،ص2 .

(7)- عبد الحميد زردوم: **البسا كرة يتذكرون فرنسا 1844-1962.** مطبعة المنار بسكرة 2005 ص 28.

2/ زاوية الشيخ الصادق بن الحاج – تبرماسين –

تأسست هذه الزاوية من طرف الشيخ الصادق بالحاج(*)بقريته لقصر بوصية من شيخه بن عزوز حيث أسس بها كتّابا لتعليم القرآن ومسجد للصلاة وتعليم العلوم[1] وكان(الرجل تقيا ورعا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان في نظر الجميع زاهدا متصوفا وصاحب منة وبركة) [2] ولم يمض وقت طويل حتى ذاع صوت الزاوية فأمّها الطلاب من كل صوب، خاصة وأنها ذات نظام داخلي مجّاني وبها نخبة من العلماء حافظي القرآن وشيوخ العلم أمثال «الشيخ إبراهيم بن الصادق بن الحاج، والشيخ الجموعي خريج الجامع الأزهر[3]» وكان لهذه الزاوية تأثير كبير على نشر الوعي في الأوراس بصفة عامة، وقلعة للجهاد والمقاومة مما جعلها تتعرض للهدم والتدمير من طرف الاستعمار الفرنسي بعد ثورة 1849و 1858 واستولوا على جميع ممتلكتها وسلطوا على شيخها الصادق وأبناؤه السجن والنفي والتشريد داخل الوطن وخارجه وسنرى ذلك في فصل المقاومة ، ولما عاد أبناؤه من المنفى الشيخ إبراهيم بن الصادق وأخوه الطاهر أعادا فتح الزاوية بمنطقة تبرماسين التي تبعد عن الزاوية القديمة (القصر) بـ10كم[4] فواصلت نهجها في تعليم القرآن والعلوم لسكان الأوراس والزيبان.

3/ الزاوية الدردورية:

يرجع تأسيس زاوية آل دردور إلى حوالي 1800م و مؤسسها هو سيدي علي دردور بن عمر في قرية حيدوس "مازّر" بواد عبدي ثم أصبحت لها مقر بقرية مدرونة (مضرونث) جنوب شرق ثنية العابد بحولي 10كم[5] و المؤسس أخذ الطريقة الرحمانية عن سيدي بن عزوز الذي أمره بالتوجه إلى زاوية الشيخ عبد الحفيظ بن محمد بخنقة سيدي ناجي ليكمل الطريقة بالدخول الى الخلوة، ثم عاد للإشراف على تسيير الزاوية إلى غاية وفاته سنة 1875م فخلفه ابنه الهاشمي بن علي[6]* الذي أسس طريقة **"الأحباب"** سنة 1876م التي تعتبر فرعا عن الطريقة الرحمانية، واهتم بتعليم المبادئ الدينية و الفقهية و التربوية، وقد اهتمت هذه الزاوية بجميع نواحي الحياة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا و دينيا،ودعا مريديه للمشاركة في ثورة جار الله 1879م، و بعد الثورة اعتقلته فرنسا سنة 1880 وزجت به في سجن تازولت ثم قسنطينة، ثم نفته إلى جزيرة كورسيكا التي بقي فيها 10 سنوات[7] ليعود إلى قريته مدرومة و يهتم بالتدريس، ليعتقل مرة أخرى سنة 1895 ويمكث في باتنة تحت

(*)-**الصادق بلحاج** بن الطاهر بن بلقاسم بن الحسين من عرش أولاد أيوب بجبل أحمر خدو جنوب جبال الأوراس ولد سنة 1792 بقرية لقصر و فيها حفظ القرآن، ثم درس في زاوية البرج عند الشيخ محمد بن عزوز، أسس زاوية و قاوم الاستعمار توفي في سجن الحراش بالجزائر سنة 1277 هـ 1862م.

([1])-جمعية اول نوفمبر : **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الإجتماعية والإدارية في أثناء فترة الإحتلال 1954/1837** ,دار الشهاب ,باتنة,ب-ت-ط ، ص 189.

([2])- عبد الحميد زوزو: **الأوراس ابان فترة الاستعمار**،مرجع سابق، ص99 .

([3])- صلاح مؤيد : **الطرق الصوفية والزوايا** ، مرجع سابق، ص 418 .

([4])-جمعية أول نوفمبر : **المرجع السابق**،ص 189.

([5])- علي عزوزي: **زاوية آل دردور بالأوراس**، الملتقى الوطني الأول حول جهاد الأمير عبد القادر و أسرته و أعلام من الأوراس ، مؤسسة الأمير القادر فرع باتنة ماي 2003 ، ص 31.

([6])- صلاح مؤيد: **المرجع السابق** ، ص 420.

* * **الهاشمي بن علي،** ولد مدرونة سنة 1815 – و فيها حفظ القرآن و عمره 12 سنة ،درس علوم الدين و الفقه في زاوية برج بن عزوز و زاوية عبد الحفيظ بالخنقة و زاوية بو حجر بقالمة ثم سافر إلى مصر و درس بالأزهر و بقي هناك 18 سنة بين الدراسة و التدريس، و لم يعد إلى قريته إلا حوالي سنة 1870 توفي سنة 1899.

([7])- صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية والزوايا، المرجع السابق** ص 420.

الحراسة، فقام المواطنون بمظاهرة فأطلق سراحه[1] و بعد وفاته سنة 1899 تولى شؤون الزاوية ابن أخيه سيدي بلقاسم ثم سي علي دردور ابن سي الهاشمي من 1900 -1932. وكان للزاوية الدردورية علاقات حسنة مع باقي الزوايا بالمنطقة مثل زاوية طولقة العثمانية و زاوية بن عباس بمنعة وسي الصادق بلحاج في أحمر خدو وزاوية عبد الصمد في عيون لعصافر بضواحي باتنة و زاوية سي عبد الحفيظ بالحنقة[2] ومن الذين درسوا بالزاوية إضافة إلى الهاشمي نجد عمر دردور بن علي و بلقاسم دردور و محمد الهاشمي بن عبد الله دردور[3]

4/ زاوية ابن عبد الصمد بعيون العصافر:

تنسب العائلة الصمدية إلى جدهم على بن عبد الصمد بن رضّاح الذي يرتفع إسمه إلى إدريس، و عبد الصمد هو من نسل الولي المشهور سيدي يحي بن زكريا الذي استوطن أولا في أعالى جبال الأوراس بناحية بوثعلب ثم استقر نهائيا في قبيلة القصر "دوار عيون العصافر"[4]، حيث أنشأ زاوية مشهورة و أعطى الشيخ لزاوية أسلافه إشعاعا واسعا بفضل علمه وورعه و صلاحه، وانتسب إلى الطريقة الرحمانية الخلوتية على يد شيخها في قسنطينة عبد الرحمان باشتارزي*، وبعد وفاته سنة 1820 خلفه على الزاوية شيخها الأول (سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الصمد. المولود سنة 1808 وهو المجاز في خلافة الطريقة الرحمانية من طرف مقدمها في قرقور سيدي بوزيد بن أحمد بن محمد الذي هو من تلاميذ الشيخ بن عمر مؤسس زاوية طولقة[5]، و قد اشتهر الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بورعه وزهده و دعوته للعلم و العمل و العبادة في إطار التربية الروحية المتكاملة، حيث شيّد في وقته مسجدا ضم بعض المرافق كدور الطلبة و حمام، بالإضافة إلى مجموعة من المنازل سكنت فيها عائلات إخوانه الأربعة (مسعود، بلقا سم، أحمد، علي) [6] الذين كانوا سندا لأخيهم الأكبر،خاصة وأن الزاوية كبرت و توسعت و أصبحت ملجأ للطلبة و الزوار والضيوف و لما توفي الشيخ محمد بن عبد الله تولى خلافته ابنه محمد الذي لم يلبث طويلا إذ توفي وهو شابا مخلفا رئاسة الزاوية إلى ابنه حمو، ثم تولاها عمه سيدي محمود (أحميدة) المولود سنة 1864 والذي واصل عنايته بالزاوية التي كانت تأوي 100 طالب[7] ثم تولى تسيير شؤونها كل من "سيدي الطيب، سيدي حمّود، سيدي الصغير، الشيخ سي الحسين"

([1])- محمود الواعي : **الشيخ الهاشمي علي بن دردور** / تاريخ الأوراس و نظام التركيبة الاجتماعية ،مرجع سابق،ص. 208.

([2])- على عزوزي : **زاوية آل دردور**، مرجع سابق، ص 38.

([3])- صلاح مؤيد : **المرجع السابق** ، ص 421.

([4])- عبد الباقي مفتاح :**أضواء على الطريقة الرحمانية** ، مرجع سابق ، ص 115.

*- **باشتارزي**، هو العلامة الفقيه الأديب المربي الحاج عبد الرحمان بن أحمد بن حمودة ابن ماشيش باشتارزي نشأ في قسنطينة و أخذ العلم من علمائها و علماء جامع الزيتونة بتونس حتى تمكن من العلوم الشرعية و الأدبية ثم أخذ تربيته الصوفية عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان إمام الطريقة الرحمانية الخلوتية، أسس الزاوية الرحمانية بقسنطينة توفي سنة (1221هـ - 1806م) له عدة مؤلفات منها "غنية المريد في شرح مسائل التوحيد" و المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية).

([5])- عبد الباقي مفتاح: **المرجع السابق** ، ص 116.

([6])- الجمعية الخيرية لزاوية آل عبد الصمد / **معلومات عن زاوية آل عبد الصمد**/ نشرة الزاوية – عيون العصافر – مقر الزاوية ص1.

([7])- عبد الباقي مفتاح: **المرجع السابق،** ص 116.

واعتمدوا في تسيير الزاوية على خدمة الأرض لأنه المورد الوحيد لهم (الأراضي المحبوسة على الزاوية و الواقعة في عيون لعصافر و عين التوتة و القنطرة وعين زعطوط...) [1].

و في 5 آفريل 1921 دونت وصية الشيخ محمد لدى المحكمة الشرعية بباتنة تحت عدد 112 بإقرار بعض أولاده و أحفاده حيث أحصيت الممتلكات و كذا الشروط الواجب توفرها في مشايخ الزاوية (حفظ القرآن ،الورع ، السلوك الحمد،الرأفة بالفقراء والمساكين وحب العلم ونشره) ودمرت الزاوية من طرف فرنسا في ديسمبر 1956[2]

و من العلماء الأجلاء الذين درسوا بها نذكر الشيخ زروق اليعلاوي و الشيخ علي بن مهدي اليعلاوي و قد بلغ عدد الطلبة بها 400 طالب[3].

5/ زاوية مول القرقور:

يعود تأسيس زاوية آل بوزيد إلى عهد الحكم التركي للجزائر، على يد الشيخ أحمد بن بوزيد الذي يوجد ضريحه بالمكان الذي تأسست فيه الزاوية أول مرة و المعروف باسم **"القرقور"** و هو قريب من بلدية واد الماء[4] و قد أخذت الزاوية بالطريقة الرحمانية. ويوجد بهذه الزاوية ضريح مؤسسها الذي حضي أبناؤه و حفدته بمكانة طيبة في أوساط أهالي بلزمة[5] و كان آخر شيوخ هذه الزاوية قبل الاحتلال هو سيدي محمد بلقاسم مقدم الطريقة الرحمانية بنواحي بلزمة[6] و الذي كانت له علاقات طيبة واتصالات مع بايات قسنطينة الذين أعفوا الزاوية من الضرائب نظرا لمكانتها و دور شيوخها وسط السكان. أما في العهد الفرنسي فقد سعت الزاوية إلى محاربة كل الممارسات التي تعمل على تخدير الشعب و جعله تحت الأفكار البالية خاضعا لرغبات المستعمر، فتعرضت للمراقبة و المحاصرة وانتقل أفراد أسرتها إلى قرية (بويخفاون) [*] الواقعة على بعد مسافة قصيرة من مدينة سريانه و فيها بعثت الزاوية من جديد، إذ بنو مسجدا للصلاة وكتّاب يعلم القرآن و مدرسة لتعليم الشريعة وعلوم العربية، و قد سميت الزاوية باسم (**زاوية سيدي الطيب مول القرقور**) و بعد وفاته خلفه على المشيخة ابنه (**سيدي محمد مول القرقور**) ثم خلفه ابنه (**سيدي الشيخ علي بن محمد بوزيد**) و هو آخر الشيوخ قبل أن تحرقها فرنسا وتمحوها من الوجود[7].

و يروي الأحفاد أن الشيخ علي بن محمد كان عالما ورعا تقيا حافظا لعلوم الشريعة والعلوم العربية آخذا بسيرة أسلافه في المحافظة على تعليم القرآن و سنة رسوله الكريم وعندما أحرقت فرنسا الزاوية في بويخفاون انتقلت الأسرة إلى قرية **"ملال"** و جددوا الزاوية في المكان المسمى "الكوشة"[8].وكانت لهذه الزاوية علاقة علمية حميمة مع زوايا

---

(1)- الجمعية الخيرية لزاوية آل عبد الصمد: معلومات، **المرجع السابق**، ص 2.

(2)- المرجع نفسه، ،ص 3 .

(3)- صلاح مؤيد : **الطرق الصوفية و الزوايا** ، مرجع سابق، ص 415.

(4)- الدكتور عبد الكريم عوفي/ **فهرس مخطوطات زاوية أحمد بوزيد** – مول القرقور – بسريانة ولاية باتنة. مجلة آفاق الثقافة و التراث، العددان 27 -28 ، تصدرها دائرة البحث العلمي بمركز جمعية الماجد، دبي – يناير 2000، ص 64.

(5)- صلاح مؤيد :**المرجع السابق**، ص 422.

(6)- ناصر الدين سعيدوني: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ،مرجع سابق، ص 285.

(*)- **بويخفاون**: كلمة شاوية تعني صاحب الرؤوس تقع في منطقة جبلية تبدو قممها كالرؤوس و لذلك أطلقت عليها هذه التسمية.

(7)- الدكتور عبد الكريم عوني**: المرجع السابق**، ص 65.

(8)- د/ عبد الكريم عوني: فهرس مخطوطات، المرجع السابق، ص65

أخرى في منطقة الأوراس،ومن الزوايا التي كانت على اتصال دائم بها زاوية علي بن عمر في طولقة ولاية بسكرة، إذ كانتا تتبادلان البعثات العلمية من الطلاب والمدرسين،وكذلك كانت للزاوية علاقات متينة بزاوية الشيخ الحسين ببلدية سيدي خليفة بولاية ميلة ،و زاوية عبد الصمد بباتنة و ذلك بحكم القرب و الجوار، إذ نجد بعض شيوخ زاوية بن عبد الصمد تتلمذوا عن شيوخ آل بوزيد، ودرّس في هذه الزاوية علماء من غير شيوخها مثل الطاهر شنوقي، و سيدي الخلفة، و تخرج منها خلق كثير من أبناء المنطقة و مناطق أخرى مجاورة مثل أولاد بوقرانة، أولاد ساسي، أولاد سلام، وكان لتلمذة الشيخ علي بن محمد على يد الإمام عبد الحميد بن باديس في قسنطينة أكبر الأثر في تكوين علاقة علمية بين الشيخ و تلميذه فيما بعد، إذ أن ابن باديس زار الزاوية كما أدرك أهميتها في المنطقة من حيث إتباع المبادئ الإسلامية التي جاء به القرآن الكريم ونشرالعلم والأخذ بالطريقة الصحيحة في الإصلاح التربوي والإجتماعي [1].

6- زوايــا أخــرى:

تعتبر هذه الزوايا من الدرجة الثانية إذا ما قورنت بالزوايا السالفة الذكر تنتشر في كافة الأوراس(**أنظر الملحق رقم 06**) فقد كان دورها الأساسي يتمثل في حفظ القرآن و القيام بالوساطة بين السكان و السلطة و أهمها:

***زاوية بلقاضي**: تقع هذه الزاوية بمنطقة جرمة أي بين سريانة و باتنة، و يعود تأسيسها إلى أحد أبناء أحمد بلقاضي الثلاث الذين تفرقوا في البلاد بعد مقتل أبيهم سنة 934هـ -1523م [2] فبقي الأول بجرجرة و الثاني نزل بالحضنة، و الثالث قصد جهة الأوراس و أسس زاوية بناحية جرمة عرفت فيما بعد بزاوية بلحاج[3] و حكم هذه الزاوية في بداية الاحتلال الفرنسي محمد بلقاضي ابن بلقاسم ،و قد حضيت هذه الأسرة باحترام الأهالي و تقديرهم نظرا لما قدموه من خدمات علمية و اجتماعية لأهالي المنطقة و طريقتها رحمانية.

***زاوية أولاد سيدي يحي بن زورق**:تأسست هذه الزاوية في العهد العثماني و آخر شيوخها هو سيدي أحمد الزروق و تقع بقرية بني معافة على وادي بني فضالة[4] تعتمد فى نهجها على الطريقة الرحمانية، و تتحكم في الجهات الوسطى من الأوراس التي تسكنها قبائل بني فرح وأولاد عيدي وبني فضالة،و كانت تتمتع بنفوذ روحي كبير في أوساط السكان.

***زاوية ابن الدراجي**: تقع بدوار أم التراس بقرية سريانة دائرة مروانة سابقا و يعود تاريخ تأسيسها إلى أواخر القرن 19، أسسها ابن الدراجي و ترأسها 1903 – 1933 و بلغ عدد الطلبة بها 40[5].

([1])- المرجع نفسه، ص 66 .

([2])- صلاح مؤيد **: الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر**،مرجع سابق، ص 423.

([3])- ناصر الدين سعيدوني: **دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ،مرجع سابق،ص 286.

([4])- المرجع نفسه، ص 285.

([5])- صلاح مؤيد**: المرجع السابق** ، ص 417.

***زاوية ابن علجية**: تقع بمنطقة أولاد سلطان (نقاوس) أسسها الشيخ ابن علجية المتوفى سنة 1932 و طلبتها من 150 – 200 طالب[1].

بالإضافة إلى زوايا أخرى مثل زاوية سيدي أحمد بجبل أحمر خدو،وزاوية سيدي مسعود الشابي بأراضي تبردقة "باربار"[2] و زاوية بن سعيد في وادي الطاقة و زاوية مدني وسي الحاج بن عمر في زانة[3]

و زاوية بركات ببسكرة[4] و زاوية محمد بن بلقاسم في ثنية العابد، و زاوية الشيخ المكي بتازولت و زاوية الشيخ الخرشي في الثلاث بأولاد عيدي، و زاوية الشيخ عبد السلام في تكوت ،و زاوية الشيخ عمر بن عبد السلام في القصر قرب تكوت ،و زاوية عمر الشريف في القصر، و زاوية الشيخ فتح الله بكيمل، و زاوية الشيخ محمد بن عزة قرب أريس و زاوية الشيخ ابن يوسي في تجداض في الوادي الأحمر[5].

و هذه الزوايا منها ما هو ذو نظام داخلي يأتيها الطلاب من مناطق بعيدة و تتكفل بإيوائهم و إطعامهم، وتقوم بإعفائهم من نفقات التمدرس ،و هناك زوايا ذات نظام خارجي يقصدها الطلاب الأقارب، و لم نجد آثار لهذه الزوايا أو شيوخها أو أحفادها الذين يدلوننا على تاريخها.

المبحث الثاني:الزوايا في منطقة الزيبان:

تعد منطقة بسكرة المترامية الأطراف من المناطق التي انتشرت فيها الزوايا في مختلف جهاتها غربا و شرقا، فمنها من مازال قائما و منها من بقي آثار و أضرحة تزار بين الحين والآخر مثل زاوية المرابط الشيخ سعادة الرحماني بالقرب من طولقة إذ تؤكد الدراسات أنها أقدم زاوية بالمنطقة ثم زاوية سيدي رحال بين فوغالة و العمري، و ضريح محمد بن عزوز[*] ببرج بن عزوز الذي بنى زاوية في قرية البرج[6] و هو شيخ الطريقة الرحمانية و ناشرها في منطقة الصحراء و الأوراس و التي تخرج منها علماء كبار، أسسوا زوايا ما زالت قائمة إلى اليوم مثل الزاوية العثمانية بطولقة، و زاوية خنقة سيدي ناجي، و زاوية تبرماسين، و أولاد جلال ،و سيدي خالد، و زاوية عبد الرحمان الأخضري ببلدة بنطيوس التي زارها الكثير من الرحالة ،و زاوية الزعاطشة للشيخ بوزيان الدرقاوي الرحماني، و

([1])- صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية و الزوايا**، المرجع السابق، ص 418

([2])- سعيدوني: **دراسات وأبحاث، مرجع سابق**، ص 286.

([3])- عبد الحميد زوزو:**تاريخ الأوراس إبان فترة الاحتلال** ،مرجع سابق، ص 101.

([4])- صالح فركوس : **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)** دار العلوم للنشر و التوزيع ، الحجار عنابة 2005، ص 280.

([5])- جمعية أول نوفمبر**: تاريخ الأوراس و نظام التركية الاجتماعية** ، مرجع سابق، ص 107.

([*])- هو الشيخ محمد بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم المعروف بابن عزوز و هو لقب لأحد أجداده اشتهر به حتى أصبح لقب له و لأبنائه من بعده ولد بالبرج قريبا من طولقة سنة (1170هـ - 1757م) حفظ القرآن في سنة مبكرة و تتلمذ على يد عبد الرحمان الأزهري و أخذ عنه تعاليم الطريقة الرحمانية ثم أكملها على يد الشيخ عبد الرحمان باشتارزي بقسنطينة ثم رجع إلى بلدته "البرج" و أنشأ زاوية بها لنشر العلم و الدين، له مجموعة من المؤلفات منها "رسالة المريد في قواطع الطريق" و كتاب "شرح تلخيص المفتاح" ترك ثمانية أولاد، توفي سنة (1233 هـ 1818) بعد عودته من الحج بوباء أصاب المنطقة، أنظر – مقال لعبد الحليم صيد (**محمد بن عزوز البرجي**)، مجلة التراث العدد 8 نوفمبر 1995. مطبعة قرفي باتنة ص ص 29 – 35 و كذلك الحفناوي أبو القا سم/ **تعريف الخلف برجال السلف** ج2، ط1 ،م الرسالة ،بيروت1982، ص. 482.

([6])- محمد زرمان/ **محمد مكي بن عزوز (نضاله السياسي و نشاطه العلمي)** مجلة التراث ع 11، أكتوبر2003 ، مطبعة قرفي ،باتنة ،ص 23 .

زاوية سيدي ابن رمضان ببلدة البرانيس و زاوية سيدي عقبة[1] و زاوية بركات و سيدي أرماضنة مصطفى بن رمضان[2] وأهم الزوايا بالمنطقة نذكر:

1: الزاوية العثمانية بطولقة:

تقع الزاوية العثمانية في مدينة طولقة[*] إحدى دوائر ولاية بسكرة من الجهة الغربية أسسها الشيخ علي بن عمر[**] (1194-1780م) بأمر من شيخه محمد بن عزوز[3] الذي أخذ منه العلم والتصوف، وقضى حياته في الوعظ والإرشاد والدعوة إلى طريق الإسلام مطبقا الطريقة الخلوتية الرحمانية[4] والتي دخلها أتباع كثيرين في عهده،و من أقواله«علامة المريد خمسة ،جسم طاهر من معاص الله، لسان رطب بذكر الله، فكر دائم في ملك الله، روح هائم في جلال الله، قلب ساطع بأنوار الله»[5]، اهتمت الزاوية بتحفيظ القرآن وإطعام عابري السبيل والزوار، وبعد وفاته تولى شؤون الزاوية مصطفى بن عزوز الذي لم تطل مدة رئاسته للزاوية حيث قرر الهجرة إلى نفطة بالجريد التونسي وأسس فيها زاوية وترك قيادة الزاوية إلى الابن الأكبر لعلي بن عمر وهو علي بن عثمان المتوفي سنة 1316هـ 1898م وله عدة مؤلفات ورسائل مخطوطة ومحفوظة في مكتبة الزاوية في التربية الروحية والإرشاد والوعظ والنصائح ،وخلفه على الزاوية إبنه الشيخ عمر بن علي بن عثمان الذي سار على طريق والده في خدمة الزاوية و نشر الطريقة وتوفي سنة(1340 هـ 1920م)، ثم جاء من بعده أخوه الحاج بن علي والذي كان له الفضل في تزويد مكتبة الزاوية بالكتب المطبوعة والمخطوطات النادرة[6] وتوفي سنة (1368هـ - 1948م) ليخلفه عبد الرحمان بن الحاج بن علي الذي ترك رسالة قيّمة بعنوان (الدّر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي بن عزوز)، توفي سنة (1386 هـ 1966م) ثم جاء الشيخ الحالي عبد القادر بن الحاج بن علي بن عثمان(**أنظر الملحق رقم07**) الذي قام بتجديد الزاوية و توسيعها "المسجد، مقام الشيخ علي بن عمر، بناء المكتبة و إقامة للطلبة والدراسة وقسم خاص لإقامة الباحثين والزوار" و يقول الشيخ عبد القادر (أنه في سنة 1807 كانت زاويتنا من أغنى الزوايا في تلك المرحلة حيث كانت تملك غابات الزيتون في منطقة القبائل، و النخيل في وادي ريغ، ومنطقة الزاب ،و دكاكين وحمامات في كل المناطق من الوطن على وجه الحبوس)[7] حسب ما جاء في قصيدة شعرية توجد على شكل مخطوط نظمت سنة 1897 تصف الزاوية في عصرها الذهبي في نهاية القرن 18م و بداية القرن 19 م تحت إدارة مؤسسيها فكانت

---

(1)- صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر** ،مرجع سابق،ص 393.

(2)- عبد الحميد زردم: **تاريخ بسكرة في عهد الأتراك 1660 – 1844** ،مطبعة المنار، بسكرة 2002 ،ص 39.

(*)-**طولقة** واحة جميلة كبيرة، في وسطها قرية ضخمة بها آثار معاقل رومانية بيزنطية ،وهي بلاد الآبار الارتوازية الغنية، يعتبرها البعض عاصمة الزاب الغربي، تبعد عن بسكرة بحوالي 40كم غربا وفيها تقع الزاوية في الطريق الذي يربط بين طولقة وبرج بن عزوز. أنظر أحمد توفيق المدني/ **كتاب الجزائر** ،ص.222.

(**)- ولد ببلدية طولقة سنة1166هـ من عائلة يشهد لها بالزهد والصلاح والتقوى ،انصرف إلى العبادة منذ مطلع حياته واتخذ مكانا للخلوة يسمى " الشهب" في جبل قريب من طولقة بنحو 14كم يقضي فيه معظم أوقاته بالصلاة والذكر ،ثم أنشأ الزاوية وقضى فيها 32 سنة في الدعوة والأرشاد، تزوج إبنة شيخه محمد بن عزوز، وتوفي سنة 1258هـ-1842م وهو يسعى للصلح بين فرحات بن سعيد وابن قانة.

(3)- سليمان الصيد : **تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية**، دار هومة، الجزائر 1998،ص 14.

(4)-على الرضا الحسيني: **زاوية علي بن عمر (طولقه)**-الدار الحسينة للكتاب ،2002 ،ص 11 .

(5)-عبد الباقي مفتاح: **أضواء على الطريقة الرحمانية**، مرجع سابق، ص 150.

(6)- على الرضا الحسيني: **المرجع السابق**، ص 22.

(7)- عبد الباقي مفتاح: **المرجع السابق**،ص 156.

معهد للتعليم العالي لمختلف العلوم و مركز للحياة الاجتماعية ،زيادة عن وظيفتها الأساسية كما هو الحال في بقية الرباطات[1] و قد كان للزاوية علاقات وطيدة مع كبار العلماء داخل الوطن و خارجه[2].

و يعتبر الشيخ محمد بن عزوز و علي بن عمر الذي أسس الزاوية العثمانية و أنسبها إلى جده عثمان من أكبر الأئمة الذين اتبعوا طريقة الأزهري في الجنوب الجزائري و قاموا بنشرها.

2/ الزواية المختارية بأولاد جلال:

تقع هذه الزاوية ببلدة أولاد جلال غرب ولاية بسكرة بحوالي 90كم أسسها الشيخ المختار بن خليفة بن عبد الرحمان بن يوسف سنة 1815م، و هو من مواليد بلدة سيدي خالد سنة 1788م و فيها نشأ و ترعرع، ثم استقر به المقام ببلدة أولاد جلال التي بنا فيها زاويته واهتم بتحفيظ القرآن لسكان المنطقة ومناطق أخرى كالجلفة و أولاد نايل، و كانت الزاوية تقدم المأكل والمبيت مجانا، و بعد وفاة شيخها سنة 1860م تولى أمور الزاوية الشيخ محمد الصغير[3] الذي زاد في توسيعها حتى بلغ عدد الطلاب 500 طالب العلم و حفظة القرآن[4]. احتضنت الزاوية مجموعة كبيرة من شيوخ العلم مثل الشيخ العابد الجيلالي و مصطفى بن قويدر وبولنوار محبوب و كل في اختصاصه ،و كانت لهم اتصالات بالحركات الإصلاحية والهيئات الثقافية في المشرق بواسطة الكتب و المجلات و الجرائد[5].

و كان للزاوية في عهد مؤسسها دور في المقاومة الوطنية حيث وقفت بجانب ثورة الشريف بومعزة سنة 1846 م ،و من تلاميذ شيخها محمد بن بلقاسم الهاملي الذي أخذ منه الطريقة الرحمانية و أسس زاوية الهامل سنة 1863م قرب مدينة بوسعادة.

3/ زاوية الشيخ الجروني و قبر سيدي خالد:

أسسها الولي الصالح الشيخ علي الجروني ببلدة سيدي خالد دائرة أولاد جلال ولاية بسكرة في الناحية الغربية ب100كم تقريبا، و هو من تلاميذ الشيخ سيدي محمد بن عزوز البرجي و من المعاصرين للشيوخ علي بن عمر و عبد الحفيظ الخنقي،والمختار بن خليفة [6] واهتمت الزاوية بتحفيظ القرآن و نشر العلم و تنتمي إلى الطريقة الرحمانية.

و إلى جانب هذه الزاوية يوجد قبر سيدي خالد بن سنان العبسي المولود بمكة 205 هـ و مات بالزيبان عام 435 هـ(وحسب الشيخ الأخضري أنه عاش قرابة القرنين والنصف)، اكتشف قبره في القرن 16م بالصحراء من طرف العالم عبد الرحمان الأخضري 1513م بقرية بنطيوس بالزاب الغربي،و الذي بنى له مقام بجوار بئر قدس اعتبره الكثيرين بأنه نبي خاصة عند الخوالد و أصبح مركزا روحيا يحج إليه الناس كل عام[7] و يقال أن الأخضري هو الذي أظهر نبوة خالد بن سنان في المغرب العربي بقوله:

([1])- العياشي دعدوعة : **الطريقة الرحمانية (الزاوية العثمانية نموذجا)** ،جريدة الأحرار ،عدد 721 – 14، جويلية 2000، ص 16.

([2])- صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر**،مرجع سابق، ص. 403.

([3])- ق. أحمد/ **الزاوية المختارية عبر التاريخ منارة علم و تعلم**/ جريدة صوت الأحرار ،عدد 1039، 1 أوت 2001.

([4])- صلاح مؤيد :**المرجع السابق**،ص. 388.

([5])- المرجع نفسه، ص 390.

([6])- نفسه، ص 410.

([7])- عبد الحميد زردوم: **تاريخ بسكرة في عهد الأتراك** ،مرجع سابق، ص 14.

أن النبوة قد لاحت شواهدهـــا كيف المحالة و الأنــوار لم تزل

في خـالد بن سنان البدر سيدنـا أخصه بســـلام رائــق حفــل[1]

4/ زاوية خنقة سيدي ناجي (الناصرية):

الخنقة اسم جغرافي تعني الفج أو المضيق بين جبلين وكثيرا ما يضاف إلى هذا الاسم اسم آخر فيقال: خنقة كذا وكذا، ولهذا أضيفت كلمة سيدي ناجي نسبة إلى سيدي ناجي الأكبر[*] وتعود نشأة هذه الخنقة إلى سيدي بلقاسم بن ناجي الأصغر بن ناجي الأكبر الذي حط الرحال بها سنة(1011هـ-1602م) واختط البلاد قبل وفاته وسماها خنقة سيدي ناجي ناسبا أياها تبركا إلى جده[2]، وعمّرت المنطقة في الأول من سبع فرق و هم (سدراتة ، هزايرة، زهانة، دريد، زناتة، روقه، نهد) [3] وبعد وفاة الشيخ سيدي المبارك خلفه في المشيخة ابنه أحمد[4] ثم ابن ابنه محمد الطيب ثم أحفاده واحد بعد الآخر و قد بنا مؤسسها أول مسجد سمي باسمه حتى الآن وأنه خطّ الزاوية سنة قبل وفاته 1037 هـ، و أكملها ابنه أحمد بن المبارك، و بنيت بها غرف لإقامة الطلبة الغرباء، و صار يدعى بالمدرسة الناصرية[5] و يقول الشيخ الحسني الورتيلاني واصفا الخنقة (و الخنقة قرية مباركة طيبة ذات نخل و أشجار وسط واد بين جبلين و قد قيل أنها تشبه مكة في وصفها و في البركة غيران التشبيه فيه بعض التعالي لكن كلام الأولياء مقبول فقبول بما يوافق الشرع من غير تلبس و لا التباس) [6] و قد وسع المسجد الشيخ أحمد بن ناصر بن محمد بن محمد الطيب سنة 1171هـ من ماله الخاص الذي بلغ آنذاك ستة آلاف و ثلاثمائة ريال بسكة تونس و من الذهب اثني عشرة و مائة و ستين سلطانيا ذهبيا اسماعليا، و هو المسجد بصفته الحالية[7] و من أبرز علماء الزاوية الذين استقروا بالخنقة من عائلة حفيظي أصحاب الزاوية المجاورة الشيخ سي أحمد بن محمد الذي كان عند بني أوجانة في زريبة أحمد، ثم انتقل إلى الخنقة (واشتهر بعلم واسع و معرفة فذة في الرياضيات و علم الفلك إلى جانب ورعه و تقواه وحضي بتقدير عائلة بن ناصر التي طلبت منه تأسيس زاوية في نهاية القرن 17 عشر) [8] وأصبح حفيده سي عبد الحفيظ بن محمد المولود حوالي 1789 م مقدم الطريقة الرحمانية والذي نال شهرة و نفوذا بسبب زهده في متاع الدنيا و أصبح له زوار من مختلف المناطق للتبرك و زيارة الزاوية [9] و يتولى تسوية الخلافات التي تنشب بين القبائل الخاضعة لسلطته الروحية.

([1])- أبو القاسم سعد الله/ **تاريخ الجزائر الثقافي** ج 1 ،مرجع سابق،ص 510.

([*])- يعود أصله حسب العديد من الروايات إلى أمويي الأندلس الذين هاجروا منها إلى كل من المغرب و الجزائر و تونس إثر سقوط الحكم الإسلامي وهو مدفون في تونس العاصمة، و لا زال ضريحه بساحة النخيل المسماة الآن بسوق العصر.

([2])- محمد موهوب ابن أحمد بن حسين/ **قصة خنقة سيدي ناجي عبر أربعة قرون من تاريخها** ،مجلة أصدرتها الجمعية الناصرية لخنقة سيدي ناجي بمناسبة الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2002 ،ص 11.

([3])- محمد رواقد: **نبذة تاريخية عن بلدة خنقة سيدي ناجي.** مجلة ب.د.ط-ب.ت.ط ،ص 1.

([4])- لسيدي المبارك أبناء ثلاثة هم، (أحمد و محمد و التواتي.)

([5])- أبو القاسم سعد الله: **المرجع السابق**، - ص 285.

([6])- محمد موهوب: **قصة خنقة سيدي ناجي**،مرجع سابق، ص 18 .

([7])- المرجع نفسه، ص 16.

([8])- عبد الحميد زوزو: **الأوراس إبان فترة الاحتلال**، مرجع سابق، ص 99.

([9])- المرجع نفسه، ص 99.

وكانت زاوية خنقة سيدي ناجي تشع على كل منطقة الزاب الشرقي و منطقة الأوراس الجبلية من بني بوسليمان إلى غاية أهل سيغا مرورا بأولاد داوود و أولاد عبدي[1].

5/ الزاوية التيجانية بقمار:

تأسست هذه الزاوية في الثلاثي الأخير من سنة 1789 م الموافق1204 هـ، على يد المقدم سيدي محمد الساسي القماري بأمر من مؤسس الطريقة التيجانية الشيخ سيدي أحمد التيجاني[2].

بنيت الزاوية على شكل قاعة مربعة طول ضلعها 9م (81م^2) في الصحن الشرقي لبلدة قمار[*] خارج السور المحيط بالمدينة و بقيت 80 سنة (1789– 1869م) تؤدى فيها الصلوات الخمس و الذكر الجماعي و تلاوة القرآن، تعتبر ذات أسبقية من حيث التأسيس كأول زاوية في تاريخ الطريقة التيجانية مقارنة بالزوايا الأخرى،أشرف على هذه الزاوية الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني [**] الذي كان له الفضل في نشر الطريقة إلى الأمصار المجاورة ،و تحولت إلى قلعة للقرآن الكريم و علومه و نشر تعاليمه، و منارة للسنة النبوية وعمل على نشرها في الوطن وخارجه بعد رحيل صاحبها ، تميز منهجه في التربية بالبساطة و الشمولية تماشيا مع الزمان[3] إلا أن الزاوية عرفت تحولات في عهد خليفة ابن محمد العيد الأول (1844 - 1875) الذي بني سنة 1869 المسجد المعروف بمسجد سيدي أحمد عمار وفي عهد الشيخ حمه [***] نجل محمد العيد (1893 - 1912) قام بإنجاز الكثير من البنايات العمرانية واستثمر الكثير من البساتين و بنى مقرا جديدا للزاوية مدخله الدار الخضراء[4] الذي أصبح المقر الجديد للزاوية سنة 1890 و شيد الحوش و مرافقه في عام 1912.

وقد قال الشاعر محمد بن جابر التونسي في زاوية قمار:

هي أولى من الزوايـا عهودا وقد علت في سمائها الأذكـار[5]

وكان شعار التماسيني (اللويحة، و المسيحة ووالسبيحة) أي العلم، العمل، العبادة وشملت بذلك الجانب الديني و الاجتماعي والثقافي .

([1])- عبد الحميد زوزو: **الأوراس ابان فترة الإستعمار**, المرجع السابق، ص 97.

([2])- جمعية الزاوية التيجانية قمار/ **الزاوية التيجانية بقمار الماضي و الحاضر** –ط2-،مطبعة كوينين، الوادي – الجزائر، 2008 ص 4.

([*])- **قمار** واحة صحراوية جميلة تقع على العرق الشرقي للجزائر، و هي ثاني مدينة في منطقة سوف بعد الوادي الذي تبعدعه ب20كم ،تعتبر حاضرة العلم و العلماء، و للمدينة أبواب (الشرقي، الغربي، الظهراوي، البوبية) كثيرة المساجد و الزوايا لها طابع معماري مميز.

([**])- ولد بتماسين (ورقلة) سنة 1766 – 1180هـ ، تربى في كنف والده على التقوى و الصلاح وتغذى بمبادئ الشريعة الإسلامية خلف والده في الصلاة بالجماعة و هو مازال يافعا، كان قريب من الشيخ أحمد التيجاني و كلفه بالخلافة عن الطريقة قبل وفاته بثلاثة أيام وخصه بالأسرار السامية و توفي سنة 1260 هـ 1844.

([3])- الأستاذ بلهادف بن سالم/ **الزاوية التجانية قمار تأصيل و حداثة**،<u>مجلة الزاوية</u>، مطبعة الطاسيلي ،سوف 2008. ص 4 .

([***])**- سيدي حمه** ولد عام 1844 بويع بالخلافة عام 1893 وتوفي في ديسمبر 1912.

([4])- جمعية الزاوية التجانية قمار ، **المرجع السابق،** ص 5.

([5])- محمد بن صابر التونسي/ **تبرك بزاوية قمار** ، جمعية الزاوية التجانية بقمار ،مرجع سابق،ص 14.

الفصـــل الثالث

في منطقة موقف الطرق الصوفية الأوراس من الاحتلال الفرنسي

المبحث الأول : مقاومة أحمد باي والأمير عبد القادر في منطقة الأوراس

- ✓ **المطلب الأول :** مقاومة أحمد باي

- ✓ **المطلب الثاني** : مقاومة الأمير عبد القادر

المبحث الثاني : إنتفاضات وثورات الطرق الصوفية في الأوراس ضد فرنسا

1) **إنتفاضة اولاد جلال 1847**

2) **ثورة الزعاطشة 1849**

3) **ثورة الصادق بلحاج 1859**

4) **علاقة ثورة 1871 بالأوراس**

5) **ثورة واحة العمري 1876**

6) **ثورة 1879**

7) **علاقة ثورة 1916 بالطرق الصوفية**

الفصل الثالث :موقف الطرق الصوفية في منطقة لأوراس من الاحتلال الفرنسى(المقاومة):

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر العاصمة 1830 م واجه الفرنسيون صعوبات كبيرة في التوسع غربا بسبب مقاومة الأمير عبد القادر، وشرقا بسبب مقاومة أحمد باي في إقليم قسنطينة، وكذلك المقاومة التي برزت في جبال الأوراس وواحات الزيبان خاصة في الفترة الممتدة من (1844م-1916م) (**أنظرالملحق رقم 08**)حيث عرفت المنطقة بروز أبطال وزعماء قادوا الجهاد في سبيل تحرير الوطن، وبما أن الطرق الصوفية لها مكانة مميزة في المجتمع الأوراسي روحيا وثقافيا وسياسيا، فقد تصدى الكثير منها للغزو الفرنسي وقاومت بكل الإمكانيات المتوفرة لديها، وقبل الخوض في ثنايا المقاومة الصوفية للإستعمار في الأوراس، يجدر بنا الإشارة إلى مقاومة أحمد باي والأمير عبد القادر في المنطقة لما لها من إرهاصات وتأثير، حيث شكلت أرضية للمقاومة والرفض للاستعمار وفتحت أعين شيوخ الزوايا في الأوراس والزيبان إلى ضرورة التصدي للغازي المحتل، ابتداءاً بانتفاضة أولاد جلال سنة 1847م وانتهاءاً بثورة 1916م وسوف نحاول أن نتطرق إلى هذه الثورات مركزين على دورالطرقية و شيوخ الزوايا في المقاومة.

المبحث الأول: مقاومة احمد باي والأمير عبد القادر في منطقة الأوراس :

المطلب الأول: مقاومة أحمد باي:

تمثل سنة 1837 م بداية المقاومة في كامل منطقة الأوراس وهو تاريخ سقوط قستنطنية ولجوء أحمد باي[*] إلى جبال الأوراس ومنها أخذ ينظم في المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي وضد خصومه أعوان الأمير عبد القادر، وقرر أن يقود المقاومة ضد الاحتلال بروح عالية خاصة وأن منطقة الأوراس قد شكلت ملجأ للكثير من المقاومين والمعارضين للاحتلال خلال القرن 19[1]، وقد إغتنم الأمير عبد القادر فرصة إبرامه معاهدة التافنة ماي1837م ومد نفوذه وسيطرته نحو الشرق الجزائري وخاصة الزيبان التي أولى عليها فرحات بن سعيد.

أما الحاج أحمد باي فاتجه إلى جبال الأوراس وكانت معضلته الأساسية تتمثل في خيانة صهره ابن قانة وتآمره ضده[2] وقد خاض مجموعة من المعارك كان أهمها معاركه في أولاد سلطان غرب الأوراس حيث واجه الجنرال **"راندون"** في ثلاث معارك :24 أفريل و1 ماي و 8 ماي1844م،والتي كانت تبدا دائما يوم الأربعاء كما ذكر ذلك الحاج أحمد باي وأكد أنها من اكبر المعارك التي خاضها في حياته[3] .

وللقضاء على المقاومة في الجنوب القسنطيني لجأت فرنسا إلى سياسة التفرقة بين سكان المنطقة على النحو التالي:

- محمد الصغير بلحاج شيخ سيدي عقبة وخليفة الأمير عبد القادر في الزيبان.

(*)- ينتمي أحمد باي إلى أسرة كرغلية، من بايلك قسنطينة أبوه تركي وأمه جزائرية من عائلة ابن قانة وجده أحمد القلي الذي كان باياً على قسنطينة، وأبوه اشتغل منصباً كبيرا في حكومة الداي حسين، صاهر ابن قانة الذي كان يتنازع وفرحات بن سعيد منصب مشيخة العرب في الصحراء. عين بايا على قسنطينة سنة 1827 م ،شارك في الدفاع عن الجزائر أثناء الحملة العسكرية الفرنسية عليها، ثم عاد إلى قسنطينة ويدخل في حرب ضد فرنسا وأنتصر في معركة قسنطينة 1836م.

(1)-محمد الطاهر عزوي: **مقاومة الأوراس خلال الاحتلال الفرنسي(1879/1837 م)** مجلة التراث، العدد1، دار الشهاب، باتنة 1986 ، ص 37.

(2)- يحي بوعزيز: **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر**،مرجع سابق، ص 549.

(3)- محمد صالح العنتري: **فريدة مؤنسة في حالة دخول الأتراك بلدة قسنطينة**،مرجع سابق ، ص 208.

- أحمد باي الممثل الشرعي لنظام تداعى للسقوط أو سقط فعلا.

-بوعزيز بن قانة خال أحمد باي إختار العمالة طواعية وانضم للفرنسيين فعين شيخا للعرب على الزاب الغربي منذ 1839/01/18م.

- فرحات بن سعيد كان شيخا للعرب في عهد إبراهيم باي ولما عُزل من قبل أحمد باي اتخذ منه موقفا معاديا وانظم للأمير عبد القادر.

والكل هنا يطالب بالشرعية ويسعى للسيطرة ،وبدل أن يحتكموا للغة العقل والوطن احتكموا للغة الحديد والنار، وكل واحد سعي إلى سند يآزره فأحمد باي (العثمانيين دون نتيجة) وبن قانة (الفرنسيين) ومحمد الصغير (الأمير عبد القادر).

ولكن الخطر المحدق بفرنسا بعد مهادنة الأمير عبد القادر في هذه المنطقة يكمن في أحمد باي الذي رفض الاستسلام، رغم المواقف السلبية لباي تونس والعثمانيين اتجاهه.

وللقضاء عليه لجأت فرنسا إلى تطبيق إستراتيجية شاملة ،فاتخذت من باتنة التي كانت تعرف بالعين الكبيرة منذ العهد العثماني معسكرا لها في فيفري 1844م ومقارعة أحمد باي الا أن عناصر موالية له هاجمتها في 19-20 فيفري وأغارت على قوافل الجمال التي بعثها ابن قانة لتنقل مؤن ومعدات الجيش الفرنسي للجنوب[1] ونظرا لإستراتيجية المنطقة سارع الدوق دومال إلى احتلال بسكرة في 04 مارس 1844 م، وانسحب منها خليفة الأمير عبد القادر محمد الصغير بلحاج الذي تمركز بقرية مشونش[2] والاعتماد على شيخ العرب بن قانة في منطقة الزاب.

وقام الجنرال بودو-Boudeau - الذي خلف الدوق دومال على قسنطينة في ربيع 1845 م بشن حمله عسكرية على جبال الأوراس وتعقب أحمد باي الذي كان يقيم عند عائلة بن عباس بزاوية منعة، أما سي الصغير بلحاج خليفة الأمير عبد القادر كان يقيم عند بني ا حبارة في منطقة نارة، وفرض الضرائب على السكان مقابل المهام الحضارية[3]، وعين قيادات موالية لفرنسا من رجال دين معارضين أو حياديين وسنتطرق إلى ذلك في فصل السياسة الفرنسية اتجاه الطرق الصوتية، ثم قام بسلسلة من الهجومات لإخضاع السكان حيث استسلم الكثير من الأعراش ،منهم (اولاد داوود، أولاد عبدي، وبني فرح وسكان نارة وبني أوجانة وبني سليمان وبني معافة وغيرهم[4] وإلحاق الدمار بالأعراش والقرى حيث أفرغت المخازن وسلب كل مافيها من مؤن خاصة الشعير وحرقها والتقتيل وقطع الأشجار[5] وقد فرض الجنرال على أولاد عبدي غرامة مالية مبلغها 15 ألف فرنك ،ومنح لهم مهلة يومين لتسديدها[6] ورغم كل ذلك قاتلت هذه الأعراش ببسالة فأدركت فرنسا أن سر ّ قوتها وسبب

([1])- عثماني مسعود: **أوراس الكرامة**،مرجع سابق،ص 56.

(2) - قرية وسط واحة تقع في الشمال الشرقي لبسكرة بحوالي 30 كم.

([3])- عبد الحميد زوزو: **الأوراس إبان الاستعمار الفرنسي**،مرجع سابق، ص 129.

([4])- جمعية الزاوية القادرية لدار بن عباس بمنعة، مجلة المريد، مرجع سابق، ص 3.

([5])-رسالة بعثها الجنرال بودو إلى جنرال بيجو يوم 26 ماي1845 يقول فيها" إن المرابطين من أولاد عبدي جاؤوا يلتمسون العفو وقد تبعهم في هذا المسعى رؤساء كل القرى وهم مذعورون ويرجون عدم قطع أشجار الفواكه فأوقفت تنفيذ القرار لأن أشجار الفواكه فعلا أهم مصدر من مصادرالثروة في هذه المنطقة "أنظر زوزو /**الأوراس إبان فترة الحكم الفرنسي** ، ص132.

([6])- عبد الحميد زوزو/ **الاوراس إبان فترة الاستعمار**، مرجع سابق، ص 133.

عدم خضوعها يكمن في شخص أحمد باي، لما يمثله من رمز في أوساط سكان الأوراس. إلا أن التفوق في العدد والعدة حال دون انتصارهم، فلجأ أحمد باي إلى أولاد عبد الرحمان في قرية أكباش سنة1845م بجبل أحمر خدو إلى غاية 1848م ، ونظم الجيش الفرنسي حملة عسكرية بمساعدة بوعزيز بن قانة وأحمد بن شنوف واتجه الكل إلى محاصرته، خاصة وأن الحكومة الباريسية وبأمر من الحاكم العام **كافينياك**(*) أكدت على ضرورة تصفية الباي وسدت كل الطرق في وجهه فحاول الهروب باتجاه الشرق لكن رجال **بوعبدالله**(**) **قطعوا** عليه الطريق على بعد 12 كم من قرية أكباش[1]، وهناك تلقى الكولونال رسالة من احمد باي يطلب فيها الأمان ويلتمس إفادة قائد فرنسي ليسلم نفسه وأفراد عائلته، فاتجهوا به إلى بسكرة ثم باتنة فقسنطينة حيث خرج أكابر المقاطعة لاستقباله وكذلك الأهالي، فسارعت فرنسا إلى نقله نحو الجزائر العاصمة خوفا من ردّة فعل الأهالي[2] وأجبر على الإقامة الجبرية إلى غاية وفاته سنة 1850م.

المطلب الثاني : الأمير عبد القادر:

كان الأمير عبد القادر قبيل احتلال قسنطينة بوقت قصير قد كتب الى سكان بايلك قسنطينة رسائل يخبرهم فيها بإبرامه صلح التافنة مع الفرنسيين، ويطلب منهم الطاعة والولاء، ولم يستجب لندائه سوى فرحات بن سعيد الذي نزع منه احمد باي منصب شيخ العرب، فاستجاب الأمير له وأعطاه رسائل الاعتماد وأعلن هذا الأخير الحرب ضد أحمد باي سنة1838م ، لكنه انهزم وفر إلى واد سوف، فكلف الأمير الحسن بن عزوز ممثلا له وخليفته في منطقة الزيبان[3] فغضب فرحات بن سعيد واتصل بالمارشال" فالي" من أجل الاستسلام لكن الأمير قضى عليه واعتقله[4] وفي سنة 1841م قام ابن قانة بمهاجمة الحسن بن عزوز في ميزاب وقطع 500 زوج من آذان الناس الذين قتلهم وأرسلها إلى الجنرال **"قالبو"** فأكرمته فرنسا على فعلته وسلمت له 50 ألف فرنك [5] وقلد وسام ضابط الشرف وقامت فرنسا باعتقال **الحسن بن عزوز**(***) في صيف نفس العام، ثم تولى القيادة كخليفة للأمير محمد الصغير بن أحمد بن عبد الرحمان بن الحاج الذي فشل في المواجهة بعد أن طال الزمان، فانتقل إلى الحدود التونسية بعشرين فارسا ونظرا لكبر سنه سرّح أصحابه وقصد مدينة تورز بالجنوب التونسي حيث مات سنة 1856[6].

(*)- **كافينياك**: الحاكم العام للجزائر من مواليد 1802 بباريس، وتوفي سنة1857 بأورن، تقلد منصب وزير الحربية ثم رئيس الوزراء بباريس.

(**)- بوعبد الله هو بوعبد الله بن منصور بن عبد الله بن صاولة قائد أولاد صاولة الذي غادر إلى قسنطينة خوفا من سكان المنطقة.

(1)- عبد الحميد زردوم: **البساكرة يتذكرون فرنسا(1844-1962م)**,مرجع سابق ،ص 28 .

(2)– صالح فركوس:**إدارة المكاتب العربية والإحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد1844– 1871**منشورات جامعة باجي مختار، عنابة 2006، ص 58 .

(3)–يحي بوعزيز :**جهود الأمير عبد القادر وخلفائه في تدعيم الجهة الشرقية القسنطينية** مجلة الأصالة العدد 48 أوت 1977 ، ص 5.

(4)– يحي بوعزيز :**ثورات الجزائر في القرنين 19–20**، مرجع سابق ، ص 46.

(5)– محمد الصالح العنتري : **تاريخ قسنطينة** ، مرجع سابق، ص 157.

(***)– نفي الى جزيرة سانت مار قريت ثم تحت الإقامة الجبرية حتى وفاته سنة 1847.

(6)–محمد الطاهر عزوي:**مقاومة الأوراس**، مجلة التراث .مرجع سابق ،ص 45.

وبهذا انتهت مقاومة الرجلين في منطقة الأوراس بدون جدوى، فلو اتحدت هاتين الشخصيتين فلربما كان العكس ما حدث، لكنها من جهة قد فتحت أعين سكان الأوراس خاصة بعض رجال الصوفية على استمرار في المقاومة.

المبحث الثاني-انتفاضات وثورات الطرق الصوفية في الأوراس ضد فرنسا

1- انتفاضة أولاد جلال(جانفي1847م):

عندما اشتد الضغط الفرنسي على المقاومة في منطقة القبائل بقيادة أحمد الطيب بن سالم وأولاد سيدي سالم والشريف بومعزة(*) فاستسلم الأول واختار الهجرة إلى دمشق الشام[1] أما الشيخ بومعزة فقد اتجه إلى الزيبان وبالضبط على منطقة أولاد جلال سنة 1846م حيث استقبله الشيخ المختار الجيلالي، شيخ زاوية أولاد جلال الرحمانية ،وأعلن مساندته ووقوفه بجانبه في الثورة ضد الفرنسيين، وبدأت الاستعدادات لمواجهة الفرنسيين عن طريق تعبئة السكان، وحثهم على الجهاد والتآزر بين الجميع، ولما سمعت فرنسا بهذا الإعداد الثوري بادرت إلى إرسال حملة عسكرية في جانفي 1847م بقيادة الجنرال "هيربيون" الذي انطلق من مدينة باتنة في 5 جانفي1847م ،وعند وصوله وجد الطرق أمامه مقطوعة، ورغم قلة الخبرة والإمكانيات المحدودة لسكان المنطقة، إلا أنهم صمدوا طيلة اليوم وخسرت فرنسا 30 قتيلا منهم الرائد "بيلان" واستشهد 90 مقاوم[2] وبقيت المنطقة صامدة حتى قيام الثورة الزعطاشة 1849 م.

2-ثورة الزعاطشة " 1849م"

قامت هذه الثورة في عهد الجمهورية الثانية (1848- 1852) والتي تميزت بتعميم الاحتلال وتشجيع الاستيطان الأوروبي ومحاولة فرض السيادة الفرنسية عن طريق القوة العسكرية والمكاتب العربية والقيادات العميلة، ولذلك شددت فرنسا الرقابة على حركة الطرق الصوفية وشدت الخناق عليها وأعلنت سنة 1848م أن الجزائر قطعة من التراب الفرنسي،و في ظل هذه الظروف كانت منطقة بسكرة سنة 1849 م أقصى نقطة وصلها الاحتلال الفرنسي نحو الجنوب بعد استسلام الأمير عبد القادر وأحمد باي،و ظنت فرنسا أن منطقة الأوراس قد هدأت لكن الحقيقة قد بدأت بظهور ثورة **الزعاطشة**(**) التي تعتبر امتداد لمقاومة الأمير عبد القادر وخليفته في بسكرة والأوراس أحمد بلحاج وامتداد كذلك لمقاومة أحمد باي في الأوراس، تولى تفجيرها **الشيخ بوزيان**(*) شيخ زاوية الزعاطشة، وإذا كان

(*)- اسمه الشريف محمد بن عبد الله قاد المقاومة في الونشريس مع ابن سالم اعتقل وسرحه نابليون سنة1852 ،هاجر إلى بغداد وسوريا، وتوفي في باطوم سنة1878م

(1)-محمد شرقي: **الطريقة الرحمانية ودورها في المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي (1881/1830)**،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،السنة الجامعية(1997/1996)،مكتبة جامعة قسنطينة،ص 220.

(2)-عبد الحليم صيد:**أبحاث في تاريخ الزيبان** بسكرة ،ط1،مطبعة سوف، الوادي ب-ت-ط، ص 55.

(**)-**الزعاطشة** ، واحة كبيرة تقع على بعد 35 كم جنوب غرب مدينة بسكرة في الزاب الغربي، محاطة بأسوار مشيّدة من الطوب، وبداخلها بساتين النخيل والأشجار المثمرة وسواقي مياه، تتوسطها قرية مبنية من الطوب منازلها متقاربة وفي وسطها زاوية الشيخ بوزيان، وبجانب هذه الواحة توجد عدة واحات (فرفار، ليشانة، بوشقرون، أوماش، طولقة) وكذلك الرّحل من عدة أعراش ومركزهم وسوقهم هي واحة الزعاطشة.

(*)- **الشيخ بوزيان،** إسمه عبد الرحمن بوزيان ابن عم الشيخ حسن بن عزوز قائد المقاومة في الجنوب، اشتغل سقاءٌ في الجزائر العاصمة ثم مقدما للرحمانية بالزعاطشة أخذ الإجازة من زاوية طولقة ومع خلفاء الأمير عبد القادر ثم شيخ زاوية الزعاطشة، له في قلوب السكان مكانة شبه مقدسة.

الفرنسيون يعزون أسباب قيام الثورة إلى التعصب الديني[1] والي أحمد باي بانه من المنظمين والمشجعين لتلك الثورة قبل استسلامه حسبما ورد في تقارير الضباط الفرنسيين أمثال النقيب "ماربي" رئيس المكتب العربي بباتنة بقوله " لقد ترك أنصار كثيرين وكان يتردد على زيارته سكان الواحات أليس هو الذي دفعهم الى الثورة ؟"والعقيد "**هيربيون**"[**] الذي صرّح بعد إعدام بوزيان أنه تم اكتشاف رسائل بين هذا الأخير والباي[2] بينما تعزوها الأسباب الوطنية إلى الضرائب الباهضة التي فرضتها فرنسا على النخيل ،إذ أقدمت على رفع مقادير الضريبة من 15 إلى 45 سنتيمًا رغم أن محصول التمور في الواحات سنة 1848م كان رديئا و متدهورا[3] و ما يقوم به ضباط المكاتب العربية والقيادات العميلة من إحصاء للسكان و الأملاك، و مراقبة التجارة و الأسواق و تنقل الأشخاص و مراقبة الزوايا و زيارات الإخوان، و التدخل في شؤون القضاء و الإسلام والتعليم، و قيام ثورات بالقبائل "زواغة، و فرجيوة والبابور، و في الجزائر العاصمة (بنى حساين وريغة) و في مليانة و المدية والتيطري و أولاد نايل" ثم انشغال فرنسا بأحداث ثورتها و ما تبعه من تصفية للنظام الملكي و تدعيم النظام الجمهوري وإقامة مؤسسات اقتصادية ذات طابع اشتراكي[4] ،وفي هذه الأثناء كان الشيخ محمد بوزيان يرفض سياسة الاحتلال الفرنسي و يجاهر بعدائه و معارضته لما يحدث للإخوان و السكان، و تم نقل كل هذه الأحاسيس و المواقف لفرنسا و بالضبط إلى ضباط المكاتب العربية ببسكرة ،فاعتبروه مشوش و ليس مقدم[5] فقامت فرنسا بإرسال الضابط سيروكا "SEROKA" سرّا يوم 16 ماي 1849م إلى الزعاطشة للإستعلام على الأوضاع و إلقاء القبض على بوزيان[6] إلا أن أهالي البلدة و سكان الواحة حالوا دون ذلك و غلقوا جميع الأبواب في وجهه حاملين السلاح و على رأسهم الشيخ بوزيان، الذي أطلق عدة طلقات نارية تشير إلى رفض الاستعمار مما دفع سيروكا الى الإنسحاب.

و نظرا لهذا الموقف إتجه ديبوسكي" DOBOUSQUEI" رئيس المكتب العربي لبسكرة ،و طلب هو الآخر من السكان أن يسلموا له بوزيان فرفضوا كعادتهم ،و هذا ما بين مدى تمسك سكان الواحة بقائدهم و رفضهم للاستعمار، و هم على استعداد للمقاومة والتضحية ،خاصة و أن الواحات المجاورة للزعاطشة قد هبت لنجدته و الوقوف بجانبه كطولقة وفرفار وبوشقرون، و أمام هذا الوضع المتأزم أرسلت فرنسا شيخ العرب ابن قانة لكنه فشل هو الآخر لأن الناس رفضوا التجنيد لهذه المهمة[7] و هكذا خابت فرنسا في بداية الأمر.

أما الشيخ بوزيان عندما تأكد من نية فرنسا وعملائها وانشغالها بقمع ثورة ازواغة بجرجرة وتمردات أولاد دراج بالحضنة وأولاد فرج ببوسعادة ،فدعا أعراش الأوراس و الحضنة والزاب الغربي إلى حمل السلاح و الجهاد ،واستجاب له(أولاد سحنون في بريكة ، أولاد

([1])- محمد طاهر عزوي:**مقاومة الأوراس**، مجلة التراث،مرجع سابق، ص 47.

([**])– **هيربيون أيميل**، ولد عام 1794 م بشالون سورمارن ،وتوفي بباريس 1866 ،سميت باسمه مدينة شطايبي بعنابة.

([2])–صالح فركوس : **إدارة المكاتب العربية"**،مرجع سابق،ص ص 48-49.

([3])- يحي بوعزيز: **ثورات القرنين 19 – 20**،مرجع سابق، ص 60.

([4])- المرجع نفسه، ص 60.

([5])- شرقي محمد: **الطريقة الرحمانية و دوره في المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي** ،مرجع سابق، ص 231.

([6])- يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 61.

([7])- محمد الطاهر عزوي: **مقاومة الأوراس**، مجلة التراث، مرجع سابق، ص 48.

سلطان، أولاد زيان، أولاد عبدي)،و تضامن معه الشيخ عبد الحفيظ مقدم الطريقة الرحمانية في خنقة سيدي ناجي و الذي خاض معركة سريانه(*) الشهيرة دعما للشيخ بوزيان و تجاوبت معهما باتنة و سطيف، و قطع سكان أولاد صابر الطريق بين باتنة و بسكرة ونشير هنا بأن الشيخ عبد الحفيظ مقدم زاوية الخنقة و الشيخ الصادق بلحاج مقدم زاوية جبل أحمر خدو قد لبيا النداء و خاضوا معركة حامية الوطيس بعد نداء الجهاد الذي وصلهم من الشيخ بوزيان عُرفت بمعركة سريانه من(14 – 21 سبتمبر 1849 م) ،التي التحم فيها الجيشان بوادي ريغا بالقرب من الواحة، و فيها قتل العقيد **"سان جرمان"**[1]، وانسحب الشيخ عبد الحفيظ مع جنوده إلى بلدته الخنقة و سي الصادق إلى جبل أحمر خدو، و توفي سي عبد الحفيظ في جويلية 1852 م بالجريد التونسي .

وعند مقتل العقيد سان جرمان تنقل الجنرال هيربيون حاكم قسنطينة إلى عاصمة الزيبان أين نصب مركز قيادة عملياته[2] و كلف الجنرال **"كاربوتشيا"**(**) على رأس طابور يتكون من(1700عسكري) لقمع سكان الزاب الشرقي، و خاصة سكان سيدي ناجي سميت العملية بعملية سان جرمان، و هدفه استتباب الأمن في الزاب الشرقي والتفرغ تماما للزاب الغربي، حيث كلف الجنرال **"كارنوبير"** (***) لتمشيط المنطقة، فعسكر على سفح كدية المايدة أمام الزعاطشة و ليشانة على بعد نصف كيلومتر من زاوية الشيخ بوزيان ،و كان ذلك يوم 7 أكتوبر 1849م، و هو تاريخ بداية حصار الواحة الذي دام إلى آخر شهر نوفمبر[3]، و أمرت فرنسا شيخ العرب ابن قانة بأن يجمع شيوخه و قواده و يكلفهم بإحاطة الواحة و الزاوية من أجل إحكام الحصار حولها جنوبا، بينما حاصرت قوات أخرى واحة طولقة وليشانة حتى لا يتجه منها الأنصار لنجدة الشيخ بوزيان في انتظار المزيد من النجدات تم نصب المدافع التي بدأت تضرب في الزاوية و أسوار الواحة تلاتها قطع الأشجار المثمرة خاصة النخيل[4]، أما الشيخ بوزيان فقط أحاط الواحة بسور قوي من الطوب و الحجارة و جذوع النخيل و بجانبه خندق مملوء بالماء عمقه **06** أمتار و عرضه أكثر من مترين و نصف ،و كان الشيخ بوزيان يشجع المدافعين و يذكرهم بأن الله ينصر المؤمنين ووعده حق و جزاؤهم الجنة، و قد ساعده في ذلك الموقع الاستراتيجي الذي لعب دورا أساسيا في عرقلة التوسع الفرنسي في البداية، فالمعطيات الجغرافية التي تتمتع بها المنطقة زادتها حصانة ومناعة مثل المناخ القاسي والحار وكثرة المسالك في واحات النخيل الواسعة ،وجهل فرنسا بهذه الطبيعة أضف إلى ذلك السلاسل الجبلية الأوراسية شمالاً ورمال الصحراء الشاسعة جنوبا،ثم إشراف المنطقة على مجموعة من الأعراش المحيطة بها والتي شكلت لها سند في الثورة، مثل:(أولاد سلطان والأوراس في الشمال وأعراش الحضنة وأولاد نايل في الغرب والنمامشة في الشرق).

(*)- **سريانه:** عبارة عن واحة صغيرة تقع قرب مدينة سيدي عقبة.

(1)- عبد الحليم صيد : **أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة**، مرجع سابق، ص 56.

(2)– عبد الحميد زردوم: **البساكرة يتذكرون**، مرجع سابق، ص 32.

(**)- **كاربوتشيا جين:** ولد عام 1805 بكورسيكا ،و قتل سنة 1854 م على يد الروس في معركة باستبول ،سميث باسمه مدينة كاربوتشيا الكورسيكية، و هو رئيس المكتب العربي بباتنة.

(***)- **كارنوبيير سليستان:** من مواليد 1800م بسانت سيري ،عمالة لو ،و توفي عام 1895 م بباريس، سميت باسمه مدينة أم البواقي.

(3)- يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19 – 20** ، مرجع سابق، ص 91.

(4)- محمد الطاهر عزوي : **مقاومة الأوراس**، مجلة التراث، مرجع سابق، ص 49.

ومن أجل ذالك توافدت على الطرفين النجدات،فبالنسبة لفرنسا جاءتها من قسنطينة وباتنة وسطيف وبوسعادة وسكيكدة وعنابة حتى وصل عدد تلك القوات إلى 27 ألف جندي وضابط[1]، أما الثوار فكانت النجدات من الواحات المجاورة وكبار المقاديم كعبد الحفيظ الخنقي والمختار الجيلالي من أولاد جلال وسيدي خالد، ومحمد بن شبيرة من بوسعادة والصادق بلحاج من الأوراس، ومحمد الصغير بلحاج خليفة الأمير سابقاً من وادي سوف بالإضافة إلى قبائل أولاد سلطان ولخضر حلفاوي وأولاد درّاج وغيرهم[2] .

وبعد الاستعدادات و المحاولات الفاشلة للعقيد **"بوتي ماتيو"**[*]. قاد الجنرال هيربيون الهجوم بنفسه وفق إستراتيجية عسكرية شملت طرق مختلفة، منها الهجوم ليلا على القرى الثائرة مثل أولاد سحنون ببريكة وقرية أورلال وتخريب البساتين وردم الآبار، وقطع النخيل في ليشانة والزعاطشة ،والاعتماد على المدفعية وسلاح الهندسة لاقتحام واحة الزعاطشة ومنذ **07** اكتوبر إلى **24** نوفمبر فشلت كل محاولات الاقتحام خاصة بعد انتشار مرض الكوليرا في وسط الجيش الفرنسي وبالذات لدى مقاتلي الزواف،[3]ثم حدد تاريخ الهجوم الكبير على الواحة في **26** نوفمبر أين دمرت الواحة عن آخرها بعد اشتباكات عنيفة قام الثوار خلالها بالدفاع عن القرية منزلا منزلا ومن نخلة إلى أخرى، ودافع الشيخ بوزيان وابنه الحاج موسى إلى ان سقطوا تحت ضربات الرصاص، وأمر الجنرال بقطع رؤوس كل من بوزيان وابنه وسي موسى بن أحمد وتعليقها فوق الأبراج [4] وقد قال الجنرال في هذا الصدد ((أخذت الزعاطشة عنوة يوم **26** نوفمبر على الساعة **8** صباحا بعد أن قاتل بوزيان والشريف سي موسى بوحمّاد رفقة **7** إلى **8** آلاف رجل بدون هوادة ولم ينجو منهم واحد بعدها قطعنا 7000 نخلة في الزعاطشة و3000 نخلة في ليشانة ودمرنا الواحة عن آخرها))[5] وقد علقت جريدة "كونستيتوسيونال" الفرنسية على هذا بالمصير المرعب فقالت (أن هذه أول مرة في تاريخ احتلالنا الجزائر نواجه بمثل هذه الحالة، إن أحد عشر ألف بندقية تعمل جاهدة للقضاء على مقاومة كلفتنا حتى الآن ثمانمائة رجل بين قتيل وجريح ونتيجة ذلك فإن بوزيان زعيم الثورة ونائبه وثمانمائة وطني قد أعطيت رقابهم للسيف)[6].وقد ختم الجنرال هيريبيون تقريره المرسل إلى الحاكم العام شارون فيالا بعبارات مناهضة للاستعباد بقوله " من الآن فصاعدا لن يستطيع مسلمو الزيبان المذهولين والمرعوبين من العقاب القاسي المسلط على المتمردين الذين يتباهون بفضائل مرابطي " أولياء" رفع أصواتهم ضد التواجد الفرنسي على أرضهم"[7]

وبعد سقوط واحة الزعاطشة انسحب المقاومون المتبقون وتوجهوا إلى قرية ناره بالأوراس والتي كانت قد اشتركت وساندت الثورة فجهزت حملة عسكرية بقيادة الجنرال كارنوبيرفي 06جانفي 1850 [8]،وتم القضاء على القرية وهدمها، وهنا قال في شأن سكان

([1])-شرقي محمد /**الطريقة الرحمانية ودورها،** مرجع سابق ، ص 233.
([2])- المرجع نفسه، ص 233.
([*])-**بوتي ماتيو** :قتل في 3نوفمبر 1849، سميت عليه مدينة خزارة الجزائرية.
([3])-جمعية أول نوفمبر : **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة**،مرجع سابق، ص 221.
([4])-عبد الحميد زوزو : **تاريخ الأوراس إبان الاستعمار الفرنسي** ج1،مرجع سابق، ص 145.
([5])- المرجع نفسه،ص 145.
([6])-ابو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية1900-1930** ج2 ، ط2 الشركة الوطنية للتوزيع والنشر،الجزائر1983،ص 52.
([7])-عبد الحميد رزدوم: **البساكرة يتذكرون فرنسا**،مرجع سابق، ص 35.
([8])-محمد الطاهر عزوي :**مقاومة الأوراس،** مجلة التراث ع1 مرجع سابق، ص51.

نـارة الجنـرال كـارنوبير فـي مراسـلة للـوالي العـام" إن قريـة نـاره قـد سـقطت وأن كثيـرا مـن سكانها قد سقطوا بالجنان الواقعة في المنحدرات وقد تتبعناهم من دار إلى أخرى حتى قضينا عليهم، كما قضينا سبع ساعات في حرق وهدم القرى الثلاث التـي تتكون منهـا نـارة[1] وهكذا انتهت قرية ناره كمـا أ نتهت واحـة الزعاطـشة، والـشيء الملاحظ أن الزوايـا الرحمانيـة فـي الزيبان والأوراس والحضنة قد تعاونـت وتـضامنت مـع زاويـة الزعاطـشة، ثم التـضامن بـين الرحمانيـة والدرقاويـة التـي ينتمـي إليهـا سـكان أولاد عبـدي وقريـة نارة،ولـذا فـإن ثـورة الزعاطـشة كانـت بحـق ثـورة تحـالف شـيوخ الطريقـة الرحمانيـة تجلـى فيهـا بوضـوح الـدور القيادي لهذه المؤسسات الدينية.

([1])- المرجع نفسه،ص 52.

3-ثورة سي الصادق بلحاج 1858 – 1859

إن ثورة **سي الصادق بن الحاج** [*] 1858- 1859 ما هي إلا استمرارية للمقاومة الوطنية والثورات التي سبقتها في منطقة الأوراس، تزعمتها زاوية سيدي المصمودي "تبرماسين" في جبل أحمر خدو، والتي شاركت في جميع الأحداث والثورات التي أعقبت إنشاء مركز باتنة العسكري واحتلال بسكرة سنة 1844، حيث تنسب إلى الرجل أعمال تؤكد عداؤه الراسخ للفرنسيين بعد أن قام باستنفار شيوخ الزوايا الموجودة بالمنطقة مثل زاوية بن عزوز وزاوية الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، وحرض علماء سيدي عقبة والزاب الشرقي على الدعوة للجهاد والدفاع عن الوطن[1] ، وقام بعدة مراسلات واتصالات شخصية لأتباعه عن طريق ابنه الشيخ إبراهيم الذي كان أمينه السري في المكاتبات، وقبل قيام الثورة 1858 كان قد شارك في عدة معارك أشهرها معركة مشونش في 03/15/ 1844، بعد احتلال مدينة بسكرة حيث أرسل ابنه إبراهيم لمشاركة سكان الواحة ومحمد الصغير بلحاج خليفة الأمير عبد القادر[2] الذي هرب من بسكرة بعد احتلالها ، ولقد تمركز إبراهيم بن الشيخ الصادق في منزل **محمد أمقران**[**] مقدم الزاوية الرحمانية في مشونش ، وقد دامت هذه المعركة يوما كاملا إنهزم فيها العدو، فزادت شعبية سي الصادق وابنه ابراهيم وذاع صيتهما في الأوراس والزيبان، أما المعركة الثانية هي معركة وادي أبراز قرب سريانة 1849/09/17 مساندة للشيخ بوزيان في ثورته بالزعاطشة سنة 1849 وقد سبق الإشارة لها، ثم معركة مضيق القنطرة أكتوبر 1849 حيث وجه فرقة بقيادة محمد الصغير بلحاج إلى مضيق القنطرة للتعرض لقافلة حربية قادمة من باتنة محملة بالمؤونة والذخيرة ومتجهة إلى بسكرة واجبروها على العودة من حيث أتت[3] ، كل هذه الأحداث أكسبت الشيخ سي الصادق مكانة مرموقة في منطقة الأوراس والزيبان وزادت من شعبيته وكثر أتباعه خاصة بعد استشهاد الشيخ بوزيان 1849 ثم سي عبد الحفيظ الحنقي سنة 1852، ومحمد الصغير بلحاج سنة 1856، فاتجهت الأنظار إلى سي صادق بلحاج كوريث شرعي لمنصب شيخ الطريقة الرحمانية، وانضم إليه جميع الإخوان والمجاهدين سواء من منطقة الزيبان أو في الأوراس وبمساعدة ابنه إبراهيم على القيام بالدعوة للمقاومة ضد الفرنسيين[4]. خاصة وأن هناك **أسباب** عديدة قد دفعته للثورة التي أجهضت خلال أسابيع (بين شهري ديسمبر 58 جانفي 1959).نذكرمنها:

- تأثر الشيخ الصادق بلحاج بثورة الزعاطشة وما آلت إليها من الآم مادية وبشرية والتي زرعت فيه الروح الانتقامية الجهادية وقد برز ذلك في خطبه للناس التي كانت مستلهمة من الوازع الديني، خاصة مع مريديه وأتباع الطريقة الرحمانية حيث دعا إلى

(*)– هو الشيخ محمد **الصادق بلحاج** الطاهر بن بلقاسم بن الحسين ينتمي نسبه إلى ابن منصور جد قبيلته، وهو من عرش أولاد أيوب بجبل أحمر خدو جنوب جبل الأوراس، حفظ القرآن في قريته لقصر ثم تعلم في زاوية البرج قرب طولقة وهي زاوية رحمانية يشرف عليها الشيخ محمد بن عزوز، وسلك طريق الرحمانية وأصبح مقدما لها في بلدية لقصر وأسس زاوية لتعليم القرآن والعلوم وكان لها تأثير كبير في نشر الوعي بالأوراس.

([1])- جمعية أول نوفمبر: **تاريخ الأوراس ونظام التركية**، مرجع سابق، ص 190.

([2])- عبد الحميد زوزو: **تاريخ الأوراس إبان الاستعمار الفرنسي**،مرجع سابق، ص 150.

(**)– هو جد والد العقيد أحمد بن عبد الرزاق المعروف بـ (سي الحواس) ومازالت البيت قائما إلى الآن وتعرف بدار سيدي ابراهيم التي اتخذها مركز لقيادته .

([3])- جمعية أول نوفمبر: **المرجع السابق**، ص 190.

([4])- محمد الطاهر عزوي: **مقاومة الأوراس خلال الاحتلال الفرنسي**، مجلة التراث، العدد I ،مرجع سابق، ص 53 .

الجهاد ضد الكفارالذين دخلوا أرض الإسلام بقوة الحديد والنار،فقتلوا وشردوا وانتهكوا وسلبوا أموال وأعراض المسلمين بالقوة[1].

- تدخل فرنسا في شؤون المنطقة حيث أرادت أن تطبق سياستها وتفرض سيادتها من خلال جباية الضرائب من حكور وعشور وزكاة وتنظيم القضاء والتعليم كإصدارها منشور سنة 1856م يلزم سكان بسكرة بإرسال أولادهم إلى المدرسة الفرنسية ومعنى ذلك إلغاء دور الزوايا والإخوان تماماً ليحل محله دور القايد والقوم وكل العملاء برئاسة ضباط المكاتب العربية[2].

-السياسة التي طبقها نابليون الثالث عندما حكم فرنسا بتعين ابن أخيه جيروم نابليون على وزارة الجزائر والمستعمرات والذي أطلق يد المستوطنين الأوروبيين في الشمال الجزائري والعسكري في الجنوب،وبذلك تعرض السكان لكل أنواع الضغط من السلب والنهب لأموالهم وممتلكاتهم[3]، خاصة بعد احتلال بلاد القبائل وإحكام السيطرة عليها سنة 1857م .

- رفض الصادق بلحاج المطلق الاتصال بالفرنسيين، وهو ما دفع القائد الأعلى في كتاب عنوانه "تاريخ نادي بسكرة" سنة 1852م بخصوص شيخ تيبرماسين قال فيه (إن كان هناك شخص ينبغي أن لا نغفل عن تصرفاته فهو سي صدوق بلحاج من مرابطي أولاد أيوب ,ومقدم الإخوان في أولاد سيدي عبد الرحمن ووريث سي عبد الحفيظ في أحمر خدو ومنطقة الزاب الشرقي إنه يترصد بنا وسوف ينتهز الفرصة لتأليب السكان ودعوتهم للجهاد إنه يرفض الذهاب إلى بسكرة رغم الإغراءات التي قدمناها له)[4].

وقد حاولت فرنسا مراسلته ثلاث مرات حسب عبد الحميد زوزو والذي لخص فحوى هذه الرسائل بمحاولة فرنسا إقناع الشيخ الصادق بلحاج بالسياسة الفرنسية بأنها قضاء وقدر والتراجع عن فكرة المقاومة المسلحة ،وأعطته الدليل بمجموعة من المرابطين الذين قبلوا هذه السياسة أمثال سي إسماعيل بن عمر من طولقة وسي محمد بن بلقا سم مول القرقور وسي سعيد مول تيماسين[5].

ولم تكتف فرنسا بالإغراءات والرسائل بل حاولت إرسال مبعوثين شخصيين لإقناعه وهما أحمد بن شنوف وسي سعيد قاضي واد عبدي ،ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل[6].

ومن هنا نجد كِلا الطرفان متمسك بأفكاره ، فالصادق بلحاج آمن بضرورة الجهاد والمقاومة وإرضاء الله، أما الفرنسيين فأصروا على القضاء عليه لأنه أصبح يشكل خطراً على وجودها في المنطقة، وعليه جاءت استعدادات كل طرف للثورة .

فالأول بدأ في الاستعداد للثورة بإرسال الرّسل والوفود حاملين رسائل إلى الأعراش والزوايا والمقاديم يحثهم على الاستعداد للمقاومة ،وجمع السلاح والذخيرة والمؤونة بالزاوية

([1])- عثماني مسعود: **أوراس الكرامة أمجاد وأنجاد**، مرجع سابق، ص 84 .

([2])- محمد شرقي: **الطريقة الرحمانية ودورها في المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي**، مرجع سابق، ص 249.

([3])- يحي بوعزيز: **موضوعات وقضايا** ،مرجع سابق، ص 590.

([4])- عبد الحميد زوز: **الأوراس إبان الاستعمار**،مرجع سابق، ص 150.

([5])- المرجع نفسه، ص 151.

([6])-نفسه، ص 151 .

وخارجها بمنطقة مشونش وغوفي وغيرها[1] وكذلك تدريب المقاومين وجمع الخيل، فانتشرت سمعة الرجل بين سكان الأوراس والزاب وازداد أنصاره وعظمت مكانته خاصة الدور الكبير الذي كان يلعبه ابنه إبراهيم للدعاية بإبراز مساوئ الاستعمار الفرنسي.

وقد كثرت رسائل الصادق بلحاج إلى أنحاء واسعة من الأوراس حيث بعث برسالة إلى محمد بن عبد الصمد مقدم الطريقة الرحمانية والقاطن قرب باتنة بتاريخ 26 نوفمبر 1858م يدعوه للجهاد قائلا "إن الرومي يعمل ضد ديننا، ضد صلاتنا، ضد زكاتنا وضد حجنا توحدوا وانهضوا ضد هذا الرومي من أجل حماية ديننا" [2]. ومن خلال هذه الرسالة تستشف الرفض المطلق للصادق بلحاج للاحتلال الفرنسي، والتشبث بالإيمان والجهاد للحفاظ على الدين الإسلامي وأركانه.

وفي رسالة أخرى إلى عرش أولاد بوعون مؤرخة في 9 ديسمبر 1858 م يدعوهم للمقاومة والجهاد وفحواها (إلى الذين يتوكلون على الله...سلام الله عليكم، أريد أن أطلعكم عما يحدث بديننا، حافظوا على ديننا، إن الله يكون معينا ورسوله وسيمدنا بالنصر، إن الله معنا لا ينبغي أن نخشى شيئا، إن الدين هو ملك لنا جميعا فكونوا شجعانا ومؤمنين أقوياء..."[3]، ونلاحظ من خلال هذه الرسالة دعوة الصادق بلحاج إلى المحافظة على الدين الذي هو عصمة هذا الشعب والتمسك بالإيمان القوى بالله الذي سيكون خير نصير ومعين والتحلي بالشجاعة والقوة.

ثم انتقل إلى الأعراش الأخرى مثل أولاد رشاش وبني بوسليمان والتوابة وغيرها ليشرح ويفضح المنشور الفرنسي الذي يلزم السكان بتسجيل أبنائهم في المدارس الفرنسية ويطلب منهم عدم إرسال أبنائهم لهذه المدارس[4]، ثم قام برحلة طاف فيها عدة مناطق خاصة منطقة نارة تحديا لقرار فرنسا الذي يمنع حرية التنقل واكتسب من خلال هذه الرحلة التي دامت 22 يوم [5] شعبية كبيرة، ثم أرسل أولاده إبراهيم والطاهر والفراني إلى مناطق أخرى مثل غسيرة والزاب الشرقي وبني ملول والبراجة ليدعوا إلى مناهضة الاستعمار، بل راسل حتى بن قانة يطلب منه الكف عن مساعدة الفرنسيين[6]، ثم جاء دور ابنه إبراهيم الذي بدأ هو الاخرفى كتابة الرسائل يدعو فيها إلى التمرد وعدم الإذعان للعدو وذيوله وكان من هذه الرسائل رسالة خاصه وجهها إبراهيم مع المدعو "بوقريب" [7]، إلى سكان قرية سيدي عقبة في شهر نوفمبر 1858م والذي حاول قراءتها في ساحة القرية على الناس يدعوهم للجهاد والمشاركة في الثورة فحاول شيخ القرية إلقاء القبض عليه فالتجأ إلى دار مقدم الإخوان الرحمانيين واعتصم بها[8] وامتدت الاستجابة من سيدي عقبة إلى مدينة منعة شمالا.

إن هذه الحادثة دفعت فرنسا هي الأخرى إلى المزيد من الاستعدادات والسرعة في القضاء على هذه الحركة وبقساوة حتى لا تتحول إلى زعاطشة II [9].

([1])-جمعية أول نوفمبر: **تاريخ الأوراس ونظام التركيبية الاجتماعية**،مرجع سابق ، ص 194.
([2])- صالح فركوس/ **المكاتب العربية**، مرجع سابق، أنظر الملحق وثيقة رقم**11**، ص 447.
([3])-المرجع السابق/ أنظر الملحق وثيقة **رقم 11**، ص 447 .
([4])- عبد الحميد زوزو/ **الأوراس إبان الاحتلال**، مرجع سابق، ص 152.
([5])- المرجع نفسه، ص 152.
([6])- نفسه، ص 153.
([7])- ورد في كتاب عبد الحميد زوزو **الاوراس ابان**..باسم لخضر بن كريبع ، وهو أمين سر إبراهيم ،ص 154.
([8])-يحي بوعزيز: **ثورات القرنين 19و 20**، مرجع سابق، ص 133.
([9])-يحي بوعزيز: **ثورات القرنين 19و 20** ، المرجع السابق، ص 133.

وكانت البداية مجموعة من الرسائل أرسلها الجنرال **"ديفو"** ([1]) حاكم باتنة لسكان الأوراس عام 1858 (**أنظر الملحق رقم 09**) فبعد أن أثنى على فرنسا إيجابا في الجزائر حرضهم على سي الصادق واتهمه بالكذب والطمع والكفر وأن فرنسا قوة لاتقهر وطلب منهم أن لايساندوه،ثم قام بمراسلة الصادق بلحاج فى 13ماي1858م يدعوه إلى إتباع أصحاب الزوايا الآخرين ويكون فى خدمة فرنسا(**أنظر الملحق رقم 10**)وهذه الرسائل كلها كرد فعل من ديفو على رسائل الصادق بلحاج وابنه إبراهيم، لأنهم حسب وجهة نظر فرنسا يدعون أن القوات الفرنسية لاتستطيع المجئ إلى المنطقة لكونها منشغلة بالحرب ضد سكان القبائل بجبال جرجرة،ثم بدأ التعاون بين الجنرال "قاستو- gasto" وقائد منطقة بسكرة والجنرال ديفو قائد منطقة باتنة فى حركة منسقة بداية من 19-12- 1858م، واللذين جندا قوات كبيرة اتجها بها إلى ميدان المعركة في منطقة مشونش بمساعدة رجال القوم بقيادة القائد الموهوب بن شنوف، وكانت الخطة التي أعدتها فرنسا هي (مباغتة الثوار من الشمال الشرقي و الشمال الغربي والجنوب الغربي فى حين يشن القائد أحمد بلحاج على رأس العمامرة، والقائد سي مصطفى على رأس بني أوجانة هجمات باتجاه: مزار وفورار حيث تتمركز قوات المتمردين... ثم توزيع نداء باللغة العربية في جميع النواحي وخصوصا سكان جبل أحمر خدو وبني بوسليمان وغسيرة[2] ،وهي الرسالة التي تم الإشارة إليها سابقا وكانت معركة مشوشن فوق طاقة المقاومة عددا وعدة فاضطروا إلى الانسحاب نحو الجنوب ([3])وكانت للشيخ الصادق بن الحاج مناوشات وجولات في المنطقة مع فرنسا ([4])رغم الإمكانيات المحدودة مقارنة مع فرنسا التي جهزت في شهرجانفي1859. فيلق يتألف من 2962مسلح بالبنادق و 401 جندي مسلح بالسيوف وفرقة مدفعية وكتيبة إسعاف، 863بغل لنقل العتاد ([5]) ووقع الالتحام مع قوات سي الصادق المقدرة بـ 1500 رجل بمنطقة **هنقلين** (honuegline)[6] التي تبعد بـ 9 كم عن واحة سيدي المصمودي، واستمر القتال نصف يوم وكانت الكفة لصالح الفرنسيين وانسحب المقاتلين إلى الجبال المحيطة بقرية لقصر بعد أن خسروا عدد معتبر من القتلى والجرحى مقابل قتيلين و51 جريحا في صفوف القوات الفرنسية([7]) فانسحب زعيم المقاومة مع كتيبة من الرجال ومعه النساء والأطفال صوب النمامشة للالتحاق بمنطقة الجريد التونسي، لكنه قبل أن يصل طوق في وادي العرب على بعد كيلومترات من الصحراء من طرف عيون فرنسا التي نصبتهم لمراقبة تحركاته وعلى رأسهم محمد الطيب قايد الخنقة ,وعمر بن عبد الله في زريبة الواد والموهوب ابن شنوف

([1]) -اسمه الكامل **نيكولا جيل توسا** من مواليد 1810م في باريس ،عاش أهم الأحداث الفرنسية، انخرط في الخدمة العسكرية وعمره 19سنة،برتبة ملازم1830ونقيب 1840ثم عقيد سنة 1851 وجنيرال 1859، حاكم لباتنة "52-1855" وقسنطينة"1859-1864" وقائد للأركان ونائب الحاكم العام للجزائر 1865،وقاد حملاتت عسكرية كثيرة أهمها على الأوراس ، يجيد لغات متعددة منها العربية،كتب مذ كراته فى21 جزء خصص الأجزاء من4 الى 8لقطاع الشرق "باتنة- قسنطينة". أنظر عميراوي احميدة/**تاريخ الجزائر الحديث**، ص 99.

([2])- عبد الحميد زوزو: **تاريخ الأوراس ابان الاستعمار**، مرجع سابق، ص 156.

([3])- CHARLE FERAUD – **note historique sur la province de Constantine revue africain**e N176 alger 1886pp 103-107

([4])- صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر**، مرجع سابق، ص 156.

([5])- عبد الحميد زوزو: **تاريخ الأوراس ابان الاستعمار** ، مرجع سابق، ص 157.

([6])- **هنقلين**:هو عبارة عن مكان به شعبتين يفصل بينهما وادي ويبعد هذا المكان عن مقر الشيخ الصادق بحوالي 15 كم,وتقع المنطقة كلها في الجنوب الشرقي من جبل احمر خدو ووقعت بها المعركة ما بين 13و14 جانفي 1859م,حيث أستعملت فيها جميع الأسلحة بما فيها المدافع,وقد شارك الشيخ في هذه المعركة بنفسه مع أ ولاده

([7])- عبد الحميد زوزو : **الاستعمار إبان فترة الاستعمار** ،مرجع سابق ،ص 157 .

قايد منطقة سيدي عقبة وابن ناصر قايد منطقة ششار [1] وفي حوض واد العرب اعتقل الصادق بلحاج و 88 رجلا يوم 20 جانفي 1859 [(2)] بعد أن نال منهم العياء وقلة الزاد ومشقة السفر، واقتيد إلى معسكر لقصر حيث يعسكر الجنرال "ديفو"[(3)].

أما عن نتائج هذه المقاومة يمكن أن نوردها فى مايلي:

- القتل الجماعي والمصادرة للأملاك وحرق الديار والخيام، ولم تميز حتى بين الثوار وغيرهم مثلما فعلت قبل ذلك بحوالي 10 سنوات في الزعاطشة [(4)]، فخربت قرية لقصر و أولاد أيوب ومقر الزاوية "تبرماسين في 14 جانفي59"[(5)]، ونهب المؤن والمدخرات وإفساد ما عجز عن حمله بالإضافة إلى جمع الحيوانات من غنم وبقر وبغال وخيول [(6)]، ثم الاستمرار فى التخريب جهة الغرب ابتداء من قرية غوفي التي كانت مستودع لذخيرة الشيخ، ثم استمر القتل والتخريب لكل القرى المجاورة[(7)]، وقد شاركهم في هذه العملية التخريبية قوم بن قانة وين شنوف[(8)].

- إطلاق سراح القياد في معاقبة المتمردين وتطبيق العقوبة عليهم ،إذ يقول الجنرال **ديفو**(أنتم مسؤولون عن اكتشاف المتمردين وتسليط العقوبات عليهم ومهاجمة جميع المتمردين بدون استثناء والاستيلاء على ممتلكاتهم وإلحاق الضرر بهم دون شفقة... يجب أن تنفذوا هذه الأوامر بحذافيرها لكي لا نضطر إلى معاقبة القايد وقبيلته المتمردة)[(9)]، وهنا نلاحظ كيف دفعت فرنسا القياد ضد أبناء بلدتهم وهددتهم بالويل، ورفضت حتى الوساطة ولم يتردد أحدهم في الامتثال للأوامر(**أنظرالملحق رقم11**) .

- اعتقال زعيم الثورة الصادق بلحاج مع أفراد عائلته و 88 مجاهدا يوم 20 جانفي 1859 وحكم عليه في البدء بالإعدام[(10)]، مع أبنائه وجميع المتهمين يوم 26 أوت 1859 بمحكمة قسنطينة ثم استأنف الحكم وصدر في شهر نوفمبر1859 و وفحواه تخفيف الحكم من الإعدام الى الأشغال الشاقة لمدة15 سنة ضد سي الصادق بن الحاج و10 سنوات ضد بقية المتهمين وزج بهم في سجن الحراش، وفيه بقي الصادق إلى أن وافته المنية سنة 1862[(11)] في سن 80سنة أما إبنه إبراهيم فقد سجن في جزيرة كورسيكا[(12)] والطاهر سجن في بوشبك بسيدي بعلباس[(13)]، والغزالي نفي إلى شرشال وتوفى به ودفن هناك، وكل من ألقي عليه القبض في

([1])- عثماني مسعود: **أوراس الكرامة**، مرجع سابق،ص 85.

CHARLE A- JULIEN **: histoire de l’algerie contemporaine t1** –paris -1964-p.124-. -([2])

([3])- عثماني مسعود: **المرجع السابق**،ص 85.

CHARLE A- JULIEN **: opcit**-p. 125-([4])

LOUIS RINN / **khouans et marabout**-opcit-p460.-([5])

([6])- جمعية أول نوفمبر: **تاريخ الأوراس نظام التركيبة**،مرجع سابق، ص 197.

([7])- من هذه القرى: أحمر خدو، بني بوسليمان، غسيرة، أولاد عبدي، السراحنة، أولاد زيان.

([8])- جمعية أول نوفمبر: **المرجع السابق**، ص 198.

([9])- عبد الحميد زوزو: **المرجع السابق** ،ص ص 158- 159.

([10])- عبد الحليم صيد،: **أبحاث في تاريخ الزيبان بسكرة، مرجع سابق،** ص 57.

([11])- حمل على ظهر بغلة إلى جبل أحمر خدو حيث دفن في مقبرة أسلافة بتبرماسين (أنظر كتاب **تاريخ الأوراس** ونظام التركية، ص 198).

([12])- لما أفرج على إبراهيم وأخوه الطاهر سنة 1872، عاد الى إلى تيبرماسين وأقاما قواعد الزاوية كما أعادا دور الزاوية الحضاري والإنساني المتمثل في إحياء علوم الدين وفض النزاعات بين القبائل، وفي سنة 1876 توفي الشيخ الطاهر فترك شؤون الزاوية لأخيه إبراهيم الذي ألف كتاب حكمة المغانم نشر فيه بعض جوانب الثورة ."أنظر كتاب عثمانئ مسعود/**أوراس الكرامة** ص 86.

([13])- عبد الحميد زوزو: **الاوراس إبان فترة الاستعمار**، مرجع سابق، ص 161.

الزاوية أمثال عبد القادر و السقطى ومصطفى والشبلي بن الشيخ الطاهر وأحمد النور فقد وضعوا تحت الإقامة الجبرية ببسكرة وهذا الأخير كتب قصيدة قال فيها:

كركرونـــي مـــع الأشجار وزادو ني على الأحجـــار

حسيـــت بقلبـــي طايـــــر فـــي ذاك العشويـــــة

سالـــو علـــى الباهـــي وأولاده الكليــــــــة[1].

وهذه القصيدة تبين التنكيل بالشيخ أحمد النور وهو كفيف وطاعن في السن والتي يصف فيها معاناته مع الفرنسيين ويبلغ سلامه للشيخ الصادق وأبنائه.

- لقد كان لحركة سي الصادق تأثير كبير على المنطقة وخارجها إذ نجد في الغرب الأوراسي تندلع ثورة بمنطقة المسيلة وجبال الحضنة بقيادة محمد بن بوخنتاش الذي ينتمي إلى أولاد سيدي رحاب أشراف أولاد دراج يدعون بالبراكتية[2]و قام بثورة في شهر مارس 1860 من أهم معاركها "خنق أم الحمام"[3] وعند تقييمنا لهذه الحركة الثورية يمكن أن تستخلص ما يلي:

-أن سي الصادق كانت حياته حافلة بالعمل الصالح والفداء والتحدي للعدو الفرنسي ومقاومته على كل الجبهات السياسية والعسكرية رغم الإغراءات التي قدمت له، إذ سجل في كل قرى ومداشر الأوراس والزاب الشرقي عملا بطوليا، و فتح المنطقة على تطوير المقاومة والاستمرار فيها، وهذا ماتم بالفعل بعد ذلك إلى غاية ثورة نوفمبر 1954.

-خلو الحركة من أي استعداد فعال أو تخطيط ملائم إذ اكتفى الشيخ بعنصر القرابة والنسب والجوار مع صعوبة المواصلات [4] وقد وجد الاستجابة لدى سكان المناطق المجاورة لكن الإمكانيات المادية حالت دون الاستعداد الأمثل لذلك.

-كان للقياد دور كبير في إفشال الانتفاضة، والمآسي التي لحقت برجال الطرق الصوفية بمنطقة الأوراس.

ورغم فشل هذه الثورة إلا أنها كانت تعبير صادق عن رفض الأخوان لقوانين الإدارة الاستعمارية [5].

4-علاقة ثورة 1871 بالأوراس:

إن ثورة 1871 التي قادها الحاج الباشا آغا محمد المقراني في منطقة برج بوعريريج تطايرت شراراتها بسرعة البرق إلى مختلف مناطق الوطن، وخاصة إلى منطقة القبائل أين يوجد الشيخ الحداد والزاوية الرحمانية التي تسعى إلى تحرير الوطن وتدعوا إلى الجهاد، وتزعمت عدة ثورات على مستوى الوطن، فأعلن الشيخ الحداد الثورة إلى جانب المقراني فازدادت شموليتها، وإذ كان الإخوان الرحمانيون في منطقة الأوراس يرتبطون أكثر بزوايا

([1])-جمعية أول نوفمبر: **تاريخ الأوراس** ، مرجع سابق، ص 199.

([2])- يحي بوعزيز: **موضوعات وقضايا**، مرجع سابق، ص 593 .

([3])- المرجع نفسه ، ص 595.

([4])- يحي بوعزيز: **ثورات القرن، 19، 20**، مرجع سابق، ص 134.

([5])- محمد شرقي::**الطريقة الرحمانية ودورها في المقاومة**، مرجع سابق، ص 251.

الجنوب" البرج وطولقة والخنقة"[1]،فإن الشيخ الحداد أرسل رسل إلى منطقة بلزمة بالأوراس الغربي وهم مقاديم للطريقة منهم" احمد بن عبد الله- يخلف بن مرة وعلي بوشوارب"[2] يحملون معهم نداء للجهاد ضد الاستعمار، وكانت أولى محطاتهم هي قبيلة أولاد سلطان فاستقبلهم مقدمي العرش ومنهم "محمد الصديق، وسي سليمان بن علي، وأحمد بن رحمون وسليمان الدروعي "وعندما تعلق الأمر بالجهاد استدعوا كل أعراش بلزمه للاجتماع يوم 21 أفريل 1871 ضم ممثلي قبائل "أولاد سلطان، أولاد فاطمة، أولاد شليح، أولاد بوعون والحليمية "ووضعوا خطة لإعلان الجهاد[3]' وحددت الأهداف كمراكز الاستيطان، والكولون ومؤسساتهم، مثل الهجوم على مؤسسة التجارة العامة لصاحبتها "سارلين sarluie"، وهرب عمال مؤسسة النجارة بوادي الماء- بروهام- إلى باتنة فاعترضهم الثوار وقتلوا منهم 12 رجل وجرح آخرين[4]، وفي 14 ماي اعترضوا قافلة فرنسية في واد الشعبة، فانتقمت فرنسا بإحراق قرية المقدم الرحماني أحمد الصديق ، وبعدها قامت معركة الثنية البيضاء بين قوات محمد دروعي وقوات أودلير دامت أربعة أيام كاملة (17- 20 ماي) وقد وصفها الجنرال لا لماند" بأنها أكثر المعارك دموية في إفريقيا يخوضها الجيش الفرنسي والتي تركت وراءها مقتل 30 ضابط وجرح سبعة منهم، أما الجنود فقتل منهم 13 وأصيب 111"[5].

لقد تأهب قياد الأوراس الغربي لرصد تحركات الأعراش والأشخاص الذين ساهموا في الثورة وكتبوا عدة رسائل إلى المكتب العربي بباتنة برئاسة "لويس رين" خاصة قائد أولاد سلطان محمود باشتارزي حيث وضح أن مركز الأحداث كان قرية نقاوس والقبائل المشاركة والمغذية للثورة هي "أولاد سلطان، أولاد شليح، أولاد فاطمة، أولاد رحاب، أثلاث، الحليمية، أولاد علي، وحيدوسة"، وفي رسالة أخرى أخبره بنشاط قبيلة يفرن في صناعة البارود، وذكر الكثير من الأسماء وجلهم من الطريقة الرحمانية[6]، ونظرا لخطورة الثورة على المنطقة قام حاكم باتنة باحتجاز كل السكان المتجولين متهما إياهم بالجوسسة والتخطيط لمهاجمة الحامية ودعا إلى تحصين المدينة، وقام الثوار بمهاجمة مزارع المعمرين في قرية المعذر وفسديس إلا أن المعمرين هربوا إلى زاوية عبد الصمد طلبا للنجاة[7] من الثوار. وكونت فرنسا مليشيات لتشديد الحراسة على المدينة وخاصة في مدينة المعذر وقامت بإعدام 32 مواطن في عين ياقوت بكل وحشية[8]، ثم امتدت الأحداث إلى الأوراس الشرقي بقيادة عمر بن مسعود الخماتي من قبيلة البراجة والذي قام بهجومات كثيرة على المصالح الفرنسية بمنطقة كيمل وبوزينة وغسيرة، وقد حاول الجنرال "دولاكروا" إغرائهم غير أنه فشل فاتجه إلى استخدام قائد جبل ششار للقضاء على الثوار وعلى رأسهم الخماتي سنة 1873.[9]

([1])-محمد شرقي: **الطريقة الرحمانية ودورها** ، المرجع السابق ،ص 269.

([2])- عثماني مسعود: **أوراس الكرامة**، مرجع سابق، ص 106.

([3])- يحي بوعزيز: دور **الإخوان الرحمانيين في ثورة 1871 بمنطقة الأوراس وأثر المقراني والحداد فيها** مجلة الثقافة العدد 38 ،أفريل 1977، ص 13.

([4])- عثمان مسعود: **المرجع السابق**، ص 107.

([5])- عبد الحميد زوزو: **ثورة 1879**،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1986 . أنظر الهامش، ص 26- 27.

([6]) عثماني مسعود: **المرجع السابق**، ص 110.

([7]) عبد الحميد زوزو: **المرجع السابق**، أنظر الهامش، ص 26.

([8]) شرقي محمد/ **الطريقة الرحمانية ودورها**، مرجع سابق، ص 270.

([9]) عبد الحميد زوزو: **ثورة 1879**،المرجع السابق، ص 26 .

وعليه فإن ثورة المقراني والشيخ الحداد التابع للطريقة الرحمانية بينت لنا التآزر والتآلف الدينى الذي كان عنوانا للهوية الجزائرية، حيث مست مناطق كثيرة من الوطن ومنها الأوراس الذي استجاب تلقائيا لدعوة الرحمانيين لأنهم كافحوا من أجل الوطن والإسلام وأرضهم المغتصبة وشرفهم المهان [1]**(أنظرالملحق رقم12).**

5-ثورة سكان واحة العمري 1876:

تقع واحة العمري على بعد 48 كم جنوب غرب مدينة بسكرة، على مجرى مائي ينزل من جبل أكسوم والذي يصب في واد جدي[2]، بها قرية بسيطة البناء (خشب وجريد) لها مدخلان شرقي وغربي يتجاوز عدد دورها 300 دار محاطة بسور حصين وإبراج للمراقبة[3]، عرفت حياة اقتصادية وثقافية مزدهرة كالصناعة التقليدية (زرابي، سلاح، بارود) ودور للعلم متمثلة في المساجد التي أصبحت قبلة للعلماء[4]، قامت بها الثورة بزعامة الشيخ محمد يحي[5] وبمساعدة الشيخ الديني بالواحة أحمد بن عياش[6].

وعن أسباب هذه الثورة فقد عددها مارغون أنها تنحصر في المشاكل التي تثيرها عائلة قائد الناحية بولخراص بن قانة، ودعاية الشيخ الديني المتعصب أحمد بن عياش ضد الفرنسيين ،وضعف قائد الناحية بولخراص بن قانة وعجزه عن مواجهة حوادث أولاد بوزيد عندما ظهرت في البداية[7].

فعن المشاكل التي تثيرها عائلة بن قانة تشير إلى ارتفاع حصيلة الضرائب التي أوكلتها فرنسا للقائد بولخراص ومعاملته السيئة للسكان، خاصة وأن الشيخ أمحمد يحي يكن الكره للسلطة الاستعمارية،والشك والجفاء من رئيسه بولخراص النابع أساسا من حادث خاص به وبعائلته، فقد مات أخوه الكبير مسعود الذي كان قاضيا بمدينة بسكرة مسموما في منزل الوكيل بلقاسم الخمار وشاع بأن محمد الصغير بن قانة هو الذي أوعز بذلك، وقد ترك ذلك ألما كبيرا لدى زعيم الثورة وكضم غيضه مدة دون أن ينساه [8].

أضف إلى ذلك الصراع القائم بين عائلتي بوعكاز وعائلة بن قانة ،خاصة وأن فرسا سعت إلى تنظيم إدارة المناطق الصحراوية محاولة بذلك خلق نوع من التوازن بين العائلات الكبيرة مع إعطاء نوع من الحرية الذاتية للمنطقة غير أنها فشلت بسبب سياسة الدس والإيقاع التي طبقها ضباط المكاتب العربية بين هذه العائلات [9].

أما السبب الثاني للثورة يعود إلى الدور الأساسي الذي قام به الداعية الديني للثورة أحمد بن عياش الذي يمثل روح المقاومة خاصة وأن سكان المنطقة كانوا يكنون كرها للاحتلال

---

(1) جمعية أول نوفمبر: **ثورة الأوراس 1916**، مرجع سابق، ص 457 .

(2)- يحي بوعزيز: **موضوعات**، مرجع سابق، ص 597.

(3)- شلبي شهرزاد: **ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بنمنطقة الزيبان في القرن 19**، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر، جامعة باتنة، 2008، 2009، ص 84.

(4)- المرجع نفسه ، ص 84.

(5)- هو**محمد يحي بن الصغير بن عبد الله** (1841- 1876) تزعم الثورة وعمره 35 سنة، اشتغل كاتب عند بو لخراص بن قانة ثم شيخ عرش أولاد ادريس الذين هم فرع من اولاد بوزيد، أنظر يحي بوعزي ، **موضوعات** ص 600.

(6)- **أحمد بن عياش**: داعية كبير لحركة أمحمد يحي وأولاد بوزيد نعتة مارغون بالدرويش وهو مرابط عرش البوازيد، أنظر شلبي/ **واحة العمري**، ص 86.

(7)- يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 599.

(8)- يحي بوعزيز: **موضوعات**، المرجع السابق ، ص 598.

(9)- المرجع نفسه، ص 598.

الفرنسي ويرغبون في التخلص منه نتيجة التشريد والمطاردة وقسوة ضباط المكاتب العربية(ضرائب، أعمال السخرة)[1] وصراع العائلات، فبدأ الشيخ في تحريض سكان المنطقة ضد الاستعمار وتأليبهم ضد الإدارة الأهلية المتمثلة في أعوانهم [2] وقد حاولت فرنسا أن تنقص من دور هذا المرابط ابن عياش وطلبت من بن قانة أن لا يعطي أهمية كبيرة لهذا الدرويش والعمل على إبعاد الناس عنه عن طريق منح عشابة لبوازيد رخسة التنقل للشمال لتنقص من هيبته وتسهل عملية القبض عليه[3].

والسبب الثالث وهو عجز بولخراص بن قانة من احتواء الثورة في مهدها، وفشل كل المحاولات التي قام بها، وقد أجاب على الحاكم العام جيليز الذي طلب منه أن يوافيه بكل ما يجري لدى ليوازيد بأنهم مخلصين للسلطة ،وأن اجتماعاتهم المنظمة كانت من أجل طلب الغيث من الله حسب عادة المسلمين بسبب القحط والجفاف وقد شاطره الحاكم العام الرأي[4].

إن الرسالة التي بعثها سكان بسكرة والمناطق المجاورة إلى الحاكم العام بالجزائر 1875 والتي اشتكوا فيها من أعمال بولخراص أثبتت العكس، فاتهم بولخراص كاتبة أمحمد يحي بكتابة الرسالة للأهالي وألقى علية القبض ثم تمت تبرئته[5].

ومهما تعددت الأسباب فإن السياسة التي طبقتها فرنسا ومارسها أعوانها وضباطها ضد سكان الواحة ورفض الاحتلال بحكم الوازع الديني والتأثر بالثورات التي سبقتها خاصة بعد القضاء على حركة بوشوشة في مارس 1874، كل ذلك دفع سكان المنطقة إلى الاستعداد للثورة، فزعيم الثورة بدأ برأب الصدع داخل عرش لبوازيد نتيجة الاختلاف في الرأي وكثرة الانقسامات فجمع صفوفهم، واتفقوا على التمرد والثورة ضد فرنسا وأعوانها، وكانت البداية هي استجابة لبوازيد لطلب الجنرال كارتيري لمصاحبته إلى تقرت وحضر فرسانهم إلى بسكرة وتوجهوا صبيحة 8 مارس 1876 مع الجنرال إلى تقرت، والحقيقة أن لبوازيد كانوا عازمين على الثورة[6] وخروجهم مع الجنرال يمكن القول أنه خطة للانفراد به وسط الصحراء ،والدليل أنهم انفصلوا عليه يوم 12 مارس 1876م .وحاولوا الإغارة عليه في منطقة –وادي ريغ- فاضطر أن يعود إلى الوراء[7]، ثم حاول استمالة بعض الأشخاص ذوي النفوذ في المنطقة[8].

أما عن استعدادات فرنسا فقد بدأت بالاتصالات مع زعيم الثورة برسالة تطلبه الحضور إلى بسكرة من طرف لوفرو إلا أن أمحمد يحي رفض بدعوى أنه مشغول وأن بني بوزيد رافضين ذهابه لخوفهم أن يعتقل[9]، فلجأ إلى دسائس أخرى محاولا إقناع بولخراص بن قانة بالذهاب إليه إلا أن هذا الأخير رفض خوفا من اغتياله.

([1])- نفسه ، ص 599.
([2])- شلبي/ ، **ثورة واحة العمري**، مرجع سابق ، ص 86.
([3])-المرجع نفسه ، ص 87.
([4])- يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 601.
([5])- شلبي :**المرجع السابق**، ص 90.
([6])- يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 601.
([7])- يحي بوعزيز: **موضوعات**، المرجع السابق، ص 601.
([8])- منهم: سلامي بن يداح شيخ الجبابرة، مبروك بن بريكة شيخ أولاد داوود، محمد بن الحاج بن سالم وعلي بن ريش شيخ زاوية متليلي: أنظر يحي بوعزيز /**موضوعات**، ص 603.
([9])- يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 603.

ولذلك قرر لوفرو التنقل بنفسه للقيام بمهمة التفاوض مع أعيان عرش البوازيد يوم 28 مارس 1876 إلى واحة طولقة عن طريق ليشانة بصحبة ثلاث فرسان فقط حتى لا يثير مخاوف السكان، وعندما رحل إلى طولقة استقبل ببرودة وتذمر واتجه إلى زاوية سي علي بن عثمان ومن هناك أرسل لوفرو رسالة إلى امحمد يحي وأخرى من شيخ الزاوية يطلبان منه القدوم إليهما، لكن الرسول عاد وأخبرهما بأن بني بوزيد في حالة ثورة فاعتصم لوفرو بالزاوية، وأرسل يطلب النجدة من بسكرة ومن القائد الحاج بن قانة الموجود في منطقة أورلال وأنقذوه من المأزق الذي وقع فيه[1]، ومن هنا جهز الجنرال كارتيري قواته، أما زعيم الثورة فجمع الأسلحة والناس ووضع أحمد بن عياش علما أخضر واستجابت الجماهير للجهاد من كل النواحي[2]، وفي 03 أفريل 1876 أرسل الجنرال لوفرو رسالة إلى لبوازيد يهددهم ويمهلهم 05 أيام حتى ينجون من 14 قطعة مدفع مصوبة نحوهم وبنادق 200 جندي [3]، ووصلته تعزيزات ضخمة من قسنطينة بقيادة كارتيري.

وفي يوم 11 أفريل 1876 على الساعة 7 صباحا بدأت المعركة في واحة العمري قتل خلالها زعيم الثورة أمحمد يحي وحوالي 50 رجل وجرح أحمد بن عياش كما جرح عدد من القوات الفرنسية وأعوانها من بينهم قائد بسكرة محمد الصغير بن قانة [4]، وأمام هذه التطورات ثم عقد مجلس حربي بالواحة الذي قرر مواصلة الجهاد وفق خطة مدروسة، أما العدو قام بمحاصرة الواحة وقصفها عشوائيا وطلب النجدات من قسنطينة التي استجابت بقيادة العقيد ناروي (Narwe)، ومن بوسعادة بقيادة الجنرال روكبرون (Roquebrune) وعسكر كل واحد منهما في مكان خاص مكونين مثلث عليها من الشمال والشرق والغرب [5].وفي 27أفريل 1876م شرعت القوات الفرنسية في قنبلة الواحة من جميع الجهات لمدة ثلاث أيام ،واضطروا إلى الاستسلام يوم 29أفريل 1876م لينجوا بأرواحهم[6]وكانت من **نتائج** هذه الثورة :

- تخريب الواحة على غرار ما فعله هيربيون بواحة الزعاطشة 1849م ومصادرة أملاك السكان ونخيلهم وباعتها فرنسا إلى أعوانها[7].

- فرض غرامة مالية فاقت 192200فرنك ومصادرة 492بندقية وغرامات أخرى على القبائل المساندة,قدرت بـ44200فرنك [8] وإرغام السكان على الهجرة وتشتيتهم إلى كافة أنحاء القطر الجزائري، وقد تعرض هؤلاء الى مجاعات قاسية وأزمات فتاكة[9]،ولم تسمح لهم فرنسا بالعودة إلا سنة 1890م لبعض العائلات فقط.

-إلقاء القبض على 91 فرد من أولاد بوزيد ,قدمتهم للمحاكمة منهم أحمد بن عياش الذي حُكم عليه بالإعدام ثم عوّض بالنفي الى كورسيكا.

---

(1)- المرجع نفسه، ص 603.

(2)- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية، 1860، 1900**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامية، بيروت 1992، ص 300.

(3)- شلبي شهرزاد: **مقاومة واحة العمري**، مرجع سابق، ص 94.

(4)- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 603.

(5)- المرجع نفسه: ص 604.

(6)- شلبي شهرزاد: **مقاومة واحة العمري**، مرجع سابق، ص 98 .

(7)-يحي بوعزيز:**موضوعات**، مرجع سابق،ص 605 .

(8)- المرجع نفسه ،ص 605 .

(9)- شلبي : **المرجع السابق** ،ص 101.

6- ثورة 1879 بالأوراس:

كانت آخر ثورة شهدتها منطقة الأوراس الكثيرة التضاريس والالتواءات والمنحدرات والارتفاعات في القرن 19 هي ثورة 30 ماي 1879 بقيادة **محمد بن عبد الرحمان**[1]، وهي الشخصية الدينية التي كانت تبحث عنها العامة من السكان لتتخذ من الجهاد سبيلا ضد السلطة الإدارية الفرنسية، وهذه الثورة ما هي إلا استمرارية للثورات التي سبقتها خاصة ثورة الصادق بلحاج 1859، وعن **أسباب** هذه الثورة فنستشفها من رسالة محمد بن عبد الرحمن إلى مجلس المحاكمة (...إن الثورة كانت نتيجة للصراع بين القياد وبين ورثة الرئاسة التقليدية (الدينية) المدعمة بإرادة السكان.... فكانت كالبركان القاذف لحمم الغضب من جميع جنباته وصرخة في وجه الطغاة أن موتوا... ولحظة فرح عام بتحرر الوطن...إن اتهامنا بالقتل والسلب والاعتداء إنما يجدر إسناده إلى بشتارزي وشركائه الذين دفعوا هذا الشعب إلى الثورة....) [2].

وهذه الرسالة أصدق تعبير عن الأسباب الحقيقية للثورة فقد وصفها كالبركان الذي ينفجر نتيجة قوة الضغط الداخلي وهو كناية عن الظروف الطبيعية والاجتماعية والدينية والسياسية التي يعيشها سكان منطقة الأوراس، فالجفاف عام 1877 دفع الناس إلى السلفة بفوائد 50 % فهلك الزرع والحيوانات خاصة عند بني بوسليمان وأولاد داود[3].

ثم أن هذه الرسالة بينت وبصدق تصرفات القياد والعملاء وابتزازاتهم لأموال السكان (مواش، خيول، أراضي، حبوب...) والاعتداء على الحرمات، فمثلا اشتكى بنو سليمان من ظلم القايد بشتارزي في تكوت سنة 1876، وتصرفات ابنه محمود في أولاد سلطان بنقاوس من بني يفرن الذي استولى على خيول هذه العائلة وحبوبهم وفرض عليهم العمل مدة أربعة أيام في الحرث والحصاد والدرس والنقل، ولما اشتكوا ثم تفيهم إلى جزيرة كورسيكا[4]. ونفس الشيء قام به القايد الهاشمي بن بوضياف في شهر مارس 1879 بعرش أولاد داوود ويشترط على السكان ضيفة كل يوم[5]. وقد سار على منوالهم بقية القياد لدرجة القتل لكل من حاول أن يشتكي هذا الظلم إلى حاكم باتنة[6].

حدث كل هذا أمام مرأى محمد بن عبد الرحمن وسكان الأوراس خاصة وأنهم رجال تعلقوا بالطريقة الرحمانية[7] التي تعد أقوى الطرق من حيث مريديها وأتباعها في المنطقة، والذين

([1])- هو محمد أمزيان بن محمد الصالح بن عبد الرحمن ولد سنة 1849 بعرش بني بوسليمان بقرية جار الله، درس في زاوية تيبرماسين الرحمانية التي أسسها الصادق بلحاج صاحب ثورة 1859، اشتغل بتدريس القرآن والإمامة في مسجد سيدي عيسى بوقبرين بقرية جار الله التي تبعد 20 كم عن قرية تكوت، ثم انتقل إلى قرية الحمام طالبا للقرآن وإماما لمسجدها من 1875- 1877، كان مستقيما ومتدينا ومتشيعا للطريقة الرحمانية حاولت فرنسا اعتقاله لكن سكان قرية الحمام "اللحالحة" دافعوا عنه، ينعته الفرنسيون وعملاؤهم بـ "ببرمة" وباللهجة المحلية "بوثقنوشت" استصغارا من قيمته، قاد ثورة 1879، ووافته المنية 1889 بالبقاع المقدسة، أنظر زوزو، **ثورة 1879**، ص ص 61، 62، وكذلك الطاهر عزوي، **ثورة الأوراس 1879** مجلة التراث ، ع1 ، ص 61.

([2])- عبد الحميد زوز: **ثورة الأوراس 1879**، مرجع سابق ، ص 61.

([3])- محمد الطاهر عزوي: **ثورة الأوراس 1879**، مجلة التراث، ع 1، دار الشهاب، باتنة جويلية، 1986، ص 61.

([4])- شرقي محمد: **الطريقة الرحمانية ودورها**،مرجع سابق ص 279.

([5])- يشترط فيها أن تكون من كبش سمين وطعام بالسمن والرفيس والعسل.

([6])- شرقي محمد: **المرجع السابق**، ص 280.

([7])- الإحصاء الذي قام به لويس رين في كتابة "**الطرق الدينية**" كان على النحو التالي بسكرة، 13870، باتنة 1099، خنشلة 2687، رحمانيا.

أصبحوا يشكلون منافسا خطيرا للقياد حيث وجدوا فيها التكافل الاجتماعي والاقتصادي والديني والتعليمي عكس سياسة السلب والنهب التي يطبقها القياد المدعمين بالسلطة الفرنسية وخاصة المكاتب العربية، فشيوخ الزوايا يحصلون على الهدايا طوعا واحتراما، أما القياد يأخذونها كرها وإرغاما[1]. ولذا وضعت كل الزوايا المشكوك فيها تحت الرقابة الصارمة من طرف القياد والسلطات الفرنسية في الأوراس وخنشلة [2].

يحدث هذا كله بمباركة من جانب ضباط المكاتب العربية، هذه الأوضاع كلها جعلت الزوايا الرحمانية ترفض وتعارض تصرفات القياد وقوانين الإدارة الاستعمارية التي تشكل خطرا على عقيدة السكان وهو ما دفع محمد بن عبد الرحمن وسي الهاشمي دردور صاحب زاوية مدرونة إلى دعوة اتباعهم بعدم التعامل مع الإدارة الفرنسية وعدم الامتثال لأوامر القياد وعملائهم في المنطقة[3]، ولذا شجعت فرنسا العداوة بين القبائل والزوايا مثل (الصراع بين زاوية بلعباس القادرية وآل دردور الرحمانية) حيث أصبحت تنظر كل واحدة للأخرى بعين الريبة والحذر، وفي جبل أحمر خدوا اشتكى مصطفى باشتارزي إلى المكتب العربي ببسكرة من زاوية تيبرماسين التي خلفت زاوية سيدي المصمودي بقيادة مصطفى بن سي الصادق[4]، والرسالة كذلك تبين رغبة سكان الأوراس في التحرر والإنعتاق من القبضة الاستعمارية وأذنابها التي لم تراعي مشاعرهم الدينية مما أذكى في قلوبهم نار الغضب والحقد وحب الانتقام، فضل الكل يتحين الفرص وينتظر الساعة المناسبة لإعلان التحدي والعصيان، ومن هنا بدأ الاستعداد للثورة خاصة بعد ما أن بلغ الصراع أشده في جانفي 1879 بين القايد الهاشمي بن بوضياف وأولاد داوود الذين لم يحتملوا تصرفاته عندما أعتقل بعض زعماء القبيلة كرهائن بتهمة عدم الخضوع لطاعته[5].

فقام محمد بن عبد الرحمن إمام مسجد قرية لحمام بعقد اجتماع قد يكون عاديا عند الإخوان، لكن القياد ادعوا أنه لإعلان الحرب وقدموا منشورات مزورة باسم الإمام تدعوا للجهاد إلى السلطات الاستعمارية.

ودعوا إلى اعتقال محمد أمزيان بن جار الله إمام المسجد فكانت بداية الثورة في 30 ماي 1879 والتي مرت **بثلاث مراحل:**

تميزت **المرحلة الأولى** بمهاجمة القياد، حيث قام 30 رجل وأربعة فرسان بمهاجمة القايد الهاشمي بوضياف وخليفته سي الصالح بن محية لكنهما انسحبا وفرا، فاتجهوا إلى قائد قرية تكوت وأحمر خدو أين يقيم مصطفى باشتارزي وقطعوا رأسه ورجعوا إلى قرية العناصر لخوض المعركة مع مجموعة القياد كالهاشمي بوضياف قائد أولاد داوود ومحمد بوضياف قائد أولاد أوجانة ومحمد سديرة قائد الأعشاش[6]، والذين كانوا يراقبون الوضع واستعدوا للمواجهة بمساعدة جيش الصبايحية يقوده ضابط مكتب عربي يدعى الملازم كوربي (corbée) لكن الثوار فاجؤوهم ليلا وقتلوا القائد محمد بوضياف وطباخ الملازم كوربي وتسعة من الصبايحية والمجندين وجرح ثمانية منهم وأسر كاتب القايد الهاشمي

([1])- عبد الحميد زوزو: **ثورة 1879**،مرجع سابق ص 34.

([2])- المرجع نفسه، ص 35.

([3])- محمد شرقي: المرجع السابق، ص 281.

([4])- المرجع نفسه، ص 281.

([5])-محمد شرقي: **الطريقة الرحمانية ودورها**، المرجع السابق ، ص 282.

([6])- المرجع نفسه، ص 284.

"الحسين بن حمو" [1]، فارتبك الفرنسيين وأذنابهم وازدادت عزيمة الثوار الذين اتجهوا في 6 جوان 1879 إلى الحسن بلعباس قائد أولاد عبدي فقتلوه مع خليفته دعاس وباش عادل معيوف وشيخ أم الرخاء في وادي طاقة رغم احتمائهم بـ 200 مجند[2].

كانت هذه المرحلة ناجحة من جهتين الأولى هي القضاء على ممثلي السلطة الفرنسية "القياد" وزرعت البلبلة والخوف والرهبة في أوساطهم، ومن جهة أخرى اتسع نطاق الثورة وكثر أتباعها وعلى رأسهم شيخ زاوية بوزينة باولاد عبدي والهاشمي دردور الذي قال (إنها ثورة إسلامية حقا وبأن صاحبها كان فعلا منتظرا لدفع الظلم وإنهائه)[3].

بعد هذه الانتصارات حاول زعيم الثورة محمد بن عبد الرحمن توسيع مجال الثورة والاتصال بالقبائل المجاورة للأوراس فالتف حوله أعراش أولاد داوود التوابة وغالبية بني بوسليمان وأحمر خدو وجماعة بني أو جانة وأولاد عبدي، وأرسل الرسل إلى الحراكتة في أم البواقي ومسكيانة وصدراته[4] يحثهم على الثورة وحمل السلاح وإعلان الجهاد وتعميمه كما طلب من بعض كتابة إيصال رسائل إلى قبائل زواوة بجرجرة لتوسيع دائرة المقاومة [5].

أما **المرحلة الثانية** فهي مرحلة مواجهة الجيش الفرنسي الذي جهز جيش من ثلاث طوابير بقيادة اللواء فرجمول (forgemol) قائد فرقة قسنطينة وطابور باتنة يساعده اللواء لوجرو (logerot)يتكون من ستة فيالق واتجه إلى قرية المدينة بقلب الأوراس، أما الطابور الثاني جاء من بسكرة بقيادة العقيد كجار "cajard" يتكون من ثلاث فيالق متجها إلى قلب الأوراس والطابور الثالث من خنشلة بقيادة الكولونال قوم "gaume"[6] وهذه الفرق كانت مشكلة من الزواف والقناصة والفصائل الجبلية والقياد ورجال الهندسة العسكرية وفرق إسعاف وسلاح متطور واستخدم الفرنسيون 186 حصان و 80 بغل لنقل الوسائل[7]، وجرت معارك ضاربة بين الطرفين غير متكافئة عددا وعدة، وأهم معركة هي لاربعاء شرق مدينة تيمقاد شمال مدينة باتنة في 8و9 جوان 1879 خسر فيها الثوار 112 قتيل، مقابل 05 قتلى و 10 جرحى في صفوف الجيش الفرنسي[8] ، وانسحب الثوار ولا حقهم العدو واصطدم معهم مرة أخرى يوم 15 جوان بخنقه أمعاش عرفت بمعركة "الربع أو أم عشرة"[9] .

أما **المرحلة الثالثة** فتميزت باتجاه الثوار مع قائدهم محمد أمزيان جنوبا مع عائلاتهم مطاردين من قبل قائد جبل ششار، وقد توفي أغلب المرافقين في الصحراء بسبب العطش والجوع والتعب ولم يصل إلى الجريد التونسي سوى القليل في أواخر شهر جوان 1879 حيث أقام بزاوية سيدي إبراهيم الرحمانية ثم انتقل مع زوجته وأخيه إلى نفزة التى مكث فيها شهري أوت وسبتمبر[10] فأرسلت فرنسا جواسيسها وطلبت من السلطات التونسية تسليمه

([1])-عبد الحميد زوزو: **ثورة 1879**، مرجع سابق، ص 42.
([2])- عزوي محمد الطاهر: **ثورة 1879**، مجلة التراث ع 1،مرجع سابق، ص 66.
([3])- المرجع نفسه ، ص 66.
([4])- صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر**،مرجع سابق، ص 99.
([5])- عبد الحميد زوزو: **المرجع السابق**، ص 45.
([6])- http : www.m.moud jahidine.dz/histoire/dossiers/D82.HTM
([7])-عبد الحميد زوزو:**ثورة 1879** ، مرجع سابق، أنظر الهامش، ص 45.
([8])- محمد شرقي: **الطريقة الرحمانية ودورها**، مرجع سابق ، ص 285.
([9])-عزوي محمد الطاهر : **: ثورة 1879، مرجع سابق** ، ص 68.
([10])- المرجع نفسه، ص 70.

وقبض عليه بدار سي الحبيب باش مفتي مدينة (قابس) مع أخيه واقتيد إلى قسنطينة حيث يوجد رفاق الجهاد المقبوض عليهم.

أما عن نتائج هذه الثورة فيمكن إيجازها فيما يلي:

- تدمير القرى والمد اشر وحرقها مثل قرية تيغانمين والحجاج وأولاد موسى والحمام قاعدة الثورة وكل المزروعات[1]، فقد استولى طابور خنشلة على 2236 رأس غنم من أولاد داوود وبني بوسليمان،أما طابور بسكرة فاستولى على 5500 رأس غنم و 100 بقرة و 40 بغلا من عرش أولاد داوود التوابة وبني بوسليمان، أما طابور قسنطينة وباتنة فاستولى على 5000 رأس من الحيوانات من أولاد داوود[2].

- الحكم بالإعدام في 26 جوان 1879 على 14 شخص منهم زعيم الثورة و17 شخص بالسجن لمدة 20 سنة مع الأشغال الشاقة و 02 لمدة 05 سنوات و07 لمدة سنتين ونفى الكثير منهم إلى كورسيكا وكايان ومن هذا الأخير فر قائد الثورة محمد جار الله إلى البقاع المقدسة وتوفي بها سنة 1889 [3] **(أنظر الملحق رقم 13)** والخاص بالعائلة الدردورية .

- استشهاد و 562 من الجزائريين ومقتل 3 قياد و 15 فرنسي وجرح ثلاثين، وإجبار اللحالحة على مغادرة أرضهم (سهل لمدينة) لأنهم استقبلوا وآووا محمد بن عبد الرحمن زعيم الثورة واستولت على أراضيهم المقدرة بـ 464 هـ ونفي 20 عائلة من أولاد داوود إلى القل وتوقرت و 26 عائلة من بني بوسليمان إلى سطيف و 12 عائلة من بني أوجانة إلى جيجل[4]. بمجموع 58 عائلة، أما العائلات المتبقية فقد طلبت الأمان من فرنسا فاشترطت عليهم تسليم الرهائن البالغ مجموعهم 168 رجلا منهم 77 من أولاد داوود و 70 من بنو سليمان و 21 من بني أوجانة لمنع تجدد أعمال العنف [5].

- فرض غرامة حربية تدفعها الأعراش التي شاركت في الثورة سنة 1879 بلغت في مجموعها (باتنة، بسكرة، خنشلة) مبلغ 355.172.70 فرنك **(أنظر الملحق رقم 14)** بالإضافة إلى 1705 بندقية [6].

-تعمير المنطقة بالمستوطنين الأوروبيين ورجال الدين المسيحي الذين فشلوا في سياستهم أمام رجال الدين والزوايا التي عادت من جديد لدورها التعليمي والديني.

ورغم قصر عمر هذه الثورة إلا أنها أبرزت البعد الديني والوطني وأثبتت تلاحم أعراش وقبائل الأوراس فيما بينهم رغم اللاتكافؤ بين الطرفين، فكانت نبراسا لثورات أخرى.

7- علاقة ثورة 1916 بالطرق الصوفية:

([1])- عبد القادر زبايدية : **وثيقتان عن ثورة الأوراس لسنتي 1859 و 1879** مجلة الأصالة، ع 60-61 أوت سبتمبر 1978، ص 204.

([2])- محمد طاهر عزوي: **المرجع السابق**، ص 72.

([3])- صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر**،مرجع سابق، ص 101.

([4])- عبد الحميد زوزو: **ثورة الأوراس 1879**،مرجع سابق، ص 51.

([5])- عثمان مسعود: **أوراس الكرامة**،مرجع سابق، ص 152.

([6])- محمد الطاهر عزوي: **ثورة 1879**، مرجع سابق، ص 73.

- إن تناولنا لهذه الثورة ليس من باب أنها مقاومة تزعمها رجال الطرق الصوفية أو الزوايا، ولكن الكثير من الفرنسيين حاولوا وبشتى الطرق أن ينسبوها إلى الرحمانيين وسنحاول أن نركز على وجهة نظر الفرنسيين في ذلك ونبرز رأينا في الأخير، لأن ثورة 1879 كانت آخر ثورة عرفتها منطقة الأوراس في القرن 19 وبعدها عرفت المنطقة سكونا وانحطاطا وضعفا وتفككا في القيادات، ولكن رغم ذلك لم تستكن للإستعمار، حيث جدد العهد في بداية القرن 20 الذي ضاعفت فيه فرنسا ضغطها على الشعب الجزائري المتمثل في ثقل الضرائب وظلم واضطهاد القياد وأعوان الاستعمار، ومصادرة أملاك المواطنين والتنكيل بهم وإرغامهم على تقديم أبنائهم للخدمة العسكرية وفق مرسوم 03 فيفري 1912 المتعلق بتجنيد الأهالي وتوجيه الناس للعمل في فرنسا والمساهمة في المجهود الحربي[1] العالمي الأول (1914-1918).

وإذا عدنا إلى **أسباب** هذه الثورة فيمكن حصرها في محاولة التخلص من خطة التجنيد الإجباري الذي فرضته فرنسا على الشباب الجزائري ثم على العمال أيضا وبدون استثناء خاصة لدى سماعهم للروايات المروعة بخصوص ما حدث لفرنسا في بداية الحرب من خسائر "معركة لامارن"، وكذلك العقوبات التي تفرض ضد أقارب وأولياء الذين يرفضون التجنيد أو هربوا إلى الجبال لتحرير الجزائر بدل تحرير فرنسا من الألمان، ومما زاد الطين بلة هو صدور مرسوم 07 سبتمر1916 الذي يسمح بتعطيل العمل بحق الإعفاء والاستخلاف وتمديد مدة التجنيد ومرسوم 14 سبتمبر الذي ينص على تشغيل العمال وتسخيرهم للحرب إذا لزم الأمر[2] ثم استدعاء فئة 1917 برمتها إلى الخدمة العسكرية، وكل هذا ولد في نفسية الجزائريين استياء شاملا وكما علق بعض المعاصرين على هؤلاء المجندين بقوله "خدامين بالسيف"، ومن هنا جاء التمرد خاصة وأن المظالم الاقتصادية كثرت أو ما يسمى بحرب الأرض التي تم مصادرتها قبل الثورة فمثلا في سنة 1903 ثم استكمال مصادرة الأراضي من أجل إنشاء مراكز للمستوطنين الفرنسيين في كل من مراونة،وادي الماء، سريانة ولجأ السكان إلى المناطق الجبلية ونشوب صراع حال بين مربي المواشي ومصالح المياه والغابات[3] في بلدية بلزمة المختلطة فكثرت الهجومات مع مراكز المعمرين الذي استولوا على أراضيهم وصدر الحكم بالأشغال الشاقة على200 شخص بمحكمة باتنة بدعوى الحفاظ على الأمن، ثم إعلان فرنسا حالة الطوارئ والتي طبقت فيها القمع الشديد ضد الأهالي خاصة تجاوزات فرق الزواوة[4].

نقول أن العوامل السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية دفعت سكان منطقة بلزمة وعين التوتة وضواحيها والأوراس وحتى خنشلة إلى إعلان ثورة 1916 حيث برزت مجموعة من المقاومين في كل منطقة، ففي بلزمة ظهرت شخصية عمر بن موسى عقيني من عرش لحليمية من قبيلة أولاد سباع وشاركه في ذلك عرش الحليمية وأولاد سلام، أولاد فاطمة، أولاد مهنة، حيدوسة وأولاد شليح، وخاضوا مجموعة من المعارك بداية من 11 نوفمبر 1916 منها معركة تاجنانت ما بين سريانة وواد الماء ومعركة تيطاو"[5] شمال جبل

([1])-عبد الحميد زوزو :**الأوراس إبان فترة الإستعمار الفرنسي**،ج2 ترجمة مسعود حاج وزارة المجاهدين 2005، ص 7.

([2])-مختار فيلالي: **افتتاحيات ومحاضرات نشرت في مجلة التراث** شركة باتنيتا باتنة ،ب-ت –ط، ص 121.

([3])- المرجع نفسه، ص 123.

([4])- نفسه: ص 124.

([5])- محمد تغليسية/ **ثورات محلية (ثورة بلزمة وعين التوتة)**، مجلة صدى الأوراس، المؤسسة الولائية لأشغال الطباعة، تيمقاد،ب –ت –ط، ص 105.

مستاوة، وفي عين التوتة تولى قيادة الثورة المدعو بن علي محمد بن النوي وزميله زرقين ومعه أولاد سلطان واولاد عوف والخذران حتى بريكة حيث قاموا بهجوم على مقر الحاكم الفرنسي في بلدية " عين التوتة" وقتلوه وجرح أحد مساعديه الذي مات بعد وقتل كذلك حارس الغابة في دشرة "تامدة"[1] ثم معركة "تانغيت" و "ورفاعة" ثم مسعود بن زلماط في منطقة الأوراس الذي سقط وسلاحه بيده في مارس سنة 1921[2]، هؤلاء سموا بفرسان القمم وقيلت فيهم أشعار ومدائح وأغاني وذاع صيتهم باعتبارهم "أصحاب بارود" و"لصوص شرف" أسالوا عرق فرنسا وهي مشغولة بأحداث الحرب ع I، وصبت جم غضبها على هذه المناطق، ونعتتهم بقطاع الطرق والخارجون عن القانون وطبقت سياسة النهب والحرق والقتل الجماعي والجوع والتعذيب والأشغال الشاقة والنفي إلى كاليدونيا، وفي نفس الوقت حاولت فرنسا أن تنسب قيام هذه الثورة إلى رجال الطرق الصوفية مقدمة لذلك مجموعة من التبريرات، فقد حاول أو كتاف ديبون الذي تابع القضية باهتمام أن يوجه أصابع الاتهام إلى الرحمانيين وبوجه خاص الى زاوية علي بن عمر بطولقة وان لم يثبت ذلك بأي دليل لكنه يوجه لها الاتهام لأنها لم تحاول العمل على تهدئة الخواطر وكبح جماح السكان الثائريين[3] خاصة وأنه يرى أن سكان بلزمة والأوراس الكثير منهم تابعون للطريقة الرحمانية ويؤكد أن التمرد الذي وقع في عين التوتة ثم امتد إلى بريكة وضواحيها كان بإيحاء من أحد المرابطين المقيمين في بلدية سقانة المقدم ابن لوذيني[4] وهناك مقدم ثاني للرحمانية في مشتتة خزارية يدعى "محمد رحماني" وهو من سكان القرية فنسب الثورة إليه، واعتبر أن الطرق الصوفية تعمل مع الثوار في الخفاء، تلك هي الشائعات التي حاول أن يثيرها ديبون وبعض الفرنسيون والحقيقة أن هذه الشائعات قد رد عليها المؤرخ شارل آجرون الذي بين أن المفتش العام دبيون وجانب من الرأي العام الفرنسي بالجزائر عمد إلى اتهام العمل الخفي الذي تقوم به الطرقية الإسلامية وقال إننا لم نستطيع أن نكشف حتى الآن يد شيخ من مشايخ الطرقية، وذلك ما أبرق به في 23 نوفمبر الوالي العام ليتو "lutaud"[5] بأن العسكريين الذين أومروا بجمع كل المعطيات الإحصائية حول زوايا الطرقية بالجنوب القسنطيني لا حظوا أن انتصاب الزوايا لا علاقة له بحال من الأحوال بمراكز الثورة، فمثلا في بريكة لا توجد زاوية وعدد الإخوان قليل ونفس الشيء بمدينة عين التوتة[6]، ثم أن ديبون في حد ذاته يناقض نفسه ويمتدح بعض رجال الطرق الصوفية لدورهم الإيجابي خلال هذه الأحداث، حيث يذكر بعزة وافتخارالمجهودات التي بذلها سي عبد الصمد من زاوية عين الشفة بعين القصر، والثناء كذلك على الدور الذي أداه سي التهامي حسونة مقدم دوار مقرة في مساندة الفرنسيين والوقوف إلى جانبهم[7].

وعموما فالطرقية في الجزائر ابان ثورة 1916 لا يكاد يكون لها أي دور إيجابي إن لم نقل أنها لعبت دورا سلبيا خلال الثورة اللهم ما ذكره الأستاذ عثماني مسعود في كتابه أوراس

([1])- مختار فيلالي: المرجع السابق، ص 129.

([2])-عبد القادر جغلول:**الإستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر** ترجمة سليم قسطونة ط1 دار الحداثة ، بيروت 1984 ، ص 178.

([3])- عثمان مسعود: **أوراس الكرامة**،مرجع سابق، ص 205.

([4])- جمعية أول نوفمبر: **ثورة الأوراس 1916**،مرجع سابق، ص 393 .

([5])- شارل روبير آجرون: **الاضطرابات الثورية في الجنوب القسنطني نوفمبر 1916 وفبراير 1917**، مجلة الإصالة ع 62، 63، باتنة 1978، ص 315.

([6])- **المرجع نفسه** ، ص 316.

([7])- جمعية أول نوفمبر**:** المرجع السابق، ص 441.

الكرامة ص 205" (يزعم أن الشيخ محمد خير الدين في مذكراته الشخصية أن محمد بن لوذيني هذا كان قد زار شيخه المكي بن عزوز في عاصمة الخلافة أنذاك اسطمبول في طريقه لأداء مناسك الحج سنة 1908 وعند ما هم بالمغادرة أخبره شيخه بأن حربا ستندلع قريبا بين فرنسا وألمانيا وأوصاه بالعمل بعد عودته إلى الوطن والاستعداد لإعلان الحرب على فرنسا وطردها من الوطن).

ثم هناك إشارة من طرف الأستاذ فيلالي مختار في كتابه "محاضرات وافتتاحيات نشرت في مجلة التراث ص 125 أن اجتماع أعراش بلزمة كان في مقر زاوية سي احمد لخضربوزيد قرب جبل مستاوة وفيه أسندت قيادة الثورة إلى عمر بن موسى، لكن لم نجد سندات تؤكد ما ذهب إليه هؤلاء، وفي النهاية نصل إلى مجموعة من الملاحظات نراها تدحض أقوال الفرنسيين وتؤكد عفوية الثورة وحقيقتها.

- أن معظم رجال الدين والزوايا استجابوا لسياسة فرنسا وأوامرها حيث عملت على إقناع أتباعها بضرورة الخدمة تحت الراية الفرنسية وكان هذا منافيا لتعاليم الدين الإسلامي إلا أن صيحات الرفض تعالت من قبل سكان الأوراس بعدم تسليم أبنائهم ومثال على ذلك انتفاضة قبلية أولاد رشاش أمام حاكم خنشلة بتاريخ 10 أكتوبر بقولهم (لن يمثل أولادنا يوم 16 أكتوبر أمام لجنة الانتقاء.... ولا فائدة من الاتكال عليهم بعد الآن)[1]. وقد تم توقيف العديد منهم وزج بهم في السجن، وفر الكثير من المطلوبين في منطقة الأوراس إلى الجبال، وقد حذرشيخ قبيلة خنزارية النقيب المكلف بالتجنيد قائلا: « يمكن أن تضاعفوا الغرامات وتسابوا أموالنا غير أننا لسنا مستعدين للتفريط في أولادنا» [2].
- أن أحداث 1916 ولأول مرة اندلعت خارج قيادة الشيوخ الدينيين والزوايا الكبرى فبعد أن انصاغوا لأوامر فرنسا تعرضوا للخزي و فشلوا في إخماد هذه الثورة.
- افتقاد هذه الثورة إلى زعيم قادر على القيادة والتنسيق فكل منطقة اعتمدت على إمكانياتها وأعراشها وزعيمها وأعلنت تحررها من كل تبعية لشيوخ الزوايا لأن أصوات الشيوخ لم تعد تسمع من طرف الأتباع مثلما كانوا وراءها في ثورات القرن 19.
- وفاء معظم العائلات والمرابطين للاستعمار بل هناك كثير منهم حرصت على مصالحها الشخصية و مكانتها الراقية سياسيا بين الأوساط الفرنسية بل نصبوا أنفسهم مدافعين عن المصالح الفرنسية، التي حرمت أولياء المجندين من التعويضات المخصصة لهم وأصبحوا في وضع مزري دفع الوالي العام ليتو في 25 مارس 1917 أن يكتب بلهجة فيها كثير من الاستخفاف بقوله "إن المجاعة التي تهدد باجتياح المنطقة بنهاية فصل الصيف ستدفع الأهالي حتما إلى التطوع بالجنود والعمال" [3].

-إن البطل الحقيقي لثورة 1916 هو الشعب الجزائري فلم تسمى بفلان أو فلان على غرار ثورات القرن 19 والتي كانت كلها بإيعاز من المرابطية، أما ثورة 1916 فإننا نقول عنها أنها نقلة نوعية وتطور إيجابي الذي ألغى الزعامة والفردية والدليل على ذلك أن الحاكم

([1])- عبد الحميد زوزو: **الأوراس إبان فترة الاستعمار** ج2، مرجع سابق، ص 09.
([2])- المرجع نفسه، ص 09.
([3])- فيلالي مختار: **محاضرات وافتتاحيات في مجلة التراث**،مرجع سابق، ص123.

العام وضع مباشرة منطقة الأوراس تحت الحكم العسكري المباشر وألغى إداراتها المدينة التي كانت قد أنشئت سنة 1871 [1]، وهدفه هو التخلص من القيود المدنية والتصرف بحرية لقمع ومنع الثورة من الانتشار إلى أجزاء أخرى وعين لها مبعوثا خاصا له صلاحيات واسعة ووضع بجانبه "لجنة الأمن والنظام" ذات صلاحيات مطلقة ليس لقراراتها استئناف ونتيجة ذلك ارتكبت كل أنواع المظالم سميت بعمليات التنظيف التي تجاوزت بها فرنسا كل الحدود لدرجة توقف الحياة الاقتصادية تماما في منطقة الأوراس [2].

- أثبتت هذه الثورة بطلان مقولة فرنسا أن الجزائر هادئة وشعبها مخلص لفرنسا وراض بحكمها، إذ قامت بجلب لواء كامل وطائرات من فرنسا لقمع الثورة رغم حاجتها وهي في الحرب، ونجحت كذلك بنقل الصوت الجزائري إلى المحافل الدولية وبروز الحركة الوطنية الجزائرية ومازجت التعاون بين الثوار والأهالي من ناحية وبين العمال والجنود من ناحية أخرى .

وعليه فإن ثورة 1916 إقلاع جامع لطائر الحرية في منطقة الأوراس، فهي لا ترجع إلى الطريقة الرحمانية ولا إلى تنافس الأسر الكبيرة، ولا إلى الشاوية أو البربرية كما اعتقد البعض من الفرنسيين، بل كانت رد فعل جماعي تلقائي على المطالب والمراسيم الفرنسية خاصة العسكرية منها وعلى السكون الذي أصاب الجزائر والمنطقة منذ أواخر القرن 19.

الفصـــل الرابع

(1)- المرجع نفسه، ص 137.
(2)- نفسه، ص 138.

الدور العلمي والديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي للطرق الصوفية في الأوراس

المبحث الأول : الدور العلمي والديني

- ✓ **المطلب الأول :** الدور العلمي
- ✓ **المطلب الثاني :** الدور الديني

المبحث الثاني : الدور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي

- ✓ **المطلب الأول :** الدور الاجتماعي
- ✓ **المطلب الثاني :** الدور الاقتصادي
- ✓ **المطلب الثالث :** الدور السياسي

الفصل الرابع: دور الطرق الصوفية العلمي و الديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي في منطقة الأوراس

إن المتأمل لدور الزوايا منذ ظهورها إلى يومنا هذا لا يسعه إلا الاعتراف بالدور البارز الذي لعبته في النهضة العلمية والحضارية للمجتمعات كالمحافظة على قيمنا الإسلامية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية خاصة ابان الاحتلال الفرنسي، حيث كانت النقطة التي تلتقي عندها جميع الأطراف ومركز الدائرة ومحور اهتمام الحكام والجماهير فظلت وسيطا بين السلطة والشعب فكانت هي القلعة في غياب السلطة، واكتسبت بمرور الزمن درجة رفيعة في أوساط الجماهير،و لعبت أثناءها دور القاضي والمشرع والمعلم والمصلح والمجاهد[1]، وعليه فإن الطرق الصوفية وزواياها في منطقة الأوراس شرقه وغربه ،شماله وجنوبه، لعبت دورا أساسيا في شتى المجالات خاصة بعد إنهيار الدولة وسقوط البلاد بأيدي المحتل الفرنسي، فالزاوية حسب "إيفون تيران" "yvonne turin" هي مدفن عائلة مرابطين، أي عائلة تملك الأصالة الدينية الوراثية، و لذا انعكس الأصل الروحي لهذه المؤسسة على جميع نشاطاتها فيما بعد، فقد كان الناس يأتون إليها لأداء الصلاة،ثم بعد ذلك من أجل التعلم والعلاج، وكانت تعليماتها السياسية تحضى بثقة كبيرة[2]،وسنحاول أن نستعرض هذه الأدوار ونقف على ما قدمته إلى جانب المقاومة.

المبحث الأول: الدور العلمي والديني

المطلب الأول: العلمي

لقد حرص رجال الطرق الصوفية الذين كانوا يشرفون على الزوايا في منطقة الأوراس على إعطاء التعليم مكانة بارزة لأنه يمثل الميدان الضروري والحتمي لتطوير الحركة العلمية والفكرية لدى المجتمع باعتباره عنصرا رئيسيا في تنظيم وترقية الأفراد سلوكيا وحضاريا[3].

وقد كان التعليم في الزوايا وفي المساجد الأساس الحقيقي لأي تقدم وتطور خاصة وأن الدوائر الاستعمارية قد غلقت أبوابه أمام السكان، فالمنطقة لم يكن بها تعليم منظم ولا حياة فكرية، فملأت هذا الفراغ الزوايا بإمكانياتها المتواضعة ،حيث كان الأطفال يجلسون على الأرض أوالحصير "فراش مصنوع من الحلفاء" لاعتقادهم أن ذلك فيه الخشوع المناسب للعبادات وتقرب من الله.[4]

وقد لوحظ أن سكان المنطقة قد أقبلوا على حفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة العربية وقواعدها إيمانا منهم بأنه الوسيلة الوحيدة التي تمكنهم من محاربة الجهل، وتساعدهم على أداء فروضهم وواجباتهم الدينية خاصة الصلاة التي يتطلب أداؤها حفظ جزء من القرآن الكريم.

ولولا التعليم العربي الحر لانعدمت العربية وانعدم تعليم الإسلام بهذه الديار[5]، فبفضل شيوخ الزوايا تم محاربة الأمية، وقد كان التعليم مقسم إلى ثلاث مراحل:

-المرحلة الأولى: يتم فيها حفظ القرآن وتعليم الحروف الهجائية والقراءة والكتابة وتدوم من سن الخامسة إلى الثانية عشر سنة (من 05 إلى 12 سنة) تجمع الأطفال بين

([1])- **http://mauneem.maktoobblog.com/146794**

([2])- إيفون تيران: **المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة "المدارس والممارسات الطبية والدين" (1830/1880)** ترجمة,محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر 2005، ص 132.

([3])- الطاهر بونابي: **التصوف في الجزائر خلال القرنين 12 و13**،مرجع سابق، ص 228.

([4])- ابراهيم مياسي: **لمحات من جهاد الشعب الجزائري**، مرجع سابق، ص 211.

([5])- أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، مرجع سابق ،ص 304.

الجنسين، حيث تكتب السور والآيات في ألواح خشبية وتتلى بصفة شخصية أو جماعية وبأصوات عالية ونجد في كل قرية أو مشته كتّاب أو مسجد.

المرحلة الثانية: فيتم فيها حفظ متون العلوم كالأجرومية **"أنظر الملحق رقم 15"** وألفية بن مالك وغيرها وتدرس مواد النحو والصرف والفقه والتوحيد والحديث والعروض والقوافي، لكن هنا تكون الدراسة للذكور دون البنات.

المرحلة الثالثة: فيتم فيها التوسيع والتعميق في دراسة العلوم ويتخصص الطلبة حسب ميولهم، خاصة في مادة الفقه والتشريع الإسلامي[1].

وقد بلغ عدد المؤسسات التي تدرّس القرآن الكريم للأطفال في الأوراس حوالي 68 مدرسة خصصت لهم أقسام لذلك، بحيث لا يقل عددهم عن 10 في كل قسم، وهذه المدارس عامرة طول السنة خاصة في فصل الشتاء، أما في فصل الصيف فيتوجه معظمهم إلى الحقول والمزارع لمساعدة ذويهم في الحصاد والدرس، وقد بلغ عددهم في مطلع القرن 19 حوالي 2400 تلميذ، وحسب تقرير المقاطعة الإدارية الفرنسية (أن عدد التلاميذ الذين يتابعون دروسهم لدى مختلف الأساتذة يتضاعف بشكل معتبر كل سنة خاصة في أولاد عبدي ومنعة وأولاد داوود ومدوكال وتبرماسين وقد مس حتى الكبار لضرورة العبادة) [2].

ولو أعطينا أمثلة عن ذلك فنجد الزاوية المختارية بأولاد جلال قد سطرت لنفسها برنامج علمي ثرى بمختلف المواد، وكان هدفها الأساسي هو تحفيظ القرآن وتدريس العلوم الأخرى كالفقه والتفسير والحديث والأصول والنحو والبلاغة والعروض والمنطق والفلك قصدها الطلاب من كل حدب وصوب (الزيبان، الجلفة، الحضنة ...) ففي عهد شيخها الأول وصل عدد الطلبة إلى نحو 700 تلميذ ، ومن شيوخ القرآن بهذه الزاوية نجد محمد السماتي ومحمد شبيرة وأحمد بودني، فخرجت بذلك أجيال من رجال العلم والفقه والإصلاح أمثال الشيخ نعيم النعيمي ومحمد بن العابد الجيلالي والشيخ صالح ساكري، والصادق رحماني وغيرهم[3].

أما زاوية آل دردور فقد اهتمت كذلك بتعليم القرآن وأصول الدين وقواعده، وقد كان شيخها الهاشمي بن علي دردور يقوم بتدريس المواد الدينية ،كالفقه والسيرة النبوية والتربية وكذلك علوم اللغة العربية كالنحو والصرف، وكان يلقن قصائد المبشرات، وهي من تأليفه في التربية ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته ويقول أنه ربى بهذه الطريقة 400 رجل و 100 إمرأة[4]، أما الزاوية العثمانية بطولقة فقد اهتمت هي الأخرى بتحفيظ القرآن للقادمين إليها من كل المناطق، وما زالت إلى يومنا هذا تقوم بهذا الدور، وكذلك مبادئ اللغة العربية والفقه، وتتكفل الزاوية بالمأكل والمرقد مجانا، ومن العلماء الذين درسوا بهذه الزاوية الشيخ أبي القاسم الديسى والمدني عثماني ومحمد الدراجي وعبد الله لخذاري وأحمد بن مسعود القنطري بالإضافة إلى الذين كانوا يترددون على الزاوية، فهم كثيرين نذكر منهم

أحمد الأمين بن محمد، المدني بن عزوز، محمد الأخضر الحسين، محمد المكي بن عزوز، والإمام بن باديس والبشير الإبراهيمي[5] وأشهر العلماء الذين تخرجوا من هذه

---

(1)- يحي بوعزيز: **موضوعات وقضايا**، مرجع سابق ،ص 498.

(2)- عبد الحميد زوزو : **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي** ج 1،مرجع سابق، ص 359.

(3)-صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر**،مرجع سابق، ص 390.

(4)-علي عزوزي: **زاوية آل دردور بالأوراس**، مرجع سابق، ص 34 .

(5)- عبد الباقي مفتاح: **أضواء على الطريقة الرحمانية**، مرجع سابق، ص 160.

الزاوية الشيخ الأخضر بن عمر الطولقي[1]، ثم الشيخ الغسيري صاحب كتاب: (سهام الإسلام) [2] ومحمد خير الدين، وعمر دردور وموسى لقبال وأحمد معاش وعيسى يحياوي وعبد القادر بن الموهوب الدوكالي الأزهري[3].

وقد وصل تأثير الزاوية إلى مجال جغرافي واسع داخل الوطن وخارجه ،فظهرت زوايا على طريقتها وكأنها فروع لها مثل زاوية الشيخ عبد الحفيظ الخنقي وسيدي سالم في وادي سوف، والشيخ الخياري وزاوية الهامل، وزاوية بن عبد الله الصدقي بالأوراس وهي امتدادات لها[4].

وكذلك كانت زاوية منعة القادرية من مراكز تعليم القرآن والعلوم الدينية واللغوية ومن الشيوخ الذين عملوا بالزاوية محمد الصغير بن عباس، ومحمد بن محمد بن عباس، ومن أبنائها الذين تخرجوا منها، الشيخ ابن عباس زين العابدين، والشيخ ابن العباس بن محمد الصغير، وقد بلغ عدد الطلبة بها 300 طالب[5]، بالإضافة إلى جملة من المشايخ الذين درّسوا في هذه الزاوية فيما بين (1760 إلى سنة 2004)،(**أنظر الملحق رقم 16**) .

وقد كانت هذه الزاوية من مراكز العلم والمعرفة، تعلّم أبناء المنطقة وما جاورها من القرى والمداشر، ونفس الشيء بالنسبة لزاوية عبد الصمد فقد كانت تنظم فيها مناظرات علمية وأدبية بين العلماء وبرز في هذا المجال الشيخ محمد بن عبد الله، كما تقوم بإحياء المناسبات الدينية واهتمت بعلم الحديث والتوحيد والتفسير واللغة[6]، دون أن ننسى الدور الذي لعبته زاوية مول القرقور في نشر العلم في نفوس المواطنين بمنطقة سريانة وما جاورها بفضل شيوخ الزاوية وعلماء آخرين، وقد ضايقتها السلطات الفرنسية مرات عديدة لتحد من نشاطها العلمي[7]، وإذا اتجهنا إلى الجنوب الشرقي للأوراس فنجد زاوية خنقة سيدي ناجي فإنها كانت من أكثر الزوايا اهتماماً بالعلم والعلماء،ولعل الدور يعود فيها إلى المسجد الذي بني على منوال جامع الزيتونة بتونس ،وكانت الزاوية الناصرية بجامعها الكبير ومدرستها قد أشعت الناحية بالعلم والمعرفة طيلة قرنين من الزمن، فكانت مقصد لعلماء الزاب والصحراء والأوراس وقسنطينة وحتى من تونس وليبيا، وقد ترك لنا العالم الورثلاني وصفا للزاوية في رحلته رقم 17."أما الطلبة فيقيمون بالزاوية ويتكفل شيخها وأقرباؤه وأهالي القرية بإطعامهم الدائم إلى أن ينهوا الدراسة، ومعظمهم من الزيبان ووادي سوف والأوراس وقسنطينة وعنابة"[8]،والمدرسة تحتوي على 15 غرفة تضم كل واحدة من ثلاث

إلى خمسة طلبة، وهذه الغرف توجد على طابقين لهما بابين أحدهما خارجي على الشرفات والآخر داخلي يؤدي إلى الجامع الكبير، ونجد بهذه المدرسة كذلك حمامات وكوشة وصخور منحوتة على شكل أحواض ماء لمحو الألواح، أما الجامع بالإضافة إلى أداء

([1])- من مواليد طولقة بولاية بسكرة سنة 1873 جده مصطفى بن عزوز صاحب زاوية نقطة بتونس، درس بجامع الزيتونة وأسس مجلة تهدف إلى إصلاح المجتمع سنة 1904، ثم اشتغل قاضيا ثم درّس بدمشق وتولى سنة 1952 منصب شيخ الأزهر، ثم استقال لأسباب صحية وعمره 80 سنة، أنظر سعيد مقدم (**من يعيد للشيخ الأخضر جنسيته الجزائرية**، جريدة الخبر، عدد 3020، 2000/11/16، ص19.

([2])- العياشي دعدوعه **: الطريقة الرحمانية والزاوية العثمانية**، جريدة الأحرار، عدد 721، 2000/07/15، ص 16.

([3])- صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية و والزوايا في الجزائر**،مرجع سابق، ص407.

([4])- عطاء الله خشار: **زاوية طولقة ببسكرة**، جريدة البلاد، عدد 122، 2000/03/27، ص 18.

([5])- عبد الباقي مفتاح: **أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلالي**،مرجع سابق ،ص 286 .

([6])- الجمعية الخيرية لزاوية عبد الصمد: **معلومات** ،مرجع سابق، ص 2.

([7])- الدكتور عوني: **فهرس مخطوطات زاوية مول القرقور**، مرجع سابق، ص 66 .

([8])- محمد موهوب بن أحمد: **قصة اخنقة سيدي ناجي**، مرجع سابق ،ص 17.

الصلوات فهو مركز لنشر العلم يحتوي على 26 عرصة، وله صحن غير مغطى ملحق به وصومعة عالية كانت تستعمل للآذان والمراقبة[1].

ومن العلماء الذين درسوا في هذه الزاوية المكي بن صديق ومحمد بن زروق والعربي التبسي، وفي القضاء نجد الشيخ محمد الطيب بن محمد الحاج بن الحسين، وفي القراءة والتجويد صالح تونسي وعاشور بن محمد، وفي الفلك حسن بن ناصر بن الحسين وفي الرياضيات عبد الله ين عبد الله الواحد، ومن خريجيها الأوائل أحمد التليلي القماري وخليفته بن حسن القماري صاحب "جواهر الإكليل في نظم مختصر خليل"[2]. ثم الشيخ المكي بن محمد بن إبراهيم قاضي سيدي عقبة، وقد قال الورتلاني عن حفظ القرآن بزاوية الخنقة: (إن طالب القرآن الكريم بالخنقة كان بعد أن يمحو لوحته يجلس أمام الباب فيكتب الجديد منها مما يمليه عليه المارة، إذ أن جميع سكان الخنقة يحفظون القرآن الكريم، فكان الواحد يملي عليه جملة ويواصل طريقه فيأتي المار بعده فيملي عليه الجملة التالية وهكذا إلى أن ينتهي)[3].

أما بوادي سوف فنجد الطريقة التيجانية والمتمثلة في زاوية قمار قد أولت للتعليم أهمية كبيرة والذي بلغ شهرة واسعة في الجزائر وخارجها، خاصة البلدان المجاورة بسبب عناية شيوخ الطريقة بالعلم والعلماء كتقريبهم وتبجيلهم وتخصيص رواتب لهم، واستدعاء الفقهاء والأدباء الكبار كالرحالة المغربي الشيخ السعيد الدوكالي الذي درّس بالزاوية والشيخ عثمان النفطي، ثم أن طلبتها يشدون الرحال إلى مختلف الحواضر العلمية خاصة جامع الزيتونة بتونس، والذهاب إلى الأماكن المقدسة تدعيما للروابط العلمية والثقافية بين علماء المشرق والمغرب[4]، وقد عرفت الزاوية نوعين من التعليم: الأول شعبي يهتم بتعريف العامة أركان الإسلام، والمبادئ الأولى للدين وتبيين الحلال والحرام، والتركيز على الفقه والحديث والتفسير، ثم تطور إلى علم التصوف وأصول الدين، ومن علماء الزاوية محمد حمة وابنه البشير والحاج علي ومحمد الطيبياني وغيرهم.

أما الثاني فهو التعليم القرآني موجه للنشء يهدف إلى تعليم الكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن والإلمام بقواعد اللغة، ومبادئ الشريعة وقليل من النحو والحساب، وكانت فترة الدراسة صباحا بعد طلوع الفجر، يقسم فيها التلاميذ إلى مجموعتين، المجموعة الأولى تخص الصغار ويتم تلقينهم وتحفيظهم الحروف الهجائية وحركاتها، ثم يتوجهون إلى تعلم الحفظ[5]، أما المجموعة الثانية وهم الأطفال الكبار يشكلون حلقة، وتبدأ عملية الحفظ صباحا ومساءً، بعد الكتابة على اللوح[6]، ومعلم القرآن يدعى "بالطالب" ومن أشهرهم بزاوية قمارالعارف بالله سيدي عبد الله والعالم الجليل سي إبراهيم زغودة (1930/1845م) وسي أحمد (1955/1877م) وسي الطاهر (1980/1902) [7]،ومن المميزات التي تميزت بها

([1])- محمد موهوب: **قصة خنقة سيدي ناجي** ، المرجع السابق، ص24.

([2])- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي** ج1،مرجع سابق، ص285.

([3])- محمد موهوب: **المرجع السابق**، ص **19.**

([4])- الأستاذ سعيد عقبة: **جوانب من الحياة الفكرية**،الملتقى الدولي الثاني للطريقة التيجانية حول الخطاب الصوفي التيجاني زمن العولمة، زاوية قمار ,الوادي,2008,ص 50 .

([5])- المرجع نفسه، ص 51.

([6])- من الأدوات المستعملة بالزوايا اللوح ويكون من الخشب والطين التي يمحي بها حبر اللوح (الصيصال) والدواة التي تحوي على الصمغ المحروق والصوف والماء والقلم المصنوع من القصب، بالإضافة إلى المصحف الذي يراجع فيه التلميذ ما حفظه من القرآن الكريم.

([7])- سعيد عقبة: **جوانب من الحياة الفكرية**،مرجع سابق، ص 52.

هذه الزاوية أنها كانت ترسل وفود من أبنائها ومريدها إلى جامعة الزيتونة بتونس لينهلوا من مختلف المعارف اللغوية والدينية[1].

وقد تعدت هذه الزاوية إلى مجال تدريس الفقه المالكي والأدب العربي والسيرة المحمدية ومبادئ الفكر الصوفي على يد مجموعة من العلماء نذكر منهم، سيدي لخضر بن حمانة ولخضر نجل الحاج التماسيني في الفترة ما بين (1849/1875م) والشيخ النفطي التونسي (1875/1892م) والشيخ المكي بن عزوز والسنوسي التونسي والحاج علي القماري[2].

ومما سبق نجد أن الدور الذي قامت به الزوايا في نشر التعليم بمنطقة الأوراس دفع الناس إلى الإقبال على تشييد المساجد مثل مسجد سيدي منصور عند أولاد لعشاش والعباسي عند أولاد داوود وجامع سيدي أحمد بن بوزيد في بلزمة وسيدي أحمد بن مخلوف في دشرة حيدوسة، وسي بلقاسم بن أحمد في نقاوس[3].

ولهذا نجد أن الزوايا والمساجد والكتاتيب انتشرت في الأرياف خصوصا (وكانت الزاوية الريفية تشمل أيضا مسجدا وقبة الشيخ المرابط ومبيتا للطلبة الداخلين ومساكن للغرباء والفقراء، وقد اشتهرت بعض الزوايا والخلوات الريفية حتى أصبحت محجة للزوار والطلبة ومن ذلك: زاوية خنقة سيدي ناجي، وضريح سيدي خالد...) [4].

وقد حرصت هذه الزوايا على الاهتمام بالتعليم ومواجهة السياسة الفرنسية التغريبية فنجد أن السبب الأساسي الذي أدى إلى انتفاضة زاوية سيدي مصمودي في منطقة أحمر خدو سنة 1858 م هو صدور قرار تحريم ممارسة التعليم إلا بترخيص مسبق من طرف المستعمر الفرنسي[5].

ثم نجد أن التلاميذ يتعلمون العلوم الضرورية الثلاثة " القرآن، النحو، والأجرومية واللغة العربية" (**أنظر الملحق رقم16**)، وكان يلحق بها الفقه وعلوم الدين والحساب وملخصات الطب لابن سيناء وكتب ابن خلدون وكلها ساعدت على تطوير المهارات والممارسة الحرة للعقل[6].

وتعتبر زاوية طولقة المؤسسة الوحيدة التي كانت تسدي تعليما ثانويا جاداً يزاوله طلبة سبق لهم أن حفظوا القرآن، حيث يتعلمون الحساب والنحو والأدب والفقه والتوحيد للوصول إلى التفسير وفهم القرآن بأحزابه الستين، ويتولى هذا التعليم شيوخ يشهد لهم بالعلم والدراية والنزاهة[7].

ومن باب التقييم نجد أن زوايا منطقة الأوراس قد لعبت دور كبير وأساسي، فقد كان لها الفضل في الحفاظ على القرآن والعربية من الضياع والنسيان، فرغم بساطته فقد عاد على الوطن بمنافع كثيرة، حافظت على الشخصية الجزائرية، وحمتها من الاستلاب الثقافي الجديد صبيانا وشباباً وكباراً، فقد رعى شيوخ الطرق الصوفية أصحاب الزوايا المنتشرة في منطقة الأوراس عقلية المتعلمين ولا أدل على أهمية التعليم في هذه الزوايا ما وجدناه خلال زيارتنا للزوايا التي ما زالت قائمة لليوم بما تزخر به من مخطوطات وكتب علمية في مختلف أنواع

([1])- بن سالم بلهادف: **دور الزاوية التيجانية بقمار في نهضة سوف والأمصار المجاورة**،مرجع سابق، ص 46 **.**

([2])- الزاوية التيجانية: **الزاوية التيجانية بين الماضي والحاضر**،مرجع سابق ص 09 -10.

([3])- عبد الحميد زوزو: **الأوراس إبان فترة الاستعمار**، مرجع سابق ،ص 101.

([4])- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق ،ص 267 .

([5])- عبد الحميد زوزو: **المرجع السابق**، ص356.

([6])- إيفون تيران: **المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة**، مرجع سابق،ص 133.

([7])- أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**،مرجع سابق، ص 304 .

العلوم والكثير منها نقل أو نسخ وهي تنتظر من يزيح عنها الغبار ويغوص في مضمونها خاصة في الجانب الديني منها.

المطلب الثاني: الديـني

لقد لعبت الزوايا أدوارا كبيرة ومهمة ورائدة في الحياة الدينية والأخلاقية على مستوى الجزائر، فقد أورد الشيخ أحمد توفيق المدني رحمه الله قوله في كتاب الجزائر: (لا زال للطرق الصوفية بقطر الجزائر حضوة كبرى ونفوذ عظيم... إن لبعض الطرق الصوفية بقطرنا هذا مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر، تلك هي أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات، وعمل رجالها الأولون على تأسيس الزوايا، يرجعون فيها الضالين إلى سواء السبيل ويقومون بتعليم الناشئة وبث العلم في صدور الرجال ولولا تلك الجهود العظيمة التي بذلوها والتي نقف أمامها موقف المعترف لما كنا نجد الساعة في بلادنا أثراً للعربية ولا لعلوم الدين) [1].

وعليه فإن الزوايا في منطقة الأوراس اتخذت من التعليم وسيلة أساسية للحفاظ على الإسلام والعربية، لأنهما روح الأمة، فاهتمامها بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال الصغار والكبار ونشره، بصورة مكثفة ومتواصلة عبر الأجيال، ساعد على حمايته من الاندثار والنسيان، فأبسط الناس يحفظ بعض أجزاءه ، ناهيك عن الذين يحفظونه عن ظهر قلب ويطبقون تعاليمه الدينية فيما يتعلق بالسلوك والأخلاق العامة الشخصية والجماعية[2].

فبفضل هذه الزوايا وصل القرآن إلى أعماق الأوراس وفجاجها وإلى منطقة الزيبان شرقها وغربها، إذ يعتبر الدور الديني لشيخ الزاوية من ضمن المهام الأكثر حساسية لما يقتضيه من قوة الشخصية وتقديم القدوة للمؤمنين، ليتمكن من توجيههم والتمسك بتعاليم الدين والابتعاد عن العادات الوثنية الشائعة آنذاك، كمنع النساء حقهن من الميراث[3].

وكما رأينا في المطلب السابق أن التعليم كان يغلب عليه الطابع الديني، فبالإضافة إلى حفظ القرآن يتعلم الفقه والحديث والسيرة النبوية والتفسير، وكلها عوامل رسخت المبادئ الإسلامية بمنطقة الأوراس، ذات التضاريس الوعرة والمناخ القاسي، وقد تعددت الزوايا الكبرى في المنطقة كالزاوية العثمانية لطولقة، وزاوية خنقة سيدي ناجي إلى التعمق في الشريعة كشرح **سيدي خليل**[*] وفي التوحيد، حتى يتحصل طلبتها على الإجازة[4]، وقد تخرج من هذه الزوايا علماء كبار وفقهاء بارزين وقضاة كان لهم دور رائد في التطور الفكري، وقد تعرضنا إلى أسماء بعضهم سابقا.

---

(1)- المرجع نفسه، ص 375.

(2)- يحي بوعزيز: **ثورات القرن التاسع عشر**، مرجع سابق،ص 344.

(3)- عبد الحميد زوزو: **الأوراس إبان فترة الاستعمار**،مرجع سابق، ص 102 .

(*)-**هوخليل بن اسحاق** بن موسى بن شعيب المعروف بالجندي ضياء الدين المتوفى سنة 1365 ،من مشاهير علماء الدين والشريعة المحمدية ،له كتاب المختصر فى الفقه والتوضيح،ألفه خلال عشرون سنة.

(4)- **الإجازة:** شهادة ذات مستويين صغرى وكبرى، تشهد على حسن أخلاق صاحبها وضلوعه فب لوم الدين ومنها تكون له الكفاءة في تسيير الزاوية عقائديا.

وكانت الطرق المتبعة في الجانب الديني بزاوية قمار مثلا تقليدية تعتمد على التلقين الشفوي عند معلمي القرآن وعلماء الشريعة كالفقه والتفسير والحديث النبوي وتنتهي بالحفظ وحوارية تعتمد على الشرح والمحاورة، حيث يشرح المدرس أو الفقيه الدرس ويبسطه للطلبة[1].

وبهذا الجيل المتخرج حافظت المنطقة على هويتها من المسخ والزوال عبر فترات تاريخية طويلة خاصة خلال حقبة الاستعمار الفرنسي، حيث واجهت وبقوة حركة التبشير التي قام بها الآباء البيض الذين نزلوا على المناطق النائية خصوصا ومنها الأوراس والصحراء، ويمكن القول أن نشأة الزوايا كانت رد فعل على هذه الحركة خلال القرن 19، فنجد الداعية الشيخ سعيد النورسي التركي (1879/1960) في مكتوبات له حول التصوف تحت عنوان: التلويحات (وقد كانت الطرق الصوفية وما زالت كذلك إحدى القلاع الثلاث التي تتحطم على جدرانها الصامد هجمات النصارى بسياستهم ومكايد الذين يسعون لإطفاء نور الإسلام..) [2].

فالصادق بلحاج مفجر ثورة 1858 كان فقيها ومفسرا ومجاهداً، والشيخ الصادق بن محمد بلهادي عالم وأديب أوراسي وإمام بمسجد سيدي عقبة، والكثير من الذين درسوا في زوايا ومساجد الأوراس كانوا خريجي جامع الأزهر أو الزيتونة أو القروين مثل الشيخ الهاشمي بن علي دردور خريج الأزهر ودرّس بالزاوية الدردورية، بالإضافة إلى المولود الزريبي الذي درّس بزاوية سيدي أمحمد بن عزة والجموعي بن مازوز بزاوية سيدي الصادق بلحاج.

أما الذين تخرجوا من جامع الزيتونة نذكر منهم صالحي المكي بزاوية أريس وبلقاسم ميموني بمسجد غوفي ومن جامع القروين أحمد الخالدي الذي درّس بمسجد النوادر [3] وغيرهم...وهؤلاء كان لهم الدور البارز في مواجهة المبشرين والآباء البيض الذين نزلوا بأريس وضواحيها، فقد دعوا إلى مقاطعتهم التامة، فاضطروا إلى الرحيل بعد أن باعوا كل ممتلكاتهم[4]، بعد محاولتهم التوغل داخل المجتمع الأوراسي عن طريق التمريض والمجاعة واليتامى، وقد كونت هذه الزوايا طبقة فاضلة من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن، وكانت واسطة فعلية في نقل الإسلام إلى بلاد أقاصي الجنوب والسودان[5].

وقد وصف عبد القادر عثماني في محاضرة له بعنوان: الزوايا والتعليم القرآني والديني بها (زوايا الشفاء، شفاء القلوب بالقرآن وتطهيرها وإصلاحها وتثبيتها على الحق والهدى... إن لفظة الزوايا بالتعريف العرفي هي مجمع متكون من مسجد ومدرسة، أو معهد للتعليم القرآني والديني، يضاف لها ضريح مؤسسها ولها طريقة تنتمي إليها).(6)

والزاوية المختارية بأولاد جلال كان هدفها الأساسي هو حفظ القرآن فقصدها الطلاب من كل صوب وحدب(الزيبان،الجلفة،الحضنة) يتعلمون فيها العلوم الشرعية والسلوك الإسلامي وقد وصل عدد الطلبة في عهد شيخها **700** ومن أبرز الشيوخ الذين تخرجوا منها محمد بن القاسم الهاملي والشيخ بن الأحرش، كما كانت تقوم الزاوية بإحياء المناسبات والأعياد الدينية كالمولد النبوي الشريف وليلة القدر وختم البخاري والمختصر الخليلي مثل زاوية عبد

([1])- السعيد عقبة: **جوانب من الحياة الفكرية** ،مرجع سابق، ص 53.

([2])- عبد الباقي مفتاح: **أضواء على الطريقة الرحمانية**، مرجع سابق،ص 24.

([3])- صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر**،مرجع سابق، ص ص426-424.

([4])- المرجع نفسه، **ص428**.

([5])- الحبيب بن عودة: **دور الطرق الصوفية أثناء ثورة التحرير**، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة، منشورات وزارة المجاهدين 2007، ص 146

(6)-عبد الحليم صيد :**مجموع محاضرات ومقالات وفتاوي**،مرجع سابق،ص 147-148.

الصمد، والاحتفالات الخاصة بموسم الحج ولقد ورد في تقرير سلطات الاحتلال(في مختلف المناسبات والأعياد الدينية تأتي أيضا أعداد كبيرة من الزوار والمريدين من بعيد لحضور الاحتفالات بعيد الفطر وعيد الأضحى، عاشوراء، والمولد النبوي، والذي تميزه عن غيره من المناسبات توزع فيه الصدقات والأموال على الفقراء[1].

ومما سبق نلاحظ التمسك الشديد لسكان الأوراس بالدين الإسلامي لأنه العامل الأساسي الذي حفظ المنطقة من السياسة الاستعمارية فاحتضنت المساجد والزوايا اللغة والثقافة العربية الإسلامية، ونشرتهما بشكل واسع ومكثف وفتحت أبوابها لطلاب العلم والمعرفة، وخرجت أجيالا من الفقهاء والوعاظ والمرشدين الذين لعبوا أدوارا رائدة في بث الأخلاق الفاضلة وإرشاد الأجيال، وعلموا الناس مبادئ وأركان الدين وتفرعاته المختلفة، وتمسك السكان الشديد بالعقيدة الإسلامية.

وقد كان هدف التعليم موجه بالخصوص إلى حماية الدين، فكما تقول إيفون تيران (إن تعلم الكتابة بالنسبة لجميع المسلمين معناه إعادة كتابة حروف الكتاب المقدس، وإن القرآن هو قاعدة حتى للتعليم الابتدائي، كما أنه صار فيما بعد النص المقرر في الدروس بالنسبة للتعليم الثانوي، وهدف الدراسات العليا) [2]. واستمرت في القول: (إنما العلم ذاته يقتصر على المعرفة التي نزلت مع الوحي، إذ لم يكن هنالك من نور آخر في هذا العالم العربي التقليدي في القرن 19 إلا القرآن وتفاسيره، بحيث يكون من الوقاحة الكبيرة اقتراح تعليم دنيوي إذا علمنا مجرد احتماله غير مقبول)[3].

بالنسبة للعالم المسلم فالتعليم ليس له إلا غاية واحدة ألا وهي معرفة الدين وعلومه التطبيقية، ولا يمكن للمدرسة الفرنسية أن تكون لها غاية أخرى، وعليه فإن ارتياد هذه المدرسة يعني قبول تعليم ديانة الكفار ونجد هنا معطى أساسي هو أن القرن 19 الجزائري برمته ظلت تسيطر عليه هذه المفارقة[4].

ولذلك كانت ألفاظ الطالب والعالم والمرابط والمدرسة أو الزاوية الترجمة الحية لهذا المثل الأعلى الديني الأساسي، والحال أن هؤلاء (المرابطين والطلبة) ليسوا معزولين إنهم رجال يقاتلون بشكل فردي للدفاع عن السنة الإسلامية، بل هم منظمون ومسيرون، ليس هناك طالب في الجزائر لا يعد أخاً في طريقة دينية...، وتأثير هذه الشخصية أكثر بكثير من تأثير المعلم في قريته، والحال أن هؤلاء الرجال القريبين جداً من حياة القبائل والعائلات يعلمون الأطفال ما ظلوا هم طيلة سنوات يتعلمونه في تونس وفاس أو في زوايا القبائل أو الأوراس وهو قراءة القرآن وكتابته[5]، وهذا كله خير شاهد على أصالة المجتمع الأوراسي وتمسكه بدينه.

المبحث الثانــي: الدور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي

إذا كانت الزوايا في منطقة الأوراس قد لعبت دوراً علميا ودينياً فإنها إلى جانب ذلك مارست مهام اجتماعية واقتصادية وسياسية بالغة الأهمية.

المطلب الأول: الدور الاجتماعي

([1])- gttp: // www.chihab.net/modules.phpsname=news et file=prent et sid

([2])- إيفون تيران: **المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة**، مرجع سابق، ص 127.

([3])- المرجع نفسه، ص 126 .

([4])- نفسه ، ص 128.

([5])- إيفون تيران: **المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة**، المرجع السابق، ص ص 129- 131.

إن الفراغ إلى تركه العثمانيين بعد سقوط الجزائر في أيدي الاحتلال الفرنسي جعل الطرق الصوفية والزوايا تتولى المبادرة، ولعبت دور كبير في حركية المجتمع وتطوره الذاتي نظرا للخدمات الجليلة التي قدمها أهل التصوف للمجتمع الجزائري، ولم تكن منطقة الأوراس في منأى عن هذه الحركية، فقد أصبح عامة سكانها يعتمدون كليا على الزوايا لمواجهة الأزمات الاجتماعية، وحل المشاكل ومواجهة الصعوبات التي كانت تحل بالمنطقة من حين لآخر، وبمرور الزمن ترسخت قناعة لدى الناس أن الزوايا وشيوخها هم أقدر الناس على حماية المجتمع، فأصبحت المرجع الأول والأخير للجماهير، ومنذ أن تأسست زوايا الأوراس في جنوبه وشرقه وشماله وغربه، كانت مركزا لوحدة القبيلة وملجأ للفقراء والمساكين ومحطة لعابري السبيل، ومأوى لليتامى وقبلة للمتخاصمين ومركز إشعاع يحافظ على تقاليد المجتمع وعاداته أمام السياسة الاستعمارية التي سعت بكل الوسائل إلى طمس معالم هذا المجتمع العربي المسلم، وإذا تناولنا هذه النقاط وبشيء من الإيجاز فإننا نوجزها فيما يلي:

- تعتبر الزاوية من المعالم البارزة التي يلتف حولها رجال القرية وشيخها مركز قوة القرية وأصبحوا ينظرون إليه من مركز الريادة والقيادة في المنطقة، ورمز كذلك للتوحيد بين القبائل الأخرى، خاصة في أيام المحن، وكما رأينا في الفصل الثالث الخاص بالمقاومة كيف كانت الوحدة بين هذه الزوايا والقبائل، حيث راسل الشيخ بوزيان القبائل المجاورة القريبة منه أو البعيدة في الأوراس، وكذلك الصادق بلحاج زعيم ثورة 1859 الذي راسل شيوخ القبائل وخاصة الرحمانيين.

ومن خلال هذا يتبادر إلى أذهاننا روح التعاون والتكافل الاجتماعي حتى في المقاومة وما بالك في الأزمات الأخرى كالمجاعة والجفاف والأمراض والأوبئة.

- اضطلعت الزوايا بمهمة فض الخصومات والخلافات بين الناس أفرادا وجماعات بفضل مكانة شيوخها وعلمائها وأئمتها بإصلاح ذات البين أفراداً وجماعات، وكانت بذلك قد لعبت دور القاضي والحكم، فقللت من المشاكل والقلاقل وأرست قواعد التسامح والأخوة والتضامن والامتثال لشرع الله تعالى[1]، وقد اضطلعت بهذه المهمة كل زوايا الأوراس حسب موقعها فمثلا عملت زاوية قمار بقيادة شيخها الأول علي التماسيني باستقرار منطقة وادي سوف. حيث تمكن من إخماد فتن قديمة وصراعات مميتة بين قبائل المنطقة بقوله: (لقد حفرنا حفرة الأحقاد القديمة ودفناها، ومن أخرجها فلا يلومن إلا نفسه)، وعمل خلفاءه على نهجه في إصلاح ذات البين وتهدئة النفوس[2].

وكانت زاوية عبد الصمد تقوم بإصلاح ذات البين بين الأعراش والقبائل في المنطقة التي كانت تتولى قيادتها وبذلك مثلت دور الحاكم، وتمتع المجتمع بالاستقرار النفسي والخلقي واتخذ من شيوخ هذه الطرق الصوفية قادة له بدلا من الحكام المدنيين وقضاتهم الرسميين[3] فكل قضايا الأحوال الشخصية أو قضايا الجنايات والخلافات على الأراضي كان يفصل فيها بالزاوية وهو الأمر الذى لفت انتباه الكاتب الفرنسي ليهروليون(Lehraux Léon)خلال زيارته للجزائر بقوله: (تعتبر الزاوية مقرا للقضاء فهي تختص في الفصل في القضايا المدنية والجنائية، حيث كانت تحل من قبل الشيخ بحكم مكانته العلمية والاجتماعية وما هو

([1])- يحي بوعزيز: **دور المساجد والزوايا في بث الوعي الديني والأخلاقي والوطني**، جريدة الشعب، عدد 11798، ص19.

([2])- بن سالم بلهادف: **دور الزاوية التيجانية بقمار**،مرجع سابق، ص 46.

([3])- يحي بوعزيز: **ثورات القرن 19و20** ،مرجع سابق، ص346.

مشهود عنه من عدل وحكمة وعلم، ويكون فصله إما بالصلح والتراضي أو بالتعويض أو الفدية) [1].

ومن هنا سعت إلى إزالة الفوارق الاجتماعية بين الفئات والشرائح المختلفة فقربت بين الفقراء والأغنياء والعلماء والأميين والشرفاء وغيرهم، وحصرتهم جميعا في بوتقة واحدة.

-التكفل باليتامى والأرامل فخلال احتلال منطقة الزيبان والأوراس ترك الشهداء الذين سقطوا في المقاومات ضد الاحتلال الفرنسي الكثير من الأيتام والأرامل، والفقراء والمساكين، والمحتاجين خاصة عندما كثرت الأمراض الفتاكة والمجاعات فقدمت يد العون والمساعدة الممكنة من مأوى ومأكل وتربية وتعليم، وهذا ما حدث في مجاعة (1869/1868) التي مست الجزائر عموما والأوراس خصوصاً، ولم تقدم فرنسا لهم يد المساعدة، فكانت زاوية آل دردور تحث على مساعدة المحتاجين من الأيتام والفقراء والأرامل والمعوقين، وعلى التضامن بين السكان وتنظيم خاص بتوزيع الزكاة ومد القروض لإنقاذ العائلات من شر العوز والبطالة من موارد الزاوية؛ ونفس الشيء قامت به زاوية عبد الصمد بإعانة الناس في عام المجاعة والوباء المعروف بـ: "عام الشر" 1868[2].وزاوية منعة وما قدمته من خدمات للفقراء وأبناء السبيل والطلبة[3].

-عملت الزوايا في منطقة الأوراس على المحافظة على عادات المجتمع وتقاليده وأهمها عدم ترك البنت تواصل دراستها بعد المرحلة الابتدائية وتزويجها في سن مبكر ابتداء من 12 سنة، وعدم إشراكها في الإرث إذا ما تزوجت والمبالغة في احترام المرأة لدرجة الاحتشام من ذكر اسمها وسيطرة الأب على أبنائه وإبقائهم تحت حمايته وكفالته حتى بعد زواجهم[4]، فمثلا كان الهاشمي دردور يولي عناية كبيرة لسلامة الأسرة وطهارتها، فكان يقوم بإجبار الأب أو الأخ بتزويج ابنته أو أخته لمن يطلبها للزواج بالوجه الشرعي، وذلك بصداق معلوم ولباس عادي دون شروط، حيث يحضر هذا العقد أو العرس ثلاثة أو أربعة أشخاص مع أهل الوليمة فقط[5]، ومن العادات الشائعة كذلك عملية "التويزة" التي يتعاون فيها جميع أفراد القبيلة دون مقابل في البناء والحرث والزرع والحصاد وكان الأكل يتم في أقداح مشتركة وبصفة جماعية وفي وقت واحد، الرجال وحدهم والنساء وحدهن والأطفال وحدهم، ويفضّل الرجال بالأطعمة الجيدة، ولا يخاطب الرجل زوجته باسمها وكذلك الزوجة ولا يكلم الابن زوجته بحضور أبيه وأمه[6]، والاهتمام كذلك بالأعياد الدينية.

-الاهتمام بالجانب الصحي، حيث اهتم الكثير من شيوخ الطرق الصوفية بطب الأعشاب في مداواة ومعالجة الأمراض الباطنية والجروح ،وكانت لهم تجارب مهمة وإيجابية في كثير من الأحيان اللهم إذا ما حدثت أوبئة معدية سريعة الانتشار فيكون الموت بالآلاف، ومن الأدوية المشهورة المرهم الذي يصنع من عصارة شجر الصنوبر، والقطران الذي يستخدمونه خاصة لأمراض الحلق، والبصل وزيت الزيتون والعسل لأمراض الصدر والعرعار والزعتر والكمون لأمراض البطن، بالإضافة إلى استخدام العسل والطيب وورق الصفصاف وقشور الرمان والصنوبر والجوز ونبات **التسلغة** المر والرطمة وغيرها، وكذلك

---

(1)- http: // www.chihab.net/modules.ph name=news **.** sid 1555 - file=print -

(2)- الجمعية الخيرية لزاوية آل عبد الصمد: **معلومات** ،مرجع سابق، ص 02 **.**

(3)- عبد الباقي مفتاح: **أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني**،مرجع سابق، ص 286.

(4)- يحي بوعزيز: **موضوعات**، مرجع سابق، ص502**.**

(5)- علي عزوزي:**زاوية ال دردور ، مرجع سابق،** ص34**.**

(6)- يحي بوعزيز: **موضوعات، مرجع سابق،** ص 502.

لهم تجارب هامة والتي ما زالت إلى يومنا هذا في جبر كسر العظام والكي بالنار[1]، ومن المأثور عن الشيخ الهاشمي دردور أنه كان يمارس مهنة التداوي بالأعشاب حسب الطب النبوي، أما التمائم الكثيرة الاستعمال في منطقة الأوراس فقد نهى عنها الشيخ، بحيث كان إذا وجد تميمة عند أحد نزعها عنه ودفنها في التراب[2]، وهذه التمائم التي كانت تسمى بـ: "الحرز" كان يلجأ إليها في بعض المجالات النفسية، والرقية لدى بعض الشيوخ الذين يتعاطون هذه المهنة خاصة بعد تدهور الحالة الصحية للسكان نتيجة سوء التغذية وسلب ممتلكاتهم وإرهاقهم بالحروب والضرائب والتشريد طيلة القرن 19.

وعليه فإن الدور الاجتماعي الذي لعبته الزوايا كان يشبه إلى حد كبير دور الجمعيات الخيرية في عصرنا الحاضر بكفالة اليتامى والمساكين وأبناء السبيل والمسافرين، ولذا يمكن القول أن الزاوية هي الركيزة الأساسية في البنية الاجتماعية الأوراسية، وبتعبير أدق هي الخلية الحية التي تفرز النسغ الحياتي المغذي للنظام الاجتماعي والمنظم لعملية الصيرورة الاجتماعية وعند الاقتضاء تشكل السلطة المرجعية التي تتولى حماية المجتمع من الذوبان والتبدد[3].

كما لا ننسى أن لهذه الزوايا الريفية النصيب الأوفر في تحقيق التآلف الاجتماعي الذي نحن في حاجة مستمرة إليه اليوم، فالكثير يقتطع جزء من أرضه أو نخيله أو عدد من مواشيه لمساعدة المحتاجين ويخصص أهل الخير جزء من محصولهم السنوي للزاوية التي توجد في منطقتهم[4]، فكانت نعم المكفل من أجل استمرار الحياة في منطقة الأوراس وبهذا نصل إلى نتيجة مفادها هو التخفيف من معاناة الشعب الأوراسي والحفاظ على تماسكه وتآزره ووحدته، وقطعت الطريق أمام الجمعيات التبشيرية ونظمت العلاقات بين مختلف شرائح المجتمع وجابهت المشاريع الاندماجية بكل صبر وعزم.

([1])- المرجع نفسه، ص503.

([2])- علي عزوزي: **زاوية آل دردور**، مجلة أشغال الملتقى الأول،مرجع سابق، ص 207.

([3])- محمد الطاهر عدواني: **الزاوية تقود المقاومة**، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني دول دور الزوايا في المقاومة وثورة التحرير، منشورات وزارة المجاهدين 2007، ص 81 .

([4])- أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص 164.

المطلب الثاني: الدور الاقتصادي

إضافة إلى التكافل الاجتماعي فإن هناك تكافل اقتصادي بين الأسر والقبائل والعشائر، في مشاريع العمل الكبرى كالحرث والحصاد والجني والبناء والرعي والرحى وجمع العلف اليابس لها[1]، والتجنيد الجماعي الآلي لمقاومة الأخطار الخارجية والداخلية وكانت الزوايا تنفق بسخاء على كل الأعمال من خلال العائدات والمداخيل والموارد المالية للطرق الصوفية والمرابطين والتي تأتيها من موردان ماليان هامان هما:

الأوقاف سواء أكانت أراضي أو بساتين أو أشجار مثمرة أو محلات تجارية وحيوانات وحمامات والرحوات وفنادق وغيرها، وهي تدر أموالا ومداخيل ينفق منها على الطلبة والعلماء والأئمة والمؤذنين سواء كان ذلك في المدارس القرآنية أو الكتاتيب أو الزوايا والمساجد، واهمها الزاوية القادرية في وادي عبدي بمنعة والرحمانية في طولقة والبرج وتبرماسين[2].

وقد كانت تسخر الأتباع في استثمار هذه الأراضي والعقارات المحبوسة على زوايا الطريقة وكذا فيما يتصل برعاية الأتباع وتسييرهم أوحكمهم[3]، بالإضافة إلى ما يقدمه المريدين عند زيارتهم لشيخ الزاوية أو مقدمها، ثم الهدايا والغفارة والوعدة تجمع عادة في بعض الزوايا من التلاميذ وكذلك تبرعات المسافرين الذين ينزلون بها[4].

وكانت زوايا المنطقة أكثر رفاهية قبل الاحتلال سنة 1830م، أما بعده فقد تمت مضايقة شيوخ هذه الزوايا وصودرت الأوقاف.

ولعل أهم زاوية نظمت اقتصادها هي الزاوية الدردورية خاصة الشيخ المرحوم الهاشمي علي بن دردور[5]، الذي كان له منهاج في التربية الدينية والعمل الدنيوي سعيا منه إلى تربية المريدين وحفظ كرامتهم فكان شديد الحرص على توجيههم لإتقان العمل واتقاء شر الحاجة والاحتياج إلى الناس ولذلك كان يحثهم على الاهتمام بالفلاحة والرعي[6]، وهما شيمتان أساسيتان لسكان الأوراس زُرع فيهم روح التعاون وتوحيد الصفوف، وكان أسلوب عمله هو **التويزة** في كل شيء خاصة في الأعمال الجماعية -بناء الديار- ومثال على ذلك من لم يكسب بغل للحرث اشترى له من ماله الخاص أو جمع له إعانة، ويحث الأغنياء على شراء الحيوانات (ماشية كالغنم والماعز والبقر) وتسليمها لمن لا يملك على أساس الشركة بينهما ويأمر بمساعدة العجزة والأرامل بالحرث والبذر والحصاد والدرس.

(وقد أنشأ في كل قرية مركز يجمع فيه جزء من زكاة الحبوب (قمح، شعير، ذرة) ويوزع وقت العوز للفقراء والمساكين حسب عدد أفراد العائلة، كما اهتم بصناعة الأحذية من الحلفاء المعروفة بـ (المدايس)، والنساء يحرضهن على خدمة الصوف والغزل لتلبية حاجات

([1])- يحي بوعزيز: **موضوعات..**، مرجع سابق ،ص 501.

([2])- المرجع نفسه، ص ص499-501.

([3])- عمراوي أحميدة/ **بحوث تاريخية**، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة 2006، ص 102.

([4])- المرجع نفسه،ص 106.

([5])- **الهاشمي بن علي دردور** من مواليد مدرونة (وادي عبدى سنة 1815) حفظ القرآن في سن 12 بزاوية أبيه ثم درس بزاوية برج بن عزوز وخنقة سيدي ناجي، ثم بزاوية بوحجر قرب قالمة، ثم إلى مصر بأمر من شيخه بن عزوز لمواصلة تعليمه بالأزهر الشريف، ثم حاجا مع أبيه إلى الأماكن المقدسة و عاد إلى مصر ودرس بالإسكندرية. وفي سنة 1870 رجع إلى مسقط رأسه، توفي والده سنة 1875 فتولى شؤون الزاوية وأسس طريقة الأحباب سنة 1876 الرحمانية ودرس بها علوم الدين والتوجيه السياسي ضد المحتل أيد ثورة جار الله سنة 1879ونفته فرنسا إلى جزيرة كورسيكا وبقي بها 10 سنوات، وفي سنة 1890 رجع إلى مسقط رأسه وواصل رسالة التعليم، (أنظر: **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية، ص205).**

([6])- جمعية أول نوفمبر: **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة**،مرجع سابق، ص 206.

أسرهم وصناعة (التليس والعمارة، والغرارة والفليج لبيوت الشعر)، وكذلك يدعو الرجال إلى الصناعة الفلاحية كالمحراث الخشبي، المذراة، والسكة، ويدعوهم إلى تنقية الأرض من الحشائش المضرة والحجارة وغرس الأشجار)[1]، ومن هنا نجد أن الشيخ الهاشمي كان قد جمع بين العلم والتعليم والدين والاقتصاد والتربية وحتى السياسة، وكان يقول: "كل حبة تنبت في مكان الحجارة أو الشوك الذي نزعته لك فيه حسنة"، ويقول: "كل قلة واشرب قلة تنجو من العلة").

كما اهتمت زاوية عبد الصمد باستغلال الأرض وخاصة (القمح والشعير والتمور والزيتون، والخضر والفواكه) وتصرف على الطلبة والفقراء والمساكين والزوار والضيوف[2].

أما زاوية قمار بوادي سوف فقد اهتمت بخدمة الأرض وغراسة النخيل والتجارة ومختلف النشاطات الحيوية ،وفي سنة 1890 ظهرت بها صناعة الزرابي بالزاوية التيجانية التي استقدمتها من بلاد النمامشة واستقدمت من يقوم بهذه المهمة، وقد اشتهرت هذه الزربية بجودة صوفها ووبرها وعقدها المتينة وألوانها[3]، واهتمت الزاوية كذلك بالنحت والنقش فعندما تم بناء مسجد الزاوية سنة 1870 استقدم من مدينة عين ماضي بناء أخصائي في النقش على الجبس فتأثر به بناؤوا المنطقة وتعلموا على يديه وطوروا عملية النحت والزخرفة.

هذه بعض الأمثلة على بعض الزوايا في منطقة الأوراس والتي وضعت كل واحدة منها منهاجا اقتصاديا خاصا بها صمدت به أمام الأيام السوداء التي عرفتها المنطقة أو أمام الاحتلال الفرنسي الذي سلب ونهب كل شيء.

---

(1)- جمعية أول نوفمبر: **تاريخ الأوراس،** المرجع السابق ، ص ص 206-207.

(2)- الجمعية الخيرية لزاوية عبد الصمد:**معلومات** ،مرجع سابق، ص 2.

(3)- بن سالم بالهادف: **دور الزاوية التيجانية في نهضة سوف**،مرجع سابق ، ص 46.

المطلب الثالث: الدور السياسي

إذا كانت الطرق الصوفية النقطة التي تلتقي عندها جميع الأطراف، ومركز الدائرة ومحور اهتمام الحكام والجماهير على حد السواء في الحياة الدينية، والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، كما رأينا سلفا، فإنها في نفس الوقت قد كان لها دور سياسي كبير صعب على قادة الاحتلال السياسيون منهم والعسكريون وخبراؤهم المتخصصون في شؤون الأهالي مهمتهم ، كما نلاحظ ذلك في تقاريرهم ودارستهم فالباحث الفرنسي م. إمري يقول" بالرغم من أن لهذه الطرق الصوفية صبغة دينية فإنها كانت بالنسبة لدورها الاقتصادي والاجتماعي أشبه بأحزاب سياسية تستند إلى نظام غامض وتدريجي محكم، إنها منظمات سرية تؤجج العداء ضدنا وتعبئ الناس باتصالات خفية"[1].

ثم نجد الضابط دي **نوفو** في كتابه **الإخوان** الصادر سنة 1845 يبين الدور الذي لعبته الزوايا والطرق في مقاومة الاحتلال خلال القرن 19، وخاصة في منطقة الأوراس التي أعدت ونفذت ونظمت بوحي منها، وهو ما يؤكده كذلك **أوكتاف ديبون** المفتش العام للبلديات الممتزجة بالجزائر في كتابة **الطرق الدينية** في الجزائر الصادر سنة 1897 في تقرير بعث به إلى لجنة الشيوخ المكلفة بالجيش بأنه وراء كل ثورة يد مرابطية، ولعل الدور السياسي الأول تمثل في المقاومة التي خصصنا لها فصلا كاملا، والفضل في هذه المقاومة الأوراسية يعود بالدرجة الأولى إلى الطريقة الرحمانية وفروعها المنتشرة في كامل المنطقة لأن هذه الطريقة كانت تدعوا إلى الصفاء والعودة إلى المنابع الأولى للإسلام كما وجدنا ذلك في مصادرها وفروعها المنتشرة في المنطقة من خلال زواياها، لذلك عرفت نجاحا كبيرا من حيث التوسع وعدد الإتباع.

ولهذا أصبح لمشايخ الطرق والمرابطين دور أساسي بعد أن دمر كيان الدولة الجزائرية وطمست مؤسساتها ورموزها من طرف الاحتلال، وبقي هؤلاء في ساحة المواجهة مع فرنسا، فأصبحوا بمكانة ومهابة واحترام كان تقريبا محل إجماع السكان فاستماتوا وماتوا من أجلهم، ولا يرجع ذلك إلى ثروتهم أو سلطتهم بل لورعهم ودعوتهم وتنظيمهم الجيد المتفتح على المجتمع[2]، فالمرابط والشيخ هم رجال سياسة يجتمعون دوريا في الأسواق الأسبوعية "طولقة ، أولاد جلال، بسكرة، أريس، سوف..." ويتفاوضون حول القضايا العامة والمشاكل التي تقع بين الأعراش[3]، ويتناقلون كل الأخبار التي تقع في منطقتهم أو خارجها، ويستمدون سلطتهم من سلوكهم ورضا الناس عنهم، فمثلا الشيخ الهاشمي بن علي دردور كان يقوم بالإصلاح بين الناس والتوجيه السياسي ضد المحتل ومن المؤيدين لثورة جار الله 1879 وحرض أتباعه على الامتناع عن دفع الضريبة، الشيء الذي دفع فرنسا إلى إلقاء القبض عليه مع 6 مقاديم من طريقته[4].

فنلاحظ شدة التعلق به من طرف السكان، ففي سنة 1895 قام العدو بإلقاء القبض عليه من جديد بعد رجوعه من المنفى ونقلوه إلى باتنة، وبقي فيها خمسة أيام تحت الإقامة الجبرية فقام سكان وادي عبدي ووادي الطاقة بمظاهرات أمام السلطة العسكرية مطالبين

---

(1)- محمد العربي: **مؤسسة الزاوية، مجلة** أعمال الملتقى الأول والثاني لدور الطرق الصوفية، مرجع سابق ،ص 55.

(2)- المرجع نفسه، ص 54.

(3)- التوسط بين وحدات سي أحمد بلحاج وخليفة الامير عبد القادر، الدور الذي قام به رحماني علي بن عمر من طولقة حين استشهد 1843 وبين أنصار بن قانة لحقن دماء المسلمين والحيلولة دون اقتتالهم، أنظر: عبد الحميد زوزو، **الأوراس ابان..**، ص 103.

(4)- جمعية أول نوفمبر: **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة**، مرجع سابق ،ص 205.

بإطلاق سراحه، وفعلا أطلق سراحه بعد دفع غرامة مالية[1]، ثم أننا نجد أن الصراع كان محتدما بين عائلتان كبيرتان (بوعكاز -بن قانة) وما لهذا الصراع من أثر على حياة المنطقة، وتجاذبت معها بعض الزوايا مثل زاوية طولقة بجانب عائلة بوعكاز وزاوية تيماسين التيجانية مع أولاد بن قانة[2]، وقد فرضت الطرق الصوفية سيطرة في الأرياف ولا يخلوا أي عرش من زاوية يكون مقدمها هو الحاكم الفعلي للعرش والكل يبدي له الاحترام والتقدير والسلطة كانت للجماعة[3]، ويتولاها كبير العرش أو شيخ الزاوية أو المرابط، وظل السكان الأوراسيين متمسكين بها بعيدا عن السياسة الفرنسية التي لاتحتاجهم إلا في الضرائب والتجنيد.

إن لرجال الدين والزوايا سلطة روحية كبيرة على القسم الأكبر من سكان الأوراس نظرا لما للدين من قداسة لديهم، وهذا ما جعل أغلبية الكتاب الفرنسيين يتهمون الجزائريين بالتعصب الديني والعرقي وهي تهمة باطلة[4]، فلهم من الولاء الشعبي ما يضاهي بل يفوق الولاء العام لنظام الحكم الفرنسي أو للأسر الحاكمة تحت سيطرة فرنسا.

وأدت الطرق الصوفية في الأوراس وظائف الدولة كحماية المستضعفين والمساكين وتعليم الطلبة والمريدين وتوجيه الحياة ومختلف اتجاهاتها (فالروح التي كانت تحرك الدراسات والتكوين اللذين كانت الزوايا تقدمهما، التعليم العام والمحاكم هي مجرد تعبير عن المسجد الذي يتحكم بشكل كبير في الحركة السياسية والفكرية، ...) [5]،

ومن هنا نستنتج أن لها أهداف سياسية غير بارزة ركزت على الوعي الديني الوطني وصل لحد الجهاد وتنظيمه والإبقاء على جذوة الكفاح المتقد منذ دخول أحمد باي للمنطقة إلى غاية ثورة جار الله 1879، وجعلت السكان يزدادون التفافا حول هذه الطرق والزوايا التي ظلت مأوى وملجأ الحركات الثورية[6].

إن الزوايا في منطقة الأوراس حاولت كذلك تعميق الصلة بين الجزائري وأصالته بإبراز الشخصية الجزائرية وقوفا في وجه السياسة الفرنسة والاحتواء واجتثاث اللسان واحتلال الأرض[7]، بالرغم مما تعرضت له من تضييق واضطهاد ودمار من طرف القادة الفرنسيين في الأوراس، ولهذا تمكن الرائد لويس رين من وضع خريطة للزوايا في عموم القطر أصدرها سنة 1884 في كتاب بعنوان: "المرابطون والإخوان دراسة عن الإسلام في الجزائر لتستخدمه مكاتب الشؤون الأهلية (burequx arabes) والمخبرون وقيادات الجيش من أجل الرقابة والتجسس والتغلغل في تلك التنظيمات في إطار سياسة شاملة سنتناولها في الفصل اللاحق.

([1])- جمعية أول نوفمبر: **تاريخ الأوراس،** المرجع السابق،ص 208 .

([2])- يحي بوعزيز: **ثورات القرن 19و20**، مرجع سابق، ص 347.

([3])-**سلطة الجماعة**: هي حكم الجماعة أو ثاجماعث يتكون مجلسها من كبار السن وهي أنواع(جماعة الدشرة،العرش،الأعراش...)وقانونهم مستند أغلبه من الشريعة ،وتشمل جميع المجالات والعقوبات تكون مادية ومعنوية0أنظر خنوق علي/**السلطة في الأرياف** ص11

([4])- يحي بوعزيز: **موضوعات...**، مرجع سابق ،ص497.

([5])- ايفون تيران:**المواجهات الثقافية**، مرجع سابق، ص 129 .

([6])-**.http/mannem-maktoobblog.com/146764**

([7])- عبد القادر بوعرفة: **جهاد شعبي أم مقاومة..مجلة** أعمال الملتقى1و2، مرجع سابق ،ص91 .

الفصـــل الخامس

السياسة الاستعمارية تجـــاه الطرق الصوفية في منطقة الأوراس

المبحث الأول : محاربة التعليم العربي والقضاء الإسلامي

المبحث **الثاني** : دور المكاتب العربية

المبحث الثالث : محاولات التبشير والتنصير

المبحث الرابع : سياسة الترغيب والترهيب لاحتواء مشايخ الطرق الصوفية

الفصل الخامس: السياسة الاستعمارية اتجاه الطرق الصوفية في منطقة الأوراس

المبحث الأول: محاربة التعليم العربي والقضاء الإسلامي

كانت منطقة الأوراس قبل الاحتلال الفرنسي لها عام 1844 تعج بالمساجد والكتاتيب والزوايا المنتشرة في كل مكان جنوبا وشمالا، ومقارنة مع الجزائر في العهد العثماني كانت نسبة التعليم وفق إحصاء الفرنسيون سنة 1830 كان 20% من مجموع الأولاد الجزائريين وهي نسبة عالية إذا ما قيست بالمجتمعات المتقدمة في ذلك الوقت[1].

ولهذا كان من الطبيعي على فرنسا أن تسعى بكل الوسائل للقضاء على هذين المقومين خاصة الزوايا التي قادت الثورات والتي تنشط في هذا المجال، لأنها لا تخاف من قوة السلاح بقدر ما تخاف من حفظة القرآن الكريم، ولذا بدأت في إصدار المراسيم وتدبير المكائد وإحاكة المؤامرات لتعطيل وظائفها بواسطة بعض الإجراءات التعسفية كالتصفية النهائية لبعض الزوايا بالتدمير[2]، مثلما حدث " لزاوية الزعاطشة، وزاوية سي الصادق ومول القرقور...".

والهدف الأساسي هو استئصال الثقافة العربية والإسلامية ومحاصرة المراكز التعليمية وغلق المدارس والمعاهد والزوايا حتى تروج في أوساط الأجيال الصاعدة أن الجزائري قد بلغ في القرون الماضية أسفل درجات الجهالة والهمجية، إذ لم يكن بالبلاد أي تعليم منظم وأن كل الجزائريين أميين يجهلون القراءة والكتابة واللغة العربية ماتت مع اللغات الميتة[3]. وهذا من أجل تبرير سياستها التعليمية انطلاقا من أن تنوير الشعوب وإنقاذهم من الجهل والتأخر ولذلك لجأت إلى إحلال المدارس الفرنسية مكان المدارس العربية، بالرغم من أن الجنرال فالزي عام 1834 يعترف بأن وضع التعليم في الجزائر كان جيدا قبل التواجد الفرنسي في أغلبية القرى[4]، وأن التعليم الابتدائي كان أكثر انتشارا مما كان عليه في فرنسا والدليل على ذلك كان في منطقة (أريس) ثلاثة أنواع من التعليم القرآني والإسلامي في الكتاتيب والمساجد، وكذلك في الزوايا ذات النظام الداخلي مثل(زاوية بترماسين بجبل أحمر خدو وأحمد بن الصادق في غوفي، والشيخ المكي بتازولت، وزاوية الخرشي في ثلاث، ووادي عبيدي، وعلي دردور في حيدوس، محمد بن بلقاسم في ثنية العابد، الهاشمي دردور في ندرومة، وابن عباس في منعة). وذات النظام الخارجي (زاوية عبد السلام في تكوت وعمر بن عبد السلام في القصر، والشيخ فتح الله بكيمل، وزاوية الشيخ بن عزة في الحجاج قرب أريس)[5]، ونفس الشيء بالنسبي للزوايا الأخرى بدائرة بسكرة، ولإيجاد البديل قامت بإنشاء مدارس مختلطة فرنسية إسلامية تعطى الدروس باللغتين ولكن التركيز الأساسي كان على اللغة الفرنسية.

ثم أصدرت مرسوم 30 سبتمبر 1850 يقضي بإنشاء ثلاث مدارس في كل من قسنطينة والجزائر وتلمسان مهمتها تخريج الموظفين الدينيين الذين يكونون بمثابة أداة تهيئ الغطاء الإيديولوجي لعمليات ما سمته بالإسلام الجزائري[6].

---

(1)- أحمد الخطيب: **جمعية العلماء وأثرها في الإصلاحي في الجزائر** ،مرجع سابق، ص62.

(2)- حياة بن تبقة: **الزوايا مراكز للإشعاع الديني، الشروق العربي** (ملحق الشروق الثقافي) العدد 4، من 1-14 جويلية 1993، ص 13.

(3)- إبراهيم مياسي: **لمحات من جهاد الشعب الجزائري**، مرجع سابق، ص 211.

(4)- Charle Robert AGERON/ **les algériens musulmans et la France,1871-1919, thèse T.I.P.U.F 1968 .p 78.**

(5)- محمود عبد السلام: **جغرافية دائرة أريس**، تاريخ الأوراس ونظام التركيبة،مرجع سابق، ص 107.

(6)- حسن عبد الرحمن سلوداي: **عبد الحميد بن باديس مفسرا**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 29.

ثم يتم توزيع هؤلاء الموظفين للتدريس والإمامة والقضاء على كامل التراب الوطني. ولتطبيق ذلك تم بناء بدائرة باتنة 19 مدرسة من الدرجة الأولى و 05 من الدرجة الثانية[1] وعدد التلاميذ في الدرجة الأولى كان 204، وفي الدرجة الثانية 87 تلميذا، أما في دائرة بسكرة فعدد المدارس من الدرجة الأولى 57 مدرسة، ومن الدرجة الثانية 08 مدارس وعدد التلاميذ في الدرجة الأولى 985 والثانية 68 تلميذا[2].

تلك هي نظرية الدوق دومال الذي قال: إن فتح مدرسة في أوساط الأهالي لا تقل أهمية عن فيلق من الفيالق العسكرية لإخضاع البلاد[3].

إن ثقافة فرنسا كانت تحاول تحقيق مشروع فرنسة الجزائر واستئصال مقوماتها، واعتمدت في ذلك على المكاتب العربية لتجسيد هذا المشروع الذين حاولوا التضييق على مدرسي القرآن والكتاتيب، فهم الأعداء اللذوذين لهم، وحسب تقاريرهم فهم أعداء الإدارة الفرنسية، إذ اعتبروا كل الطلبة "معلمي القرآن" هم متعصبون وجهلة ففي أوساطهم تتطور الأفكار المناهضة لفرنسا، فيجب مراقبتهم أو استمالتهم خاصة وأن مرتباتهم ضعيفة ففي قسمة باتنة سجلت سنة 1853 أن الطلبة كانوا يتقاضون رواتب سيئة بلغت 8/1 قمح 4/1 شعير شهريا[4]، غير أن هذه المدارس المختلطة كان ينفر منها أبناء الأوراس ولم تحقق مرادها وكانت الاستجابة قليلة وهزيلة رغم المغريات.

والتلاميذ الذين التحقوا بهذه المدارس هم أبناء الطبقة البرجوازية القريبي الصلة بالسلطات الاستعمارية حتى يرضوا فرنسا، أما أبناء الأهالي فقد أحجموا عنها وأقبلوا على التعليم الأصلي العربي الإسلامي خاصة في الأرياف البعيدة عن المراقبة الاستعمارية لأنهم أدركوا أن الهدف هو دمج المجتمع الجزائري المسلم بالمجتمع الفرنسي والقضاء على مقدساته[5].

أمام كل ذلك وبعد القضاء على الثورات في المنطقة أصدرت فرنسا مرسوما 18 أكتوبر 1892 يقضي بعدم فتح مدارس إلا برخصة من الحكومة والتي كانت شروطها قاسية تخضع إلى تحريات البوليس الفرنسي فلا تمنح إلا للذين يخلصون الولاء لفرنسا، ثم تلاه قرار سنة 1904 يمنع التعليم بدون رخصة، واستطاعت أن تبقي التعليم في حدود حفظ القرآن فقط وفتحت أمامهم باب واحد وهو باب المدارس الفرنسية التي حلت محل المدارس العربية والزوايا ،ولذا قال أحد وزراء التربية الفرنسية في نهاية القرن التاسع عشر (كان الغزو الأول للجزائر بقوة السلاح وانتهى عام 1871 ويتمثل الثاني في حمل الأهالي على قبول عدالتنا وآرائنا، وسوف يتحقق الغزو الثالث عن طريق المدرسة وتغيير العقلية الجزائرية)[6].

وقد نجحت فرنسا في ذلك حيث وصف محمد فريد الذي زار الجزائر عام 1901 حالة التعليم بقوله: (إن حالة التعليم في الجزائر سيئة جدا، ولو استمر هذا الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات... هجرت ربوع العلم،

([1])- **الدرجة الأولى**: هي التعليم الابتدائي والذي يقتصر على القراءة والكتابة وبعض السور القرآنية. أما **الدرجة الثانية**: هي التعليم الثانوي يقتصر على تعليم العقيدة والتشريع والفقه والنحو والحساب، أنظر: فركوس صالح/ **إدارة المكاتب**، ص 274.

([2])- صالح فركوس: **إدارة المكاتب العربية**، مرجع سابق، ص273.

([3])- المرجع نفسه، ص283.

([4])-نفسه، ص 271.

([5])- عبد القادر خليفي: **دور الطرق الصوفية في المحافظة عل الهوية الوطنية**، مجلة الملتقى الثاني لدور الطرق الصوفية، مرجع سابق، ص98.

([6])- حسن علي مصطفى حمدان: **أضواء على الغزو الثقافي للعالم الإسلامي**، شركة الشهاب، الجزائر 1999، ص 15.

وخربت دور الكتب وصارت الديار مرتع للجهل والجهلاء) [1]، هذه هي حالة التعليم بعد أن استكان سكان الأوراس وهادنت الزوايا السياسة الفرنسية التي عملت على استبقاء بعضها وتعيين موظفين في بعض المؤسسات وهدم الباقي منها[2].

ولاستكمال سياستها سعت فرنسا إلى استبدال القوانين الإسلامية في المجال القضائي بالقوانين الفرنسية ففي 18 فيفري 1841 صدر أمر من السلطات يتضمن التنظيم القضائي في الجزائر وبه انتزعوا من القضاة المسلمين البث في الأمور الجزائية وأصبح القضاء الإسلامي مقتصرا على الأحوال الشخصية، ثم أصدرت قانون إلغاءا لنظام الإسلامي وقانون الجنسية الصادر سنة 1865، وإهمال التعليم الإسلامي وإطلاق الحرية للمبشرين وعدم تطبيق فصل الدين عن الدولة[3] بالنسبة للإسلام، ثم أن المحاكم التي أسستها فرنسا كانت بعيدة عن سكان الأوراس، فنجد في نص الرسالة التي أرسلها مشايخ أعراش الأعشاش بلدية عين لقصر يشتكون فيها إلى الوالي العام بالجزائر بعد المحكمة ويطلبون منه تقريبها إلى منطقة تيمقاد لأن المسافة التي تفصلهم عن المحكمة تتراوح من 40 إلى 100 كم، ويصفون الصعوبات التي يواجهونها من مشقة وتعب وضعف وعجز وفقر ومصاريف[4].

وقد كتبت هذه الرسالة بتاريخ 4 جويلية 1906، وبهذه السياسة التعليمية والقضائية تمكنت فرنسا في منطقة الأوراس من أن تحقق ما قاله نائب فرنسا يدعى طوكفيل سنة 1847: "لقد انطفأت في الجزائر مشاكل العلم ومراكز إشعاع العلم والمعرفة وأهملنا العلماء والفقهاء المسلمين فصاروا قوما بورا، وقذفنا بالمسلمين الجزائريين في البؤس والجوع ثم رمينا بهم في حالة اكثر همجية مما كانوا عليه فسخطوا علينا سخطا كبيرا [5]"

المبحث الثاني: دور المكاتب العربية

بعد اجتياح منطقة الأوراس أصبحت خاضعة للحكم العسكري بباتنة، وواجهت فرنسا في الفترة الممتدة من 1944- 1916 صعوبات جمة من طرف السكان رغم الوسائل الجهنمية التي استخدمها لإخضاع المنطقة وخاصة من طرف المكاتب العربية التي أنشأت أساسا لتكون واسطة بين الفرنسيين والسكان، ويرأسها ضباط فرنسيون وتكمن مهمتهم الأساسية في متابعة ومراقبة رجال الدين والزوايا وإرهاقهم بشتى الأساليب وكسب الأعيان والتأثير على الأعراش وتشتيت الشخصيات ذات النفوذ[6] ، وهذا هو الاتجاه الذي شكل إحدى الدعامات الأساسية للسياسة الفرنسية في الأوراس فقد أجمع جل الضباط الذين حكموا منطقة الأوراس أن السبب الرئيسي للثورات التي عرفتها الزيبان و الأوراس هو الدين وأن سياسة السلب والنهب والحرق والضرائب والمصادرة والنفي هي المحرك لها، فحسب دونوفو أنه (من الأجدر أن نتحقق من هؤلاء الأشراف الذين يفدون باسم الرسول بين فترة وأخرى مدعين أنهم من نسبه لتحريك بعض الشعوب البائسة والزج بها في ملزمات مخاطر

([1])- أحمد الخطيب: **جمعية العلماء وأثرها في الجزائر**، مرجع سابق، ص64.
([2])- عميراوي حميدة : **من تاريخ الجزائر الحديث**، ط2، دار الهدى عين المليلة، 2004، ص129.
([3])- كمال دحومان الحسيني: **أشراف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع**، ط1،دار الخلدونية، الجزائر2009، ص 123.
([4])- **انظر نص الرسالة في كتاب عبد الحميد زوزو الأوراس ابان فترة الإستعمار ج2 ملحق رقم 20 ص ص 238-239**
([5])- يسلي مقران : **الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920-1945** دارالأمل للطباعة والنشر 2006، ص 55 .
([6])- جمعية اول نوفمبر: **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة**، مرجع سابق، ص 223.

الحرب...) [1] ولذلك تلقى ضباط المكاتب العربية تعليمات من الحاكم العام في نوفمبر 1947 لجمع المعلومات المتعلقة بالزوايا وأتباعها حتى يتم مراقبتها مراقبة محكمة واستجابة لتلك التعليمات نشط ضباط المكاتب العربية بعد أن تأكدوا بأن الزوايا والمساجد حسب نظرهم تنشأ الدسائس الحاقدة ضد سيطرتنا[2].

ثم جاء منشور آخر إلى المكاتب العربية من الحاكم العام مارس 1850 يدعو فيه ضباط المكاتب إلى تكثيف الحراسة على تحركات هؤلاء الإخوان الذين يسعون إلى تضليل الجماهير وعزلهم عن السلطة الفرنسية وتحريضهم على الجهاد[3]، وقد كان هؤلاء الضباط يرسلون تقارير إلى حاكم قسنطينة حول عدد الإتباع والمقاديم والطرق في كل منطقة (**أنظر الملحق رقم 18)** فقد سجل بمنطقة بسكرة انتشارا كبيرا للطريقة الرحمانية في الزيبان وششار وأولاد نايل، وفي دائرة باتنة أحصى ضباط المكاتب العربية أنصار هذه الطريقة بـ 20000 [4]، ولقد حاول هؤلاء الضباط التقرب من زوايا المنطقة بإعفائهم من الضرائب ومع ذلك فشلوا لأن المقاومة استمرت ومثال على ذلك ما قامت به قبيلة الحراكتة والنمامشة [5].

وصدرت الأوامر مرة أخرى إلى توقيف كل شيوخ الطرق الصوفية الذين يحاولون إثارة الجماهير ضد السلطة الفرنسية إذ (أن زاوية سي الصادق بأحمر خدو تحولت إلى ملجأ لكل الذين صوبوا ضرباتهم ضد الفرنسيين إلا أن هذا الرجل كان يستقطب كل يوم أنصار جدد وسلوكه محيرا بالنسبة لنا غير واضح الشخصية إنه يشكل راية قائمة حولها يلف كل ثائر عدو لفرنسا مستعد للثورة إنه في يوم من الأيام سيصبح خطرعلينا) [6]، هذا ما سجله ضابط مكتب بسكرة في تقريره إلى الحاكم العام، ولذا وصف ضباط المكاتب العربية حركة الإخوان الرحمانيين بالتعصب الديني، ومن الذين كانوا محل مراقبة من طرف ضباط المكاتب العربية بمنطقة الأوراس نجد الشيخ بوزيان قائد ثورة الزعاطشة الذي بين ضعف القوات الفرنسية من خلال تقرير كاربيسيا حيث قال (إننا نحمل أنفسنا مسؤولية ضعفنا)[7].

وسي الصادق بلحاج الذي أزعج ضباط المكاتب العربية كان انطباعهم عليه بأنه كان مستعد لحمل الناس على الثورة في أي وقت شاء [8].

وقد أوكل للمكاتب العربية عملية الاحتواء بطريقة مباشرة لاستمالة وشراء الذمم وبمختلف الوسائل النفعية،اما الغير المباشرة فتتم بواسطة سياسة التسميم لضرب قبيلة بقبيلة بواسطة التجسس والتحسس والتسرب والتسمم السيكولوجي الذي طورته لهذا الغرض بالذات[9]، وقد تم تنظيم العائلات في المنطقة والتي لها تأثير على السكان لتسند لهم مهام قيادية ومن هذه العائلات :

- ✓ عائلة بن قانة في بسكرة والزيبان.
- ✓ عائلة بن شنوف نفوذها بالأوراس وسيدي عقبة من قبيلة أولاد صولة.
- ✓ عائلة ابن حسين (عائلة ابن ناصر) في خنقة سيدي ناجي والزريبة.

([1])- دونوفو: **الإخوان**، مرجع سابق، ص 24.
([2])- صالح فركوس: **إدارة المكاتب العربية في ضوء الشرق**، مرجع سابق، ص 74.
([3])- المرجع نفسه ، ص 79.
([4])- نفسه، ص 83.
([5])- نفسه، ص 84.
([6])- نفسه: ص 87.
([7])- نفسه، ص 64.
([8])- نفسه: ص 67.
([9])- عمار يزلي: **مظاهر الصراع الثقافي والسياسي تحت الاحتلال**، محاضرة ألقيت بجامعة وهران.(أنترنيت بدون تاريخ)ص 2 .

ومهمتها تطبيق الأوامر الصادرة من المكاتب العربية ومراقبة تحركات السكان واستخلاص الضرائب[1]، وعينت قيادا على سكان الأوراس بتاريخ 1870 وشيخا على رأس كل عرش ليكون واسطة بينهم وبين السكان ويكمن دورهم بإبلاغ القياد عن كل التحركات بالعرش.
إن عمليات المسح والإحصائيات التي قامت بها السلطات الفرنسية عن طريق المكاتب العربية حول الطرق الصوفية على مستوى الأرقام لعدد الأتباع تبدو تقريبية نظرا لصعوبة الحصر، لأن العدد غير منتظم ومتأثر بالعوامل الطبيعية التي تتميز بها المنطقة فقد حدد لويس رين في كتابة الإخوان المرابطين 1884 عدد سكان باتنة المدينة بـ 2394 ومجموع مريدي الطرق (قادرية وتيجانية ورحمانية) هو 93 مريد ، أما بسكرة المدينة فعدد سكانها 6723 ومجموع المريدين 967 منهم 740 تابعين للرحمانية و 150 للتجانية وفي مدينة نقاوس (وأولاد سلطان عددهم 20816 والمريدين 2393 منهم 2371 رحمانيا أما باتنة كبلدية مختلطة سكانها 16894 ومجموع مريديها 826 منهم 780 رحمانيا، أما خنشلة فسكانها 633 15 ومجموع مريديها 449 منهم 150 رحمانيا)[2]، ولكن رغم التحفضات التي نراها على هذه الأرقام فإنها تعطينا فكرة عن ذلك الواقع المعقد الذي كانت تعيشه المنطقة وصعوبة الاختراق وطول المدة للسيطرة عليها من طرف فرنسا[3].

(1)- جمعية أول نوفمبر:**تاريخ الاوراس ونظام التركيبة**، مرجع سابق، ص 224.

(2)- LOUIS RINN- **Marabouts et khouans**, opcit, pp 1433-435

(3)- أما إحصاء لويس رين للمناطق العسكرية فنجده قد اختلف بعد ثورة 1879 – فدائرة باتنة مجموع مريديها قدر بـ 3055 منهم 1563 قادريين و 1099 رحمانيين أما بسكرة العسكرية فمجموع مريديها هو 18254 منهم 13870 رحمانيين و 2380 تيجانيين و 1620 قادريين، أنظر لويس رين في كتابة (**Marabouts et Khouans**)، ص 539.

المبحث الثالث: محاولات التنصير والتبشير:

إن الاتفاق المبرم بين الحكومة الجزائرية وفرنسا في 04 جويلية 1830 تعهدت فيه هذه الأخيرة باحترام الدين الإسلامي وأوقافه وممتلكات الجزائريين وحريتهم الدينية، إلا أنها نقضت عهدها مباشرة بعد إصدار قانون 7 ديسمبر 1830 القاضي بضم الأملاك الدينية (أوقاف مكة والمدينة والمساجد والزوايا) إلى مصلحة أملاك الدولة، فكان لذلك ضربة للدين والثقافة الإسلامية[1]، لماله من انعكاسات وآثار على الحياة الدينية والاجتماعية للسكان لأنها الممول الرئيسي للمؤسسات الدينية خاصة الزوايا، ولذا سعت فرنسا بكل الوسائل للقضاء على روح الأمة المتمثل في الدين الإسلامي، فمغامرة الاحتلال لا تنجح إلا إذا استطاعت أن تنفذ إلى أعماق الأمة الجزائرية قصد تشكيكها في دينها وتاريخها[2]، وتحقيقا لأهدافها من الغزو التي مفادها إنقاذ المسيحية والمسيحيين من أيدي (القراصنة) الجزائريين حسب تعبيرهم [3]، اعتبرت فرنسا نفسها حامية الكنيسة الكاثولوكية، نظرا للدور الذي لعبه رجال الدين في الحملة إذ شجعوا شارل العاشر على الغزو وبعث كيان المسيحية في إفريقيا، ولذا استولوا على كل الأملاك الدينية وحولوها إلى كنائس وثكنات، وهو الأمر الذي لم يقبله الجزائريين لأن الهدف منه هو خلق جو جديد يساعد على التبشير وأحسن مثالا على ذلك ما صنعته بمسجد كتشاوة عند ما حولته إلى كنيسة القديس فيليب، ومن ثم الانطلاق في نشر الدعاية المسيحية في الجزائر.

والأوراس لم تكن بمنأى عن هذه الحملة ، فقد صاحب التبشير الديني الحملات العسكرية وكانت البعثات التبشيرية تقيم مراكزها في المناطق المحتلة وتنشط مستغلة وسائل الترغيب لحمل السكان على تغيير دينهم خاصة وأن الكثير منهم قد أصبح فقيرا أو يتيما أو جائع أو مريض يحتاج إلى علاج ودواء وخاصة في سنوات 67-68 -1869 وهي سنوات الجفاف التي استغلها الكاردينال لا فيجري[4] وجماعته الآباء البيض، وأسس مراكز للتبشير ودور للأيتام والأرامل مثل مأوى الأرامل بوادي سوف وأراد أن يحولها إلى قرية مسيحية[5].

ثم إقامة المؤسسات الصحية ومن ذلك تم إنشاء مستشفى لافيجري في مدينة بسكرة وفتح أبوابه للتطبيب كما أنشأ ملعب رياضي في نفس المدينة[6]، وكانت حجة الكاردينال (أن هؤلاء الأيتام بقوا بدون أباء وأمهات معرضين للموت في كل وقت وجزاء الكنيسة عندما تأويهم هو أن تنصرهم وتحولهم عن عقيدة آبائهم الإسلامية) [7]، وهدفه الأساسي هومحاربة اللغة العربية والإسلام وإعادة الجزائر إلى أصلها الروماني كما يدعى المؤرخون والأثريون الأروبيون وخاصة الفرنسيون، وأتخذ من الجزائر بوابة للتبشير في إفريقيا وشكلت الأوراس

([1])- خديجة بقطاش: **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر، 1830- 1871** حسين داي، الجزائر، 1992، ص 23.

([2])- صالح فركوس: **نحو تأصيل إسلامي لتاريخ الجزائر،** أصالة وتغريب، مشروع فرنسا الصليبية والمجابهة الإسلامية، دار الكوثر للنشر، الجزائر، ب- ت- ط، ص 55.

([3])- خديجة بقطاش: **المرجع السابق،** ص 17.

([4])- **الكاردينال لا فيجري** 1825، 1883، اسمه الكامل شارل انطوان مارسيل لا فيجري ولد بمدينة وير وتربى تربية دينية، درس اللاهوت في الصربون، اشتغل مدير الجمعية الدينية المسيحية لنشر المسيحية في الشرق العربي ثم رئيس أساقفة الجزائر سنة 1867.

([5])- علي أجقو: **الكاردينال لافيجري ودوره** في محاولة تنصير الجزائريين، مجلة الطالب عدد 1، جامعة قسنطينة، 1983، ص 16.

([6])- المرجع نفسه ، ص 15.

([7])- بسام العسيلي: **محمد المقراني وثورة 1871،** ط2، دار النقاش بيروت،ب ت ط، ص 201 .

جسر العبور نحو الصحراء، حيث أسس مراكز للتبشير والتنصير في منتصف الطرق الموصلة والتي تربط المدن على نمط الزوايا الإسلامية لإغراء المسلمين وتنصيرهم كما كان ذلك في مدينة بسكرة، و الربط بين جبال الأوراس وبحيرات شط العرب وأطلق عليها اسم (بيت الله) وفرض على المبشرين أن يلبسوا لباس رواد الصحراء تشبيها باللباس الإسلامي، وأنشأ في شهر سبتمبر 1869 فرقة الأخوات البيض التي حملها مسؤولية التبشير في الوسط النسائي عن طريق التطبيب والتعليم والخدمات الخيرية الاجتماعية [1]، وركز على ثلاثة قواعد يلتزم بها المبشرون والمبشرات وهي الصبر والمحبة والتكتل واستغلال مأساة الجزائريين وكانت هذه المؤسسات تعمل بوحي من تصريح الكردينال لافجري (علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا لدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل) [2]، وأشار على أعضاء الفرقة الجديدة من المبشرين أن يتقربوا من الأهالي باتخاذ عادتهم وطرق معيشتهم في لبساهم ولغتهم[3]، والسعي إلى التأثير على المشايخ والمرابطين قصد استعمالهم في مشروع إعادة تشكيل البنية الذهنية بدءا من قبول الأمر الواقع، ثم محاولة المسخ الثقافي وانتهاء بمشروع (النسخ الهواياتي) [4]، ولذلك عملت فرنسا على إصدار مجموعة من القوانين[5] تخص القضاء الإسلامي بتحريفه واستبداله بالقضاء الفرنسي[6].
وحسب رأي دوقيدون (إن العدالة تدخل في إطار السيادة، وعلى القاضي المسلم الانحناء أمام القاضي الفرنسي، وعلى كل واحد أن يفهم أننا الغالبون) [7]، وقد كانت أحكام القضاء الفرنسي قاسية جدا كما رأينا في نتائج ثورات الأوراس خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين والتي انتهت كلها بالسجن المؤبد والإعدام والنفي والهدم والحرق والغرامات...
ومن المحاولات البارزة للمبشرين هي جماعة الأباء البيض التي نزلت بمنطقة أريس وتمركزت فيها وشيدت مقرا لها يحتوي على بيت وكنيسة وقسم للتعليم، و استولت على ضيعات بمنطقة لمدينة سنة 1879 م بعد ثورة ابن جار الله ومازالت تعرف إلى الآن بضيعة المرابو، إلا أنهم لم ينجحوا في مهمتهم واضطروا إلى الانسحاب من المنطقة سنة 1918 بعد الهجومات التي كان يقوم بها مسعود بن زلماط وبومصران وتم بيع هذه الضيعة بالمزاد العلني سنة 1928م [8].
إن تربية الأوراسي ودور الزوايا والكتاتيب والمساجد كانت الحصن المنيع أمام سياسة التبشير ومحاولة المسخ والتشويه للثقافة العربية الإسلامية التي تأصلت في أعماق سكان الأوراس، وفشلت عندهم كل تصريحات القادة الفرنسيين إبان الاحتلال بأنهم يقودون حملة صليبية تهدف إلى القضاء على الدين الإسلامي في هذه الأرض، ومقولة سكرتير بيجو الذي

([1])- محمد الطاهر عزوي: **الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي**، دار الهدى، عين مليلة 1999، ص 88.
([2])- أحمد الخطيب: **جمعية العلماء وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، مرجع سابق، ص 55.
([3])- خديجة بقطاش **: الحركة التبشيرية، الفرنسية في الجزائر**، مرجع سابق، ص 129.
([4])- عمار يزلي: **محاضرة بعنوان مظاهر الصراع الثقافي السياسي**، مرجع سابق. ص 3 .
([5])- أهمها: قانون أكتوبر 1854 الذي يأمر بتكييف القضاء الإسلامي تدريجيا، وقرار 31 ديسمبر 1859 الذي يخضع القضاء الإسلامي إلى التشريع النابليوني، ومرسوم 13 ديسمبر 1866 الذي يفرض على المسلمين حق التقاضي لدى قضاة الصلح الفرنسين.
([6])- صالح فركوس: **نحو تأصيل إسلامي**، مرجع سابق، ص 66.
([7])- شهرزاد شلبي: **ثورة واحة العمري**،مرجع سابق، ص 166.
([8])- جمعية أول نوفمبر**: تاريخ الأوراس ونظام التركيبة**، مرجع سابق، ص 271.

يدعى - فوبو- (أن آخر أيام الإسلام قد دنت وفي خلال 20 عام لن يكون للجزائر إله غير المسيح أما العرب فلن يكونوا ملكا لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا) [1].

المبحث الرابع: سياسة الترغيب والترهيب والاحتواء لمشايخ الطرق الصوفية

إن المتأمل في العلاقة بين الطرق الصوفية والاستعمار في منطقة الأوراس وتعاملها معه سلبا أو إيجابا لا يستطيع أن يجد مبررات لذلك إلا في السياسة التي طبقتها، ذلك أن هذه السياسة قد حددت إلى حد ما مواقف عدة طرق بالمنطقة والتي استخدمت فيها فرنسا الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، لأن صمود بعض الطرق والزوايا خلال ثورات القرن 19جعلها تتوجس خيفة من استمرارها رغم مهادنة البعض منها وحياد الأخرى، وتكريس البعض منها نفوذها الروحي لخدمة فرنسا، والبعض وقف ضدها، وقبل الخوض في هذا الاتجاه نجد أن السياسة الاحتوائية جاءت بعد الدراسات المعمقة التي قامت بها دولة الاحتلال في الجزائر، كانت أولها التي قام بها النقيب إدوارد دونوفو[2] (Edward de neuveu) سنة1845 بعنوان الإخوان(Khouan)وهي دراسة ميدانية للجماعات الدينية في الجزائر والهدف منها كما يقول في مؤلفه (إن الغرض من التعريف بالطرق الصوفية هو الكشف عن الجماعات التي تثير يقظتنا، كل فرقة هي بمثابة قوة محركة من يعرف توجيهها تكون مثل السلاح الفتاك الذي مكننا من تحقيق مشاريعنا الاستعمارية... [3])، وقد أعطى الحلول الممكنة للسيطرة عليها ومما نلاحظه من هذه الدراسة أن دونوفو الذي اشتغل كرئيس المكتب العربي بباتنة سنة 1847 كان يدعو إلى استمالة هذه الجماعات وتوجيهها لخدمة السياسة الفرنسية، تلي هذه الدراسة تقرير عام عن الطرق الصوفية في الجزائر من طرف الحكومة العامة سنة1851 وقد خصص جزء من هذا التقرير لأهم الزوايا المنتشرة في الأوراس وعدد أتباعها ومقدميها في باتنة وعين توتة وبريكة وبسكرة وأولاد جلال من الصفحة 50 إلى 58، ثم جاءت الدراسة التي قام بها لويس رين(Louis Rinn) بعنوان المرابطين والإخوان سنة 1884، وهي دراسة عن الإسلام في الجزائر حلل فيها أهم الطرق الصوفية ودورها السياسي، ثم الدراسة المفصلة للباحثان الفرنسيان ديبون وكوبولاني بعنوان الطرق الصوفية الإسلامية في كتاب صدر سنة1897 تضمن 567 صفحة، وألحقاها بالعديد من الخرائط والصور التوضيحية، وهي دراسة عميقة وموسعة لكل ما يتعلق بالطرق الصوفية في الجزائر، والتي أنهيت ببناء إستراتجية مستقبلية للاستعمار، اعتمدت على خطة الاحتواء المزدوج بالترغيب والترهيب بعد دراسة نقاط القوة والضعف، وغيرها من التقارير التي كان يقدمها رؤساء المكاتب العربية للحكام الفرنسيين.

لعل هذه الدراسات أعطت لفرنسا بعض الحقائق واستلهمت منها التوجيهات والاستراتيجيات التي ستطبقها على الجزائر عموما ومنطقة الأوراس خصوصا، فاستخدمت لذلك عدة وسائل كان أهمها سياسة الاحتواء عن طريق استمالة الطرق الصوفية و تدجينها وزرع الخلاف بينها والضغط على رجال الدين معتمدين على نفوذ العائلات الكبرى، ولا

([1])- يسلي مقران/:**الحركة الدينية والإصلاحية في القبائل**، مرجع سابق، ص 108 .

([2]) **إدوارد دونوفو(1809-1871)** ولد بمنطقة بصفاني سورهاي بفرنسا، خريج المدرسة العسكرية تعلم اللغة العربية، كلف بمهام رئيس المكتب العربي بباتنة سنة1847 ثم رئيس المكتب العربي بقسنطينة 1858، ثم رتبة مقدم سنة1854 وعقيد سنة 1855 ولواء 1864 ثم أشرف على تسيير مقاطعة الجزائر سنة 1870ليتوفى بعدها في17-02-1871، انظر كتاب **الإخوان** ترجمة كمال فيلالي ص ص.14.13.

([3]): دونوفو: **الإخوان** ، مرجع سابق ، ص 106.

أدل على ذلك الرسائل التي أرسلها العقيد ديفو[1] الحاكم العام لباتنة 1852-1855إلى الشخصيات الفاعلة في أعراش المنطقة منها رسالة إلى الصادق بلحاج شيخ زاوية تبرماسين بتاريخ 13 أكتوبر 1858 أي قبل بداية ثورته يدعوه الى التعامل مع فرنسا مثل بعض شيوخ الزوايا الذين تحولوا إلى أصدقاء وأحباب [2] حسب وجهة نظره، مقابل الحماية من طرف فرنسا، ثم رسالة موجهة إلى كافة أعراش الأوراس[*] **(أنظر الملحق رقم09)** بنفس التاريخ تقريبا بين لهم فيها فضائل فرنسا عليهم والمتمثلة في المشاريع ذات المنفعة العامة ويحرضهم ضد قائد الثورة الصادق بلحاج وينعته بالكذب والمروق والخروج عن تعاليم الدين حسب وجهة نظره، ومن خلال هاتين الرسالتين نلاحظ التناقض الموجود بينهما فالأولى الموجهة لقائد الثورة تدعوه إلى السلم والأمن و الرضوخ لفرنسا والثانية يحرض فيها أعراش الأوراس ضده، ومن هنا نجده يحاول استخدام أعيان البلاد«شيوخها»بدل أعوان المعمرين والضباط الفرنسيين لضرب المقاومة، ثم راهنت فرنسا على الاختلاف الطرقي من أجل تفتيتها وإذكاء نار الفتنة بينها مثل القطيعة التي حدثت بين شيخ زاوية طولقة والمقدمين بوزيان سي عبد الحفيظ من خنقة سيدي ناجي وسي الصادق بلحاج من أولاد أيوب سنة 1848 فاستغلت فرنسا تلك القطيعة بغية تحويلها إلى مشاحنة دائمة بين الزوايا الأساسية في المنطقة(طولقة، أولاد جلال، سيدي ناجي، سيدي مصمودي) [3] ثم الانتقال إلى تشجيع الصراع بين العائلتين الكبرتين في الصحراء وهما عائلة بوعكاز وبن قانة، فالأولى استمالت إلى زاوية طولقة الرحمانية مما جعل أتباع هذه الزاوية في الأوراس يساندونها أما الثانية فاستمالت إليها زاوية تيماسين التيجانية[4] واستغلت فرنسا هذا التناحر بين العائلتين لخدمة أغراضها وتوسعها في الصحراء، ولقد تعرض الكثير من شيوخ زوايا الأوراس وخصوصا المخلصين منهم إلى بطش السلطات الاستعمارية تعذيبا ونفيا، وبهذا عملت على تعطيل عمل الزوايا ووجهتها غير الوجهة التي كانت تستعمل فيها في الماضي [5] وأحكمت عليها السيطرة والقبضة الحديدية حتى لاتبقى مراكز إشعاع وجمع لشمل الأمة وتوجيه لها، ودافعة للجهاد وذلك وفق سياسة ترمي إلى قهر رجال الدين الذين يرفضون التعامل معها ولا يلتزمون الصمت، والإساءة إلى البعض منهم بواسطة التعويضات المالية ووضعوا المؤسسات الدينية تحت الرقابة مع الحرص على استبدالها بالمدارس الفرنسية[6]، ولجأت في

([1])- اسمه الكامل **نيكولا جيل توسا**(Nicolas gilles toussaint) ولد سنة 1810 بباريس انخرط في الحياة العسكرية وعمره 19 سنة تقلد عدة رتب منها ملازم ونقيب وعقيد 1851 وجنرال 1859 اشتغل حاكم عام بباتنة (52-1855) وفي مدينة قسنطينة (1859-1864)، ثم قائد الأركان ونائب الحاكم العام منذ 1865، قام بعدة حملات عسكرية منها حملة الأوراس، يجيد اللغة العربية كتب مذكراته في21 جزء خص الجزء 4 و8 لقطاع الشرق الجزائري وحكمه لمنطقة باتنة وحملاته العسكرية على الأوراس خاصة عام 1859. انظر عميراوي حميدة/ **من تاريخ الجزائر الحديث** ص ص99، 100.

([2])– عميراوي احميدة : **من تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ص 107.

(*) يتبين من خلال كلمة كافة الأعراش، أن انتفاضة الصادق بلحاج كانت واسعة بلغت الأوراس والصحراء ومست40عرش، والدليل على ذلك الرسائل الكثيرة التي وجهت الى قائد كل عرش بما فيها أعراش الحضنة ووادي سوف ونذكر منهم (عرش التوابة، أولاد عيدي، بني بوسليمان، السراحنة الشرفاء، أولاد أيوب، الأعشاش، أولاد علوي...الرسائل موجودة بإشارات في كتاب عميراوي أحميدة ، **من تاريخ الجزائر الحديث**، ص ص 106-109)

(3)-عبد الحميد زوزو:**الأوراس ابان فترة الاستعمار**،مرجع سابق،ص356.

([4])– يحي بوعزيز: **ثورات القرن19**ج1 ، ص ص 216-217

(5)- أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية** (1900-1930)ج 2 ،مرجع سابق، ص 63.

.

([1]) عبد الحميد زوزو: **الاوراس ابان فترة الاستعمار**، مرجع سابق، ص 357.

إسناد إدارة هذه المؤسسات إلى الأفراد الذين يظهرون الولاء والطاعة مثلما قال مدير مكتب الشؤون الإسلامية في الجزائر(لقد أذللنا الدين الإسلامي، وبلغ الأمر أن لا يعين إمام وفقيه إلا إذا شارك في أعمال الجاسوسية الإفرنسية ثم عليه كي يرتقي في الدرجة أن يثبت قدرا كبيرا من الحماسة والإخلاص) [1].

وتحقيقا لذلك خصتهم بعدة امتيازات كالإعفاء من الضرائب وتقديم الإعانات والتسهيلات وبها استطاعت أن تحقق بعض الأهداف في مدة وجيزة وبأقل التكاليف باستغلالها بعض أصحاب الطرق والزوايا والمقدمين وتكليفهم بمهمة إدخال محبة فرنسا إلى القلوب واحترام السلطة وتأليبهم ضد الحركات الوطنية، لأن المهم في دراسة شبكة الزوايا وتداولها على المقاومة في الأوراس الهدف منه هو اكتشاف نوعية العلاقات التي تربطها وكيفية الاتصال فيما بينها، والتعرف على وتيرة الانتفاضات التي قدرها خبراء هيئة الأركان بانتفاضة في كل عشرة سنوات وقد أرجعوها إلى ما سموه بنظرية التمرد(Théorie de la Révolte) وغريزة العنف الموجود في أصل التكوين الجيني للأهالي [2]، لكن الحقيقة هي أن رجل الجبال العالية[3]و الصحراء الشاسعة بطبعه ميالا للحرية ولا يقبل القيد، فثوراته هي رد فعل ودفاع عن النفس، لذا سارعت فرنسا إلى شل الدور الأساسي للزوايا وتحطيم بنيتها والكثير من هياكلها (الزعاطشة1849، تيبرماسين1859)،لأنها حسب دونوفو هي مراكز للتآمر وإشعال نار التمرد وهي معادية للوجود الفرنسي وتحضى بكثير من الاحترام بين الأهالي، ودعت أعراش الأوراس إلى التعقل والتدبر مع رجال الدين والمرابطين ففي نص الرسالة التي أرسلها قائد المكتب العربي بباتنة دونوفو الى الأعراش جاء فيها(لابد أن تقادروا أحبابكم المرابطين الذين يسعون إلى العافية، وأما الذين يدبرون عليكم بالدبابر الفاسدة ويحرضونكم على شراء البارود والسلاح فاجتنبوا منهم، لأن مراد المذكورين خرابكم وجلب الهموم عليكم ولا يخفاكم بأن لا يقدر أحد يعاند الدولة العلية الفرنسية...) [4].
ولذا نجد الزوايا الحليفة لفرنسا قد توسعت وطورت نشاطها[5] وأصبحت بعد ذلك أداة في يد فرنسا التي زادت في إذكاء نار العداء والتنافر بين المشايخ وأتباع الطرق لإضعاف الغير الموالية والدخول في مرحلة تدجين كل الزوايا خاصة بعد القضاء على ثورة جار الله سنة 1879.
يمكن اعتبار سنة1882 بداية مرحلة جديدة في تاريخ الزوايا بالأوراس بعد أن تلاشى العديد منها أو توقف نشاطها نتيجة الحرق(زاوية سيدي المصمودي وزاوية مول القرقور1864) وإغلاق زاوية مدرومة سنة 1880، وحتى وإن عاد نشاط هذه الزوايا وضعت تحت الرقابة الصارمة، خاصة بعد ان تمكن الرائد لويس رين من وضع خريطة للزوايا في عموم القطر سنة1884 لتسخدمها مكاتب الشؤون الأهلية و قيادات الجيش والمجندون من أجل الرقابة

---

(2)- http //.almahdy.net.vp/ show thread.php.?t= 5771p:05.

([2])- محمد العربي: **مؤسسة الزاوية** ، مجلة الملتقى I وII، مرجع سابق، ص 59.
([3])-التكوين النفسي للأوراسي هو انعكاس صادق للبيئة الطبيعية التي تتميز بالتباين التضاريسي والتداخل المناخي نتيجة التصدعات والإلتواءات التي خلقت أرضية وعرة المنحدرات والفجاج العميقة والمرتفعات العالية (جبل شيليا وفج تيغانمين)، إذ نجد عند الأوراسي صفاء السريرة وصراحة القول وصدق الكلمة بالقدر الذي نلمس فيه وعورة الإنصياغ بالقوة وصعوبة الانقياد وبالجبر ويضيق بظلم الإنسان وقيوده وتسلطه،هذا ما بين لنا اندفاعاته وانتفاضاته بشكل تلقائي و بدون حسابات للعواقب في أغلب الأحيان .انظر كتاب زوزو/ **ثورة 1879**ص ص28-29.
([4])-عميراوي احميدة: **من تاريخ الجزائر الحديث**، مرجع سابق،ص 113.
([5])-عبد الحميد زوزو: المرجع السابق ص 360.

والجوسسة وتدجين هذه التنظيمات[1]واشعال نار الفرقة والتنافس بين هذه الزوايا كالصراع بين الزاوية الناصرية التابعة لعرش أولاد ناصر وزاوية تبر ماسين بجبل احمر خدو وبين الزاوية الدردورية وزاوية أولاد بن عباس في منعة[2] ثم قدمت يد المساعدة للزوايا التي تخدم الإدارة الفرنسية مثل إعادة بناء قبة سيدي يحي بعين التوتة سنة 1895 ورممت مسجد سبع رقود بنقاوس[3].
وعملت كذلك على تغيير وجهة ودور الزوايا والمؤسسات الدينية فكانت البداية محاولتها إبقاء كلمة المقاومة (Résistance) بدل كلمة الحرب أو الجهاد، فهي لا تعترف بما فعله الجزائريين ولا تقر بذلك بل تستعمل كلمات (المتمردون وقطاع الطرق والخارجون عن القانون والمارقون...) لأن الإقرار بالحرب الشعبية مبني أساسا على الاعتراف بوجود دولة تسمى الجزائر، واعتبرت الجزائريين أمة همجية وهبتها الطبيعة للإنسان الأوروبي المميز لخدمته كما يقول أرنست رينان في كتابه intelectuelle reforme et normale de la) (france بقوله (الاستعمار إنه ضرورة سياسية بالدرجة الأولى ... إن غزو بلد من عرق أدنى من قبل بلد من عرق أعلى لا يدعو إلى الاستهجان...وعندما يكون الأمر بين الأعراق المتساوية فذلك يدعو إلى الاستنكار...)[4] ثم بدأت تشترط في تدريس العلوم الدينية تدريس القرآن دون شرحه ليصبح التلاميذ ينطقون مالا يفهمون، ولقد بجلت فرنسا هذا النوع من الشيوخ الذين ترضى عنهم ومنحتهم الهبات والهدايا[5]، فكون كل شيخ حزب من الأتباع يأخذ عليهم ميثاقا ليطيعوه ويعملوا بأمره ويعتبرون من رعيته ومن هنا جاءت الطاعة للشيخ، وهكذا بدأت تنتشر في بعض الزوايا البدع والخرافات التي نشرها الراهب شارل دوفوكو[6] الذي جعل لكل قرية ولي صالح يحتفلون به وتذبح له القرابين وتوجه له الدعوات في كل الشمال الإفريقي[7] فانتشرت بذلك في ربوع الأوراس عادات وتقاليد جديدة كإقامة الولائم (الوعدة،الزردة) يلتقي فيها أتباع الشيخ وجموع السكان ويطلبون من الشيخ أو الوالي الرضا والبركة والشفاء من المرض ويرزق العاقر ويعيد الغائب وقد شجعت فرنسا الزردة السنوية كالتي تقام في سيدي يحي يحضرها رئيس الإدارة ببلدية عين التوتة والهدف هو استدامة هذه العادة بالممارسة الوثنية أكثر من الشعائر الدينية[8].
إن هزيمة سنة1871وفشل ثورة 1879بالأوراس وما نجم عنها من دمار وخراب و تقتيل ونفي ومصادرة الأراضي وغرامات فادحة قد قصم ظهر مؤسسة الزاوية، وقصمها كان بمثابة الضربة الموجعة التي زلزلت حياة الناس، وبقيت الزوايا تؤدي نشاطها بحذر شديد بعدما منعت من تدريس التاريخ وباب الجهاد في الفقه، وبهذه الطريقة اندثرت الزوايا بعد أن حالفت الوضع القائم ولم تعد قبيل الحرب العالمية Iمرتبطة بالطريقة الرحمانية الكبرى مثلما كانت في بداية الاحتلال وأصبحت بأسماء العائلات والتي سعى الكثير منها إلى الولاء لفرنسا.

([1])- محمد العربي : **مؤسسة الزاوية** ، مجلة الملتقى I وII ،المرجع السابق، ص61.
([2])- عبد الحميد زوزو**: الأوراس ابان فترة، مرجع سابق،** ص 362.
([3])- المرجع نفسه، ص 362.
([4])- عبد القادر بوعرفة : **جهاد شعبي أم مقاومة**. مجلة أعمال الملتقىII.I، مرجع سابق ، ص 92.
([5])- عمار قليل : **ملحمة الجزائر الجديدة**،ج1،ط1،دار البعث ، قسنطينة ص136.
([6])- شارل دوفوكو من مواليد 1858تربى في عائلة أرستوقراطية تربية مسيحية ، تعمق في سر الكهنوت المقدس، زار واحة بن عباس في الصحراء الجزائرية، عام 1901، ثم اتجه نحو منطقة الهوقار وقضى بها 11سنة بمنطقة تمنراست.
([7])- http://almahdy.**opci**t.p05.
([8]) عبد الحميد زوزو: **المرجع السابق،** ص 365.

ومما سبق نستنتج أن فرنسا استطاعت بسياسة القضم والهضم أن تدجن الزوايا وتجعلها سلاحا يقف بجانبها ظاهريا أو باطنيا، عن قصد أو غير قصد فتراجعت بذلك الروح الجهادية القتالية والتي مهدت للنزعة التواكلية الانهزامية وأضحى الجهاد الأكبر (جهاد النفس) هو موضوع الزوايا ينبغي للذات الأخذ بأسبابه بينما الجهاد الأصغر أصبح مهمشا غير مرغوب فيه، وحسب وجهة البعض منهم فرنسا لعنة صبها الله بغضب منه على أرض الجزائر وأهلها، وعلى المسلم أن يركن للعبادة وإصلاح النفس ويسلم مصيره للقدر المحتوم والمشيئة المسطرة لأن فرنسا جاءت بقضاء وقدر وسوف تغادر الجزائر بقضاء وقدر آخر [1] وبهذا نجحت فرنسا في إدخال السكون للمنطقة ولو لحين، وفتح باب جديد للعلماء المصلحين الذين سيعملون على إعادة البعث من جديد وكشف السياسة الفرنسية التي سعت إلى الفرنسة، التنصير والإدماج.

([1])- عبد القادر بوعرفة : **جهاد شعبي أم مقاومة**،أعمال الملتقىII.I، مرجع سابق، ص 110.

الفصــــل السادس

الطرق الصوفية وبوادر حركة الإصلاح في الأوراس 1816-1931

المبحث الأول : فشل الطرق الصوفية في تجنيد سكان الأوراس خلال الحرب العالمية الأولى

المبحث الثاني : ظهور بوادر الإصلاح في الأوراس وصراعه مع الطرق الصوفية

الفصل السادس: الطرق الصوفية وبوادر حركة الإصلاح في ا لأوراس. 1931-1916

المبحث الأول: فشل الطرق الصوفية في تجنيد السكان في الحرب العالمية الأولى في الأوراس

قبل الخوض في هذا الفصل الخاص بمنطقة الأوراس في الفترة المذكورة أي من ثورة الأوراس 1916 إلى غاية ظهور جمعية العلماء المسلمين 1931، وجب علينا أن نقف على الوضع العام للمنطقة بعد ثورة سنة 1879، والذي يمكن وصفه بأخطر مرحلة مرت بها الأوراس، بدايتها فشل الثورات التي قامت فيها وأصبح الشعب جثة بلا روح، ذلك أن الأوضاع العامة تعكس الصورة الحقيقية لهذا المجتمع، فالمنطقة تعرضت للخراب والحرق والقهر والعقوبات المتتالية، من مصادرة الأراضي وتفكيك للبنية الاجتماعية عن طريق تقسيم الأعراش والقبائل إلى وحدات إدارية متنافرة، والأسر الكبيرة المتعاطفة إلى أسر فردية متناحرة[1] ونقل السكان من مناطقهم الأصلية إلى مناطق بعيدة عقوبة أو هجرة أو هروبا، والقضاء على كل ما هو تعليم تقليدي، وفتح المجال لفئة قليلة للدخول إلى مدارس المعمرين الحديثة، تلاه ركود رجال الطرق الصوفية وانزوائها أو السير وفق الإرادة الفرنسية ثم القوانين الجائرة المطبقة(كقانون الأهالي، وقانون التجنيد الإجباري 1912) الذي دفع معظم سكان الأوراس إما للهجرة أو الالتحاق بالجبال ومقارعة الاستعمار وأذنابه. وعموما فالمنطقة عاشت فترة نستطيع تسميتها بالاستقرار والركود الثقافي، هذه الأوضاع ناتجة أساسا عن مخلفات عقود طويلة من السنين أوجدت مناخا للغزو الحضاري الشرس الذي يريد الإجهار على المنطقة ومحوها من الوجود باستعماره الاستيطاني، ففي فترة الحرب العالمية الأولى (**1914-1918**) بدا جليا أن الحركة المرابطية وكأنها محكوم عليها بالعزلة،لا على الصعيد السياسي فحسب بل أيضا على الصعيد الاجتماعي، وإذا كانت هذه العزلة مصدر قوتهم وسبب وجودهم و قوتهم المعنوية، أصبحت اليوم عقبة لأنهم بعيدين عن المدينة وافتقارهم للمعلومات الكافية حول الوقائع السياسية والاجتماعية الجديدة[2]، وإذا كان التصوف في منطقة الأوراس خلال القرن **19**، نسميه حسب رأينا بتصوف الجهاد، فإن الثلث الأول من القرن **20** ظهرت بمنطقة الأوراس ثلة صغيرة من علماء الإصلاح معظمهم من طلبة الأزهر حاولوا أن يقدموا للمنطقة آرائهم الإصلاحية بعيدا عن الصوفية، فحسب الشيخ ابن باديس فإن الناس قبل نجاح الحركة الإصلاحية كانوا يضنون أن الإسلام إلا ما تصوّرته الطرق الصوفية، ومما زاد في ترويج هذه الفكرة ما رأوه من مسلك بعض علماء الدين ضيّقي الأفق الذين ساندوا وأيّدوا بعض الشيوخ المنحرفين عن التصوّف الحقيقي الذي كانت عليه خلال القرن **19**، ولذا برزت صعوبة في تقبل أفكار الإصلاحيين لدى سكان الأوراس لأنه ليس من السهل هدم ما بناه رجال الزوايا التي رسخت في النفوس، والحق أن الاستعمار قد أخذ على غرة الوضع المتدهور في المنطقة حيث لم يجد رجال الدين وأصحاب الزوايا طريقة أخرى أمام الوسائل القمعية لفرنسا سوى الاستكانة والانغلاق والرضوخ، وقد تلقف المستعمر هذه الفترة وضرب لها الطبل واستدل بها على ضعاف العقول حين أوصاهم بالتمسك بهذا الاتجاه بتمويه وتضليل، فأصبح بوّابة لسيطرته.

([1])- خنوق علي: السلطة **في الأرياف الشمتلية لبايلك الشرق الجزائري،نهاية العهد العثماني** وبداية العهد الفرنسي مطبعة العناصر،الجزائر1999 ، ص 76.

([2])-علي مراد: **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925-1940**، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر2007، ص80.

مدافعا على هؤلاء الذين وقفوا بجانبه ووصفهم بأنهم فرنسيين مخلصين، فالكثير من الزوايا بعد موت مؤسّسيها الأبرار، انقلبت من معاهد علم وإرشاد إلى معاهد خرافات وأباطيل تستثمر غفلة العامة ماديا بواسطة الوعدة أو النذور وينفقونهم على ملاذهم..... وأصبح شيخ الطريقة أو المرابط في كثير من النواحي يتصف بأنه منبع كل خير ومصدر كل شر(1).

وقد ادعى الكثير منها تقديس الأولياء وتنسب لهم الكرامات الخارقة للعادة، فأصبح الناس يتّجهون إليهم في ابتهالا تهم وتضرعاتهم بالبخور والنذور والولائم(2)، نستنتج من كل هذا حالة الجمود لرجال الصوفية والانحطاط العام وخروج الكثير منهم عن الخط الذي رسمه مؤسسو تلك الطرق الأوائل، وهو التصوّف والرياضة الروحية ونشر الدعوة الإسلامية الخالصة من البدع والأضاليل فتولاها خلفاء لم يكن معظمهم على جانب من الاستقامة الخلقية ولا المعرفة المتعلقة بأصول الإسلام فخلطوا الأمور.

وقد ساعد هذا الانحدار العام على كثرة الجهل والأمية بين الناس، بعد أن قضت فرنسا على المراكز الحساسة في المجتمع والتي لم يمسّها هذا الانحدار، وحوّلت الطرق الصوفية إلى ألعوبة في يد الاستعمار يسخرها لخدمة أغراضه(3).

فقبل ظهور الأحزاب السياسية وجمعية العلماء كانت الطرق والإخوان تشكّل الصورة العكسية وجسّدت العنصر المضاد لهم بحيادية في بعض الأحيان، فبعض المرابطين تركتهم الإدارة الاستعمارية يربحون العلماء في الأوراس بصفة خاصة لأن تأثير الطرق بدأ ينقص في المدن(4)، فقد كان هدف فرنسا من وراء السيطرة ونشر الخرافات والشعوذة في أوساط الطرق الصوفية والفرق الدينية هو محاولة لإلهاء السكان عن مقاومتها ومحاربتها ورغم هذه السلبيات فإن سكان الأوراس ضلوا متأصلين بعقيدتهم الإسلامية(5)، ورغم أن هذه المؤسسات جردت من وظائفها التقليدية (التعليم، القضاء) ومن قبل المجتمع الحضري (العمل الخيري) و أعزلت من مواقعها بعيدا عن المحاور الحديثة للتواصل والمبادلات الاجتماعية، وتعرضها للهجومات القاسية من قبل المثقفين ذوي التكوين الفرنسي أو أصحاب النزعة الإصلاحية، فبعد الحرب العالمية الأولى أصبحت منذورة للتلاشي المادي والاستنزاف المعنوي البطيء(6)، ولذا جنح البعض منهم إلى الدجل والشعوذة كمكسب رزق وتقاعس أمام قدرة الترّسانة الكولونيالية في إنتاج تصوّف سلبي انخرط بشكل مباشر في المخطط الاستعماري القائم على فكرة الفصل بين ما هو ديني ومدني، فانخرطت بذلك الصوفية في السكونية القاتلة في المنطقة بعدما أن عاشت حركة جهادية طيلة ثمانين سنة(7).

---

(1) – أحمد توفيق المدني : **كتاب الجزائر**،مرجع سابق، ص 376.

(2)- أحمد الخطيب: **جمعية العلماء واثرها الإصلاحي في الجزائر**، مرجع سابق، ص 86.

(3)- رابح تركي**: الشيخ عبد الحميد بن باديس**، مرجع سابق، ص 124 .

(4)- Gouvernement général de l’Algérie ; **service de l’action administrative et économique** ; **opcit**, p19 .

(5)-يحيى بوعز:**موضوعات**، مرجع سابق، ص 437.

(6)- علي مراد: **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر**، مرجع سابق، ص 83.

(7)-عبد القادر بو عرفة: **جهاد شعبي أم مقاومة**، مجلة أعمال الملتقى 1-2، مرجع سابق، ص 111.

فالروح التحديثية استطاعت أن تتغلغل حتى في الزوايا المرابطية الأكثر نفورا من ضجيج الخارج، فقد طرقت الحضارة الغربية من حيث مظهرها الرفاهي أبواب الزوايا وأبناء المرابطين الأثرياء والعاطلين عن العمل في كثير من الأحيان على تمضية أوقات فراغهم في المدن بعيدا عن المراقبة، وامتصت الحضارة شيئا فشيئا طاقات الزوايا وأبعدت الكثير من الشباب المرابطي من أداء واجبه التقليدي[568]، ولذا فقد افتقدت منطقة الأوراس شخصية مرابطية تقودها خلال الفترة إلى تعزيز الحس الشعبي وتواجه المنحرفين منها وتخفف من آثار الدعاية الإصلاحية، وبذلك فقدت حركيتها الابتكارية خاصة وأن الأوراس قد عرف 1916 قيام ثورة شملت كافة المنطقة، فحاولت فرنسا استخدام القياد ورؤساء الأعراش ورجال الزوايا وعائلات الثائرين في عين التوتة وبلزمة وأوراس ولم تتمكن من الوصول إلى نتيجة، إنه الطلاق بين الشعب الأوراسي وهؤلاء، ومثال على ذلك الحفل الذي أشرف عليه رئيس زاوية سيدي يحيى وحضره رئيس الحوز في الأوراس محاولا استمالة المواطنين والأهالي وخاطب المريدين الحاضرين مترجيهم مساعدة الإدارة الفرنسية في القضاء على الثائرين[569]، ويرى عبد الحميد زوزو أن تأخر الأوراسيين في الإعلان على رفضهم وكرههم للخدمة العسكرية إلى غاية 1916 يعود إلى الدور الذي قام به رجال الدين، الذين اجتهدوا استجابة للأوامر التي كانت تصدر إليهم من طرف الإدارة الاستعمارية تنصحهم على الطاعة والرضوخ وقد حاولوا إقناع أتباعهم بضرورة الخدمة تحت الراية الفرنسية، وهذا يتنافى مع الدين الإسلامي[570]، أما نحن فنرى أن تأخر ظهور زعماء يقودون سكان الأوراس إلى غاية 1916 كان سببا آخر في خنوع السكان إلى رجال الدين وبعدما ظهرت شخصيات ثورة 1916، انتفض الكل معها.

ولم يلتحق بالخدمة العسكرية إلا قليل فمن بلدية (عين التوتة- عين لقصر- بلزمة) وهي المناطق التي شهدت الثورة، سوى 255 من أصل 464 مسجل[571]، وأصرت كافة الأعراش على عدم تسليم أبنائها بقولهم (يمكن لكم أن تضاعفوا الغرامات وتسلبوا أموالنا غير أننا لسنا مستعدين للتفريط في أولادنا) وهدا يعني أن عدم تسليم أولادهم هو في حد ذاته دفاعا عن التعاليم الدينية التي تحضر خدمة أمة النصارى وبالأخص أنها كانت تحارب ضد العثمانيين[572]، فلم يستجب السكان لرجال الزوايا بل استجابوا لما سموهم (أصحاب بارود) ولصوص الشرف[573]، لأنهم خلّصوا أبناء بلدتهم من سرايا فرنسا.

ولذا شهدت المنطقة في الفترة الممتدة من 1916-1920، القمع والتشريد والتخريب والتعذيب لكل المناطق والأعراش التي وقعت فيها الثورة، التي أعلن من خلالها الشعب الأوراسي التحرر من كل تبعية لشيوخ الزوايا، فأصواتهم التي كانت تدعو للطاعة لم تعد مسموعة من طرف أتباعهم، الأمر الذي دفع فرنسا إلى اتخاذ إجراءات صارمة في شأن الثوار خاصة (ابن زلماط وبو مصران) اللذين صدر في حقيهما حكم الإعدام من المحكمة الجنائية بباتنة يوم 20

([568])- علي مراد: **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر**، مرجع سابق، ص 83.

([569])- جمعية أول نوفمبر: **ثورة الأوراس1916**، مرجع سابق، ص612.

([570])- عبد الحميد زوزو: **الأوراس إبان الحكم الاستعماري** ج2، مرجع سابق، ص 09.

([571])- المرجع نفسه، ص 10.

([572])- نفسه، ص 11.

([573])- المقصود **بأصحاب البارود ولصوص الشرف؛** هم الثائرين في الأوراس (مسعود بن زلماط و بومصران، وفي بلزمة عمرو موسى عقيني، ومحمد فروح بن الطاهر، وشعبان في جبل بوعريف، وبن النوي في عين التوتة)، وهم الذين يأخذون الأموال من الأغنياء ويعطوها الفقراء، أنظر زوزو، **المرجع السابق**، ص12.

جويلية 1920، حيث استدعي عامل عمالة قسنطينة من طرف والي الجزائر لتدارس خطة القضاء على المتمردين، حسب وجهة نظرهم، وبعد إعداد الخطة انتقل عامل العمالة في 02 أوت 1920 إلى الأوراس وزار المناطق التي ينشط فيها هذين البطلين وخاصة (تكوت، مشونش والحمام) ودرسوا في عين المكان التدابير اللازمة والتي من بينها إشراك رجال الزوايا في هذه الحملة للقضاء على الثائرين[574].

وأحضرت ثلاث فيالق وزعتهم على 33 مركز وزادت في ميزانيتها، وسادت المنطقة الفوضى والنهب والسلب والوحشية من قبل الجيش الفرنسي وجنود السنغال، وفي نفس الوقت ضغطت على رجال الزوايا للتعاون مع فرنسا بعدما أن كانت تحت مراقبة شديدة خاصة زاوية بترماسين وخيران، إذ تم استدعاء شيخا الزاويتين إلى قسنطينة وضغط عليهما عامل قسنطينة وأجبرهما على الطاعة والتعاون أو يضعهما تحت الرقابة الصارمة، ولما خافا تعهدا بتقديم يد المساعدة[575]، وعند رجوعهما قاما باستدعاء الإخوان المريدين التابعين للزاويتين، وطلب منهم العمل بكل الوسائل لإلقاء القبض على بن زلماط وبومصران وأعوانهما، ثم هناك إفادات صرح بها في رسالة موجهة للشيخ محمود الواعي يروي فيها صاحبها قصة هروب أبيه واعتصامه في الجبل حاملا السلاح وهو المدعو علي بن الهادي بن بلقاسم، مفادها أنه ذهب مع قائد الدوار للبحث عن شخصين يذهبا للحرب بدل ابنيهما فوجد الأب شخصا يذهب مكان ابنه أما القايد لم يجد، فأخذ القايد ذلك الشخص فثارت ثائرة الأب وأراد الثأر من القائد ومن الذين أرادوا أخذ ابنه إلى الجيش، وبعد بضعة أشهر زار علي بن الهادي (الأب) زاوية الشيخ بن رمضان بالبرانيس قرب بسكرة، فتدخل هذا الشيخ بالنصح وطلب منه تسليم نفسه ليجنب أهله خطرا مدمرا، فامتثل لأمره وسلّم نفسه[576]، لم تكتف فرنسا بإثارة رجال الزوايا ضد الثائرين بل لجأت إلى محاولة إشراكهم في السياسة بواسطة التمثيل في المجالس البلدية وكانت البداية من سنة 1884، ثم سنة 1912، و1919، ثم سنة 1922 والتي سعت فيها فرنسا خفية إلى تحريك نفوذ الطرقية وشيوخ الزوايا لمساندة العناصر المخلصة للإدارة وتشجيعهم على ترشيح أنفسهم حتى يخرجوا من الإطار الديني كمقدم أو شيخ إلى رجال الوظيفة.

وأول من تقدم لترشيح نفسه رماضنة صدوق من دوار البرانيس، وهو شخصية دينية موقرة تحصل على 251صوت من 252صوت، وتم تعيينه رئيسا للجماعة (وهذا ما جعل نائب المحافظ يكتب في تقريره انه ليس ثمة أدنى شك في كون نفوذ سي صدوق المخلص في وفائه لفرنسا والذي تربطه بالقايد أحسن العلاقات) [577]، أما عائلة عبد الصمد فقد التزمت التحفظ إزاء الوظائف الفرنسية، في حين ساهم بعض شيوخ الزوايا البارزين لإنجاح عضوية علي بن قانة رغم اشتهاره بإخلاصه للحكومة الفرنسية[578]، وبهذا تحول الكثير من رجال الزوايا والمقدمين إلى الاهتمام بالسياسة وتحوّلوا من حزب المرابطين إلى الوظائف الجديدة التي أوكلت لهم.

المبحث الثاني :ظهور بوادر الإصلاح في الأوراس و صراعه مع الطرق الصوفية

---

(574)- جمعية أول نوفمبر: **ثورة الأوراس1916**، مرجع سابق، ص 620.

(575)- المرجع نفسه، ص 601.

(576)- نفسه، ص 661 .

(577)- عبد الحميد زوزو: **الأوراس إبان فترة الاستعمار** ج2، مرجع سابق، ص 34.

(578)- المرجع نفسه، ص 35.

في إطار حملة الإبادة التي شنتها فرنسا على منطقة الأوراس، اختفت النخبة من رجال التعليم والدين والقضاء والعلماء ضمن آلاف الشهداء الذين حصدتهم الآلة العسكرية خلال 76سنة بالمنطقة 1844-1920، بالإضافة إلى المهاجرين الذين فروا من التجنيد الإجباري والقهر ولم يبقى إلا النذر اليسير في القرى النائية التي أخذت بعض الزوايا على عاتقها تعليم الأطفال الذي أصبح يقتصر على تحفيظ القرآن في الغالب[579]، وبهذا بدأت فرنسا في تهديم الكيان والسعي إلى تذويب المجتمع الأوراسي في الكيان الفرنسي المسيحي، وحاولت تغيير مجرى الحياة سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وجعلها تصب كلها في وعاء واحد المتمثل في الوعاء الفرنسي، ورأت أن منطقة الأوراس البعيدة قد نسيت وأن هذه الثورات سببها قلة الاهتمام بالمنطقة فحاولت أن تهتم بالسياحة والطرقات والتلغراف وهي في أوج الحرب ع1 وحسب وجهة نظر عبد الحميد زوزو هو أمر يدعو للتساؤل ويبعث عن الحيرة لأن المنطقة كانت غير آمنة، فقد صرح الحاكم العام بأن الهدف من وراء هذه الأعمال هو التكفير عمّا نجم عن الاحتلال من إهمال وإجحاف وأن فرنسا نست الأوراس رغم وجودها في الجزائر مدة قرن[580]، لكن الحقيقة أن الأوراس لم تنساها فرنسا بل رفضت الرضوخ والانقياد طوال الفترة الممتدة (1844-1920)ورفضت كل أساليب التعاون مع فرنسا كونها دخيل أجنبي أراد بها سوءا لا حضارة.

وسعت كذلك إلى فرنسة المحيط بالسلوك الاجتماعي الغربي ومطاردة اللغة العربية من المدارس والمحيط الاجتماعي وأصبحت المدن والشوارع تحمل أسماء فرنسية لشخصيات وعلماء ومفكرين وعسكريين[581]، مثل مدينة مكماهون (عين التوتة) وباستور(سريانة) وكورناي(مروانة) وبيرناي(واد الماء)، والاستيلاء على الأوقاف والتضييق على المساجد وتنشيط المؤسسات التبشيرية وإخضاع بعض رجال الزوايا واستغلالهم لإظهار الإسلام بشكل يحض على التخلف والكسل والإيمان بالأساطير والخرافات ونشرها كمنهج تفكير ينتج الخرافات ويقوم على اللاسلبية والتفسير الماورائي للظواهر[582]، وتدعيمهم ماديا ومعنويا، وبذلك كله ساءت أحوال المجتمع الأوراسي في الفترة 1920-1931 إلى حد لا يطاق،فقر مدقع وبؤس شامل وجهل دامس وذل ومهانة واستعباد خاصة بعد إخماد ثورة 1916 وولاء الكثير من الزوايا لها، وظهر رجال مزيفون (الذين يسعدون بشقاء الناس وخداعهم وفسادهم إتصفوا بالمنكرات والخرافات)[583]، ولعل هؤلاء الذين زاغوا عن التصوف الحقيقي هم الذين أذهبوا دوره وشوهوا جماله وكدروا صفوه،مبلغهم من العلم قليل فحولوا الصوفية عن هدفها الأساسي وجعلوها سجلا تجاريا يدر عليهم الأموال بعد أن استرهبوا الناس بالخرافات والأساطير[584].

أمام هذه السلبيات جميعا كان لا بد من رفع التحدي لإبراز الشخصية الوطنية العربية الإسلامية والإصلاح الفكري الحقيقي لهذه الطرق الصوفية والمرابطية المنحرفة التي اعتبرها

([579])- إدريس خضير: **البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830-1962** ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع 2006، ص300.
([580])- عبد الحميد زوزو: **الأوراس إبان فترة الاستعمار**، ج2، مرجع سابق، ص21.
([581])-رابح تركي: **الإمام ابن باديس**، مرجع سابق، ص 125 .
([582])-البشير فلاتي: **دراسات في مسار وواقع الدعوة الإسلامية في الجزائر**، منشورات إقرأ، قسنطينة 2007، ص51.
([583])-عبد الحميد صيد: **مجموع محاضرات ومقالات وفتاوى الشيخ عبد القادر عثماني**، ط1، مطبعة قرفي، باتنة2005، ص41.
([584])-محمد الهادي حسني: **تسليف الصوفية وتصويف السلفية**، جريدة الشروق، العدد1849، بتاريخ 2006/11/23، ص09.

العلماء (بدعة لم يعرفها السلف) لما جاءت به من خرافات وبدع[585]، وأدركوا من خلال الوعي بسنين التاريخ في التغيير لحقيقة هذه الأمراض التي مكنت الاستعمار من قهر الشعب والاستبداد بأمره، وأيقنوا أن تغيير أوضاعه لا يتم إلا بتغيير في ذاته، وبهذا بدأ الإصلاح الإسلامي بثلة من العلماء نشؤوا من عمق هذا الشعب الجزائري مدركين حقيقته الثقافية فعكفوا على إصلاح المجتمع من الداخل قبل الخارج[586]، وجاء جيل جديد في بداية القرن 20 أكثر وعيا حيث يقول الدكتور زرمان عن الجيل الجديد (فقد انطلق هؤلاء في ميدان جديد يعبرون فيه عن آمالهم في إصلاح الواقع الفاسد بأسباب المدنية المعاصرة ونادوا بالإصلاح الاجتماعي فحاربوا الجهل وامتدحوا العلم) [587]، وقد ظهر بالجزائر علماء حاربوا الخرافات متأثرين بالحركات الإصلاحية في الشرق ومنهم (الشيخ صالح بن مهنة من قسنطينة ، وعبد القادر المجاوي من أشهر تلاميذه حمدان لونيسي معلم الشيخ ابن باديس وعبد الحليم بن سماية الذي يعتبر من أهم مؤسسي الحركة الإصلاحية في الجزائر المتأثر بأفكار محمد عبده، ثم دور الصحافة العربية الإصلاحية في الجزائر في أوائل العشرينيات كجريدة الجزائر لعمر راسم والفاروق لعمر بن قدور والإقدام للأمير خالد ثم فيما بعد الشهاب والمنتقد لعبد الحميد بن باديس وصدى الصحراء للطيب العقبي [588].

هؤلاء العلماء الرواد وهذه الصحف العربية عملوا للمحافظة على اللغة العربية والثقافة الإسلامية بجهودهم الفردية وشاركوا في بعث اليقظة العامة في البلاد ومهدوا الطريق لابن باديس الذي سيلعب دورا بارز في الحركة الإصلاحية بالجزائر والذي بادر بقوله: (هذا القطر قريب من الفناء ليس له مدارس تعلمه ولا رجال يدافعون عنه ، كان في اضطراب دائم مستمر، كان أبناؤنا يومئذ لا يذهبون إلى المدارس إلا للمدارس الأجنبية التي لا تعطيهم من العلم إلا ذلك الفتات الذي يملئ أدمغتهم بالسفا سف وخرجوا جاهلين لدينهم ولغتهم وقوميتهم)[589].

ومن هنا نستشف أهداف ابن باديس من وراء حركته الإصلاحية، ألا وهي فتح المدارس لتربية النشء الصالح والعودة بالإسلام إلى منابعه الأولى (الكتاب والسنة) وإعداد المواطن للحياة وترقيته والمحافظة على الشخصية العربية المسلمة للجزائر وتطهير الدين من الخرافات والبدع التي أدخلت عليه ومجابهة الطرقية الفاسدة ومحاربتها[590].

فانتصب ابن باديس بعد عودته من الزيتونة سنة 1913 للتدريس في الجامع الكبير بقسنطينة وكانت دروسه ثورة على البدع والخرافات ونبذ العصبيات والمذهبية الحزبية ،وهو الأمر الذي أزعج الطرقيين ورجال الدين الرسميين فسعوا إلى عرقلته بالمسجد المذكور فانتقل إلى التدريس بالجامع الأخضر الذي أصبح مركزا ثقافيا للإصلاح الإسلامي[591]، عقيدة وتربية

([585])-أحمد الخطيب: **جمعية العلماء وأثرها الإصلاحي،** مرجع سابق، ص 92

([586])- البشير فلاتي: **دراسات في مسار وواقع الدعوة الإسلامية،** مرجع سابق، ص 53 .

([587])-الدكتور عجالي كمال: **الفكر الإصلاحي في الجزائر،** شركة مزوار للطباعة والنشر، وادي سوف، الجزائر2005، ص17.

([588])-أحمد الخطيب: **المرجع السابق،** ص93.

([589])- المرجع نفسه، ص 64.

([590])-أحمد الخطيب: **المرجع السابق** ، ص 132.

([591])- بو صفصاف عبد الكريم: **رواد النهضة والتجديد في الجزائر (1889-1965)** دار الهدى، عين مليلة 2007، ص 30.

وثقافة والعمل على ربط أجزاء الجزائر بوحدة وطنية وقومية إسلامية[592]، رغم أن ابن باديس قد أعطى يده لمن أراد أن يشتري نفسه من هؤلاء شريطة ألا يكونوا آلة مسخّرة في يد نواح اعتادت تسخيرهم، وكل من يكون أذنا سماعة وآلة مسخّرة لفرنسا فلا هوادة بيننا وبينه حتى يتوب إلى الله عزوجل[593]، ومن خلال بعض المراجع وجدنا أن ابن باديس كانت له زيارات إلى مجموعة من الزوايا ومنها الأوراس فنجد شيخ زاوية طولقة عبد القادر عثماني في محاضرة له يستدل بكتاب الدكتور عبد الله حمادي "دراسات في الأدب العربي طبعة 1986" أن ابن باديس كانت له علاقة بالزوايا وبالطريقة الرحمانية فقد زار زاوية طولقة وضريح الشيخ بن عزوز بالبرج[594]، ويؤكدها صاحب الكتاب السابق بقوله "ومما تمكّنت من استخلاصه من المراسلة التي عثرت عليها والتي وجهها ابن باديس للشيخ الطاهر بلعبيدي عام 1916- 1917 تقريبا أن عبد الحميد بن باديس قد زار طولقة وبرجها وكان ذلك في حدود 1925-1926 لأننا نجده يشير إلى هذه الزيارة في قصيدته التي نشرها بجريدة النجاح عام 1926 وفيها الأبيات التالية:

عوجو نحي منازل الأمجـــــاد	ونؤدي حق زيارة الأسيـــــاد.
ونحط أرجلنا بدار كرامـــــة	مبذولة الروضــات للــــــرّواد.
فهي الملاذ لكل جاف جـــائف	وهي الشفاء من وصمة الأمكاد.
ما بين طولقـــة فبرج حيـــث	تبصر نور أهل الله في إصعــاد."[595]

وقد كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس رسالة إلى شيخ الطريقة العزوزية الطاهر بن لعبيدي يثني عليه بقوله في قصيدة شعرية:

ذي درر حسنة التنضيـــــد	جامعة للقصيـــد والمزيـــد.
من نظام زين العلماء العبيـــد	جزاه رب النـــّاس بالمفيـــد.

والعلم والعمل والتأييد[596].

ثم نجد له كذلك علاقة بالزاوية الدردورية لأن أحد أبناء هذه العائلة وهو الشيخ عمر دردور[597]، الذي كان من تلاميذ ابن باديس ثم من وجوه الإصلاح في المنطقة الأوراسية بعد ظهور الجمعية، والإمام ابن باديس قد زار العائلة الدردورية في حيدوس ونزل ضيفا عند دار الشيخ عمر دردور 1933 في إطار جولة قام بها إلى المنطقة[598]، ثم إن الكثير من علماء الجمعية درسوا بالزوايا ومن الذين درسوا بزاوية طولقة نجد الشيخ أحمد سحنون عضو في

([592])- محمد الطاهر فضلاء: **دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، ط1**، دار البعث بقسنطينة 1948، ص89.

([593])- جريدة الشهاب: **ج11**، م14، محرم 1357، مارس1938، ص204.

([594])- عبد القادر عثماني: **الزوايا والتعليم الديني**، مجلة الامام مالك بن أنس ع4 ،دار الهدى للطباعة والنشر ،عين مليلة 2002 ، ص 20.

([595])-عبد الباقي مفتاح: **أضواء على الطريقة الرحمانية**، مرجع سابق، ص170.

([596])- العياشي دعدوعة: **الطريقة الرحمانية علمية جهادية إصلاحية**، جريدة الأحرار، عدد 721، 15 جويلية 2000، ص16.

([597])- **عمر دردور**: من مواليد 1913 في قرية حيدوس بوادي عبدي وفيها حفظ القرآن، درس بالزاوية العثمانية بطولقة، ثم اتجه إلى قسنطينة ليلتحق بطلبة الجامع الأخضر، والأخذ عن الإمام ابن باديس الذي لازمه مدة 5سنوات، مؤسس الشعبية الأوراسية لجمعية العلماء سنة1936، أنظر صلاح مؤيد، **الزوايا والطرق**، ص803.

([598])- علي عزوزي: **زاوية آل دردور**، مرجع سابق، ص39.

جمعية علماء المسلمين، وعبد اللطيف سلطاني صاحب كتاب "سهام الإسلام"و المجاهد علي دردور.

ونحن نرى أن زيارات ابن باديس إن كانت مؤكدة فهي تعني الكثير، أن هذه الزوايا كانت بعيدة عن الخرافات والبدع، ثم الوقوف على ما تقدمه هذه المؤسسات من تعليم قرآني وديني وعلوم أخرى كالنحو وغيرها، وقد يكون قد وجد فيها ما يوافق بعض آرائه الإصلاحية في تربية النشء، وكذلك طلب المساعدة منها لبناء المدارس وهذا ما نستشفه من خلال الرسالة التي بعث بها إلى الشيخ سيدي علي مول زاوية القرقور المؤرخة بـــــ: 14 ذي القعدة 1350ه والمنشورة في كتاب ثورة الأوراس صفحة 670، والتي تكلّم فيها عن إقامة المشاريع الخيرية وطلب يد المساعدة من الذين يثق فيهم ويكتمون الأسرار وجعل لكل واحد منهم ألف فرنك عطية أو سلفة لمدة عام (**أنظر الملحق رقم 19**).

ويعتبر الشيخ علي بن محمد بن يوزيد الذي اتبع طريق آبائه في المحافظة على التعليم من تلاميذ الشيخ ابن باديس وهو من الرعيل الأول الذين تعلّموا وحصلوا على العلم بقسنطينة واهتم بتدريس علم الفقه والنحو والصرف والأدب والفرائض والتوحيد(599)، كان الهدف من وراء تأسيس هذه المدارس هو التعليم والتي لم تكن تحت سيطرة الفرنسيين مؤيدة بأموال شعبية(600).

إن ما يمكن ملاحظته في منطقة الأوراس هو الانتشار القوي للطرق الصوفية والزوايا وخاصة الرحمانية وتغلغلها في أفكار الإنسان الأوراسي، ولكن تخريب الاستعمار لمقرات معظم الزوايا وإلقاء القبض على رجالها وتعذيبهم ونفيهم وسجنهم، أوجد لها المناخ المناسب للقضاء على الأتباع المتبقين وكسب الكثير من الشيوخ الباقين، والكثير من شباب الأوراس اتجهوا إلى جامع الأزهر والزيتونة وإلى الجامع الأخضر بقسنطينة هدفهم كسب العلم وطريقة التوجيه الإصلاحي(601) المثلى، وبعد عودتهم إلى الأوراس والزيبان، شكّلوا جسر العبور للتعريف بالحركة الإصلاحية وأهدافها والتمهيد لاحتضانها وكان أبرز المصلحين الشيخ "المولود الزريبي (1897-1925)" من بلدة زريبة الواد شرق بسكرة بحوالي 70كلم والذي درس بمسقط رأسه ثم التحق بالأزهر وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى عاد إلى الجزائر واهتم بالعمل الإصلاحي في بلدته(602)، وكان من العلماء المشهود لهم بالصلاح وممّا يذكر عنه أنه لجأ إلى حيلة طريفة، فعمد إلى كتاب (المرشد المعين) وهو كتاب معروف لدى الخاصة والعامة فشرحه وبثّ فيه آراءه الإصلاحية ودعوته السلفية لمقاومة البدع التي حاربها بقوله: "لقد ظهر في القطر الجزائري في هذا الزمان بدع كثيرة واعتقادات فاسدة قام بها أناس دنوما وما هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا يأمرون العوام بالاستمرار على عوائدهم المحدثة الشنيعة التي هي مهادنة للدين القويم"(603)، وكان هدفه هو إصلاح أوضاع بلدته (زريبة الواد) التي أسماها بالبلدة التعسة وأن أهلها أشد جهلا من سواهم وأقرب إلى المنكرات ممّن

---

(599)- جمعية أول نوفمبر: **ثورة الأوراس1916**، مرجع سابق، ص672.

(600)- أبو القاسم عبد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، مرجع سابق، ص401.

(601)- جمعية أول نوفمبر: **تاريخ الأوراس ونظام التركيبية**، مرجع سابق، ص244.

(602)- انتقل بعدها إلى العاصمة وتولى تحرير جريدة الصديق التي كان يصدرها محمد بن بكير سنة 1920، كما تولى مهمة التدريس بالجامع الكبير وكان من فقهاء المالكية، أنظر محمد ناصر، **الصحف العربية الجزائرية** 1847-1939، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980، ص48.

(603)- أحمد مريوش: **الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية**، ط1، دار هومة، الجزائر2007، ص65.

عداهم وهم منقسمون إلى شيع وطوائف، ولعل هدفه هو جمع الشمل والقضاء على الحزازات التي مزّقت الأهل وخدمت البدعة والاستعمار.

كما وصف أبو بكر جابر[604]، حالة الزيبان مع نهاية الحرب العالمية الأولى بقوله: "كنّا والله لا يكاد يعبد الله لما فرض في غسق الليل من صلاة المغرب والعشاء حتى نرى الرجال والنساء والأطفال يتسللون من بيوتهم كل واحد منهم يقصد مكانا غير الذي يقصده الآخر وقلّ ما تتحد العائلة على المذهب الواحد، ثم عند ذلك يضربون الدفوف ويصفقون ..." [605].

نستنتج ممّا سبق أن المنطقة اختلفت مشاربها في التصوّف وممّا زاد في تدهور انحراف الطرقية كثرة الجهل والأمية بالمنطقة خاصة وأن الجامع الوحيد الذي كان يؤدي دوره الديني بمدينة بسكرة أوشك على الانهيار، نستشف ذلك من الرسالة المؤرخة في 29 سبتمبر 1906 والموجّهة إلى حاكم قسنطينة من أهالي المنطقة يصفون فيها الوضعية المزرية لمسجد سيدي الجودي الكبير بقولهم: "حيث أن بناه قديم..... لا تنزل المطر إلا وتسيل من أعلاه لأسفله، ومن أجل ذلك يتعذّر على المصلين الصلاة فيه، نطلب من كريم فضلكم أن تنعم علينا بتجديده"، لكن فرنسا لن تبالي بذلك وباتت المنطقة عشية الحرب العالمية الأولى تعيش في فوضى وأصبح زمام أمرها في قبضة الإدارة وشيوخ الزوايا ورجال الطرق[606].

لكن الذي دفع حركة الإصلاح في منطقة الزيبان هو الشيخ العقبي حيث أعطاها الصدارة إلى جانب النهضة الثقافية[607]، خاصة وأنه عاش في بلاد الحجاز في الفترة التي انتشر فيها الفكر الوهابي والأفكار الإصلاحية التجديدية التي تدعو للعودة إلى الأصول وما يفيد الأمة الإسلامية ويصلح شأنها، وخلاصة فلسفته أن الإصلاح يعني القضاء على أسباب الانحطاط[608]، فعند رجوعه إلى مسقط رأسه سيدي عقبة انطلق من بسكرة في مواجهة الخرافات وأهل البدع والضلالة باعتبارها (بسكرة) مركزا سكانيا وقبلة للقرى والمداشر المجاورة لها، وبذلك شنّ حملة قوية ضد المتمربطين ورجال الطرقية وأهل الشرك [609] ومنها دعا رجال الإصلاح إلى التعاون والتكاثف وانتهاج طريق الصالحين والابتعاد عن أهل الجهالة الذين يكنون العداء لرجال العلم والإصلاح ويقول في قصيدة شعرية بعنوان "وعليكم بمنهج الصالحين":

هلم بنا يا قوم نحو العلا نرقى   لتجديد دين الله الذي يبقى[610].

والعقبى كابن باديس لم يهاجم كل الزوايا بل هاجم التي حادت منها عن الطريق الصحيح للإسلام وأدخلت البدع وجمع الأموال وتحقيق الرغبات الخاصة، وإضافة إلى دروسه

([604])- **أبو بكر جابر الجزائري**: من مواليد منطقة ليوة جنوب مدينة طولقة بحوالي 10كلم، عاصر الحركة الإصلاحية في الزيبان ثم في العاصمة وخدمها قلبا وقلما، اشتغل في التعليم في مدرسة الشبيبة الإسلامية، كانت له علاقة وطيدة بالشيخ العقبي، اشتغل أستاذا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، له عدة مؤلفات منها "منهاج المسلم".

([605])- أحمد مريوش: **الشيخ الطيب العقبي**، مرجع سابق ، ص64.

([606])- المرجع نفسه، ص63.

([607])-الجيلالي صاري ومحمود قداش: **الجزائر في تاريخ المقاومة السياسية، 1900-1954**، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1987/ ص25.

([608])- كمال عجالي: **الفكر الإصلاحي في الجزائر**، مرجع سابق، ص29.

([609])- أحمد مريوش: المرجع السابق، ص71.

([610])- احمد مريوش :**الشيخ الطيب العقبي**، المرجع السابق، ص 73.

ومحاضراته تمّ إصدار جريدة بعنوان "صدى الصحراء"[611] ثمّ جريدة "الإصلاح"[612]، التي أخذت شعارها من الآية الكريمة: {**إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت**}[613]. وهاتان الجريدتان كانتا دعوة صارخة للإصلاح وضد الخرافية، وكانت محاولة تنوير الأفكار وتهذيب الرأي العام[614]، وقد اهتمت بجمع كلمة الأمة وتوحيد الأفكار، وكان العقبى شديد الهجوم على الخرافات والأوهام بقوله: "كل ما لم يثبت كعقيدة حق ببرهانها ودليلها القاطع فليس هو من دين الله في شيء ولا يعقل أن يتوسل إلى الله بغير ما جاء به الدين"[615] وأرجع ذلك كله إلى طبيعة البشر وسكوت العلماء الذي أدى إلى تفشّي الضلال والبدع حتى ضنها الناس من الدين فاعتقدوها، ولذا نجد مهد الحركة الإصلاحية قد انطلق من مدينة بسكرة واتّجه إلى باتنة التي كان يوجد بها المسجد الجديد الذي بني سنة 1924 واستقطب جميع النشاطات الثقافية والدينية"[616].

وكان الجيل الأول الذي تخرّج من مدرسة ابن باديس بقسنطينة في بداية العشرينات شكّل النواة الأولى بمنطقة الأوراس للحركة الإصلاحية ونذكر منهم (عمر دردور بن محمد من حيدوس، محمد صالحي بأريس والغسيري بمنطقة غوفي وبلعباس بن عباس بمنعة ودرنوني محمد بتكوت) وغيرهم [617] من لم يذكر اسمهم في التاريخ.

وما يلفت الإنتباه حسب رأينا أن المنطقة كانت محافظة نظرا للدور الإيجابي الذي قدّمته الزوايا خلال القرن 19، أما في القرن 20 بعد أن حاد الكثير منها عن الطريق الأول وجد فراغا روحيا كبيرا بالأوراس، وانغلاق على المدارس الفرنسية وصارت الطرق الصوفية كما قال ابن باديس مبنية (على الغلو في الشيخ والتحيّز لأتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ إلى ما هنالك من استغلال وإذلال ومن تجميد للعقول وإماتة للهمم)[618]، ولذا وضع ابن باديس قبل تأسيس الجمعية الإطار العام للغاية الوطنية السياسية التي يشهد فيها الإصلاحيون بقوله: "ولأننا جزائريون نعمل للمّ شعب الأمة الجزائرية وإحياء روح القومية في أبنائهم وترغيبهم في العلم النافع والعمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة"[619].

ولم يبق الطرقيين مكتوفي الأيدي وخاصة ضد الشيخ العقبي لأن بعض الطرق الصوفية في بسكرة لم يرق لها ما كان يدعو إليه خاصة بعد التحالف الذي ظهر بين الشيخ الحافظي[620]

([611]) - تأسست هذه الجريدة سنة 1925، ببسكرة تطبع في قسنطينة ثم ترسل إلى بسكرة تدعو إلى الإصلاح والابتعاد عن البدع، توقفت عن الصدورفي 1925/02/29، بعد صدور ثلاثة عشر عدد منها، ثم عادت للظهور سنة 1934، محررها أحمد بن العابد العقبي ومن مؤسسيها الشيخ العقبي.

([612])- صدر العدد الأول منها في 08 سبتمبر 1927، وطبعت في تونس ووزعت في بسكرة ثم أغلقتها السلطات الفرنسية لتعاد يوم 5سبتمبر 1929، كان يكتب بها الشيخ العقبي ومحمد العيد ومبارك الميلي ومحمد العيد الزاهري ومفدي زكرياء، توقفت في العدد 14 في 25/سبتمبر/1930.

([613])- سورة **هود**، الآية 88.

([614])- نور الدين بليل: **الطيب العقبي**، مجلة الراصد العدد8، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، ص35.

([615])- كمال عجالي: **الفكر الإصلاحي**، مرجع سابق، ص51.

([616])- عبد الحميد زوزو: **الأوراس إبان فترة الإستعمار**ج2، مرجع سابق، ص36.

([617])- جمعية أول نوفمبر: **الأوراس ونظام التركيبة**، مرجع سابق، ص268.

([618])- عمّار طالبي: **ابن باديس مفسرا حياته وآثاره**، ج3، دار اليقضة العربية، دمشق1968، ص133.

([619])- أحمد الخطيب: **جمعية العلماء وأثرها الإصلاحي**، مرجع سابق، ص117.

([620])-**المولود الحافظي** (1895-1948)/ من قبيلة بني حافظ من سطيف تعلم بمسقط رأسه ثم بالأزهر رجع إلى الجزائر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، واشتغل صحفيا سنة1925، وساهم في الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء سنة1931، ثم انشأ وأسس جمعية علماء السنة ومحرر جريدة الإخلاص، أنظر أحمد مريوش، **الشيخ الطيب العقبي**، الهامش، ص79.

والشيخ عاشور الخنقي[621]، لإحباط محاولات الإصلاح التي بدأها العقبي والتحريض على اغتياله[622]، وتوطدت العلاقة بين العقبي وابن باديس فراسله هذا الأخير سنة 1924، مباركا أعماله ومجهوداته في الإصلاح، الأمر الذي أقلق الطرقيين فحاولوا التقرب من ابن باديس والمهادنة خاصة ما كان يكتبه العقبي في جريدة المنتقد والشهاب[623]، فابن باديس في نظرهم أكثر ليونة، لأنه لم يعدل زعيم الحركة الإصلاحية عن طموحه الرامي إلى جلب احترام الزوايا المرابطية الكبرى وإقامة حوار أخوى معها[624]، فحاول أن يعدل المرابطين عن أخطائهم وينضمون إلى حركة الإصلاحية بإخلاص[625]، وسعى ابن باديس إلى إخماد نار الفتنة بين العقبي والطرقية وزاره في بسكرة لكنه فشل في مساعيه لصلابة موقف العقبي[626] ثمساير رأيه لأنه كما قال العقبي:

حجتي القرآن فيما قلتـــــــــــه ليس لي إلا على ذاك إسناد.

مذهـــــبي شرع النبي المصطفى واعتقـــادي سلفـــي ذو سداد.

ولخّص مبادئه الإصلاحية في جملتين هما "أن لا نعبد إلا الله وحده، وأن تكون عبادتنا له إلا بما شرّعه وجاء من عنده"[627]، وإذا كانت الزيبان قد مسّها جمود فكري فإن الكثير من شبّابها آمنوا بفكرة العقبي الإصلاحية لأنه عالج الأوضاع من العمق وجلب بعض المثقفين لمناصرة فكرته ومنهم محمد العيد آل خليفة[628] الذي وقف بجانب العقبي مع محمد خير الدين[629] .

ووصل تأييده إلى أعيان بسكرة ويذكر دبوز في كتابه نهضة الجزائر الحركية بقوله"وأحاطت به طائفة من أعيان بسكرة ينصرونه ويؤيدونه ويستفيدون منه وعلى رأسهم الأمين العمودي"[630].

وكانت كل أعمال العقبي والذين معه تتم داخل مسجد سيدي منصور ببسكرة القديمة حتى أصبح لا يتسع لجميع الحاضرين فانتقل إلى جامع بركات[631]، أما عبد الحميد بن باديس الذي كانت له نزعة توفيقية في صلاته المختلفة مع المرابطين لم تؤت ثمارها بسبب تعصّب بعض المرابطين وتشدّد بعض الزعماء الإصلاحيين[632]، ولذلك واجه الطرقيين خاصة عندما اخترقتهم الإدارة الاستعمارية وجعلتهم في خدمة أهدافها فأصبح لهم من السطوة والنفوذ الشئ

---

(621)-**عاشور الخنقي**: من مواليد 1264هـ، بخنقة سيدي ناجي عرف بعدائه للإصلاح ومحاربة رجاله.

(622)-أحمد مريوش: **الشيخ الطيب العقبي،** مرجع سابق، ص80.

(623)-**المنتقد والشهاب** جريدتان أسبوعيتان تصدران بقسنطينة، برئاسة عبد الحميد بن باديس سنة1925. تدعوان إلى الإصلاح الديني، ومحاربة البدعة والشعوذة، الأولى توقفت 1925 والثانية 1939.

(624)-علي مراد:**الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر،** مرجع سابق، ص168.

(625)- المرجع نفسه، ص171 .

(626)-أحمد مريوش: **المرجع السابق،** ص83.

(627)- المرجع نفسه، ص 84.

(628)-من مواليد 1904-1979 بعين البيضاء، انتقل إلى بسكرة مع عائلته وبها واصل دراسته ليكملها في تونس سنة 1923 وانخرط في صف الإصلاح وكتب في جريدة صدى الصحراء والإصلاح ببسكرة ثم في المنتقد والشهاب، اشتغل مديرا لمدرسة الشبيبة الإسلامية، لقب بشاعر الجمعية.

(629)-من منطقة فرفار ببسكرة،أكمل دراسته بتونس ورجع بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وانضم إلى حركة الإصلاح مع العقبي في بسكرة، ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين.

(630)-أحمد مريوش: المرجع السابق، ص 86.

(631)-ا أحمد مريوش**: الشيخ الطيب العقبي** المرجع السابق، ص 87 .

(632)-علي مراد: **الحركة الاصلاحية الاسلامية** ، مرجع سابق، ص 125.

الكثير [633]، وكان يدرك جيّدا الفرق بين التصوّف ورجال بعض الزوايا الذين يشجعون البدعة والخرافة من اجل استمالة الناس إليهم وبقائهم في تبعية لهم فقد افتخر بجهاد الأمير عبد القادر والمقراني بل رجت بينه وبين العارف بو عبد الله شيخ الزاوية البوعبدلية ببطيوة في وهران مناظرة علمية وقد قال بن باديس (كفى ! الرجل عالم) [634]، وكان موقفه لا يخرج عن موقف الفقهاء الذين ناصبوا الطرقيين المتصوفين العداء خاصة ضد أشباه المتصوفين الذين نشروا الخرافة[635]، إلا أن تأثير الطرقيين بدأ يضعف منذ سنة 1930، بعدما أن ابتعد عنهم القسم الكبير من مريديهم بفضل حملات العلماء وطلبة ابن باديس الذين انتشروا في قرى ومداشر الأوراس والزيبان وشنّوا حرب على المرابطين الموالين للإدارة وهم الذين أحيوا حقيقة الإسلام بالجزائر بانين في الشعب وعيا دينيا وقوميا[636].

وإذا كان عبد الحميد قد حارب الطرقية فقد انطلق من مبدأين أساسيين، الأول لتعاونهم مع الاستعمار الفرنسي والثاني لكثرة البدع التي ألصقوها بالإسلام وسمّموا بها أفكار العامة فقد قال: (حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها من بلاء على الأمة من الداخل والخارج فعملنا على كشفها وهدمها)[637]، وقد كتب الشيخ مبارك الميلي في كتابه "رسالة الشرك ومظاهره" ذكر فيه مصائب الطرقيين كالتوسط بين الله وعباده، في قبول التوبة والاعتماد على الخرافات والمقامات[638].

وإذا كانت الطرق الصوفية قد قاومت الاستعمار لأنها بم تبتعد عن العقيدة السلفية في القرن 19، فإن الاستعمار أدرك قوّتها فلجأ إلى التّقرّب منها واستمالتها ومدّها بالمساعدات فكان من الطبيعي أن تصبح خدمة الطرقية خدمة للأجنبي ودعائمه وهذا يخالف العقيدة الإسلامية[639]، وقد تعرّض الإمام ابن باديس إلى محاولة اغتيال في 14 ديسمبر 1926[640]. وبعد ظهور جمعية العلماء المسلمين في 05 ماي 1931 بقيادة الإمام ابن باديس كان شعاره دائما "أخوة، محبة، تآلف وتسامح" ويؤكد أن الجمعية ليست ضد الزوايا، وإنما ضد البدع والخرافات فيدعوا إلى العلم والمحبة والتسامح[641]، أما الحركة الإصلاحية في الأوراس بعد ظهور الجمعية وإن كان مجال دراستنا ينتهي في سنة 1931 لا نستطيع التطرق إليها ويمكن القول أن الشعب قد تحمس لها نتيجة انتشار المدارس والأندية واللجان الثقافية بأعداد معتبرة في مدينة باتنة وتنظيماتها حاضرة في جميع بلديات المنطقة[642].
ولعل تخلّف ظهور الحركة في أدغال الأوراس يعود إلى الانعزال في الجبال وسياسةالتشديد والرقابة الفرنسية، فعندما ظهرت الجمعية سارع الأوراسيين إلى تعويض ما فاتهم خاصة وأن

([633])-شارل أندري جوليان: **افريقيا الشمالية تسير**، ترجمة المنجي سليم وآخرون ،الدار التونسية للنشر،تونس1976، ص105.
([634])-بومدين بوزيد: **الطرق الصوفية والاحتلال**، جدل الرفض والقبول مجلة أعمال الملتقى الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة، مرجع سابق، ص 137.
([635])-حميدة عميراوي: **بحوث تاريخية**، ط2، دار الهدى والتوزيع عين مليلة 2006، ص 105.
([636])-شارل أندري جوليان: **المرجع السابق**، ص 127.
([637])-رابح تركي: **الإمام بن باديس**، مرجع سابقن ص 339.
([638])-مأمون صالح مطبقاني:**عبد الحميد بن باديس** العالم الرباني والزعيم السياسي، ط1، مؤسسة عالم الأفكار، الجزائر2005، ص 109.
([639])-مأمون صالح مطبقاني **:** المرجع السابق ، ص 111.
([640])-المرجع نفسه، ص 112.
([641])- صلاح مؤيد: **الزوايا والطرق الصوفية**، مرجع سابق، ص 282.
([642])- عبد الحميد زوزو: **الأوراس إبان الحكم الاستعمار**، مرجع سابق، ص 41.

الموقف الوسط مكّن العلماء من جمع تعاطف الأوراس معهم وحشد للأنصار إلى جانبها[643]، فظهر نشاط الحركة الإصلاحية في حوز أريس سنة 1936 وازدهر سنة 1937، ففي شهر أوت من نفس السنة تأسست الشعبة الأوراسية الإصلاحية باسم جمعية العلماء المسلمين بحيدوس بدوار وادي عبدي من طرف بعض خرّيجي الجامع الأخضر وهم من أبناء المنطقة وأغلبهم من أبناء الزوايا الذين زاولوا دراستهم لدى رئيس الحركة الإصلاحية العلاّمة ابن باديس نذكر منهم (عمر دردور، الأمير صالحي، الشيخ الغسيري وأحمد تمقلين وغيرهم) وتكوّنت بذلك جمعية دينية بكل دوار مهمتها بناء المساجد الحرة وفتح الكتاتيب وتشييد المدارس[644]، ومن هنا بدأت مرحلة جديدة بين علماء الإصلاح في الأوراس والسلطات الفرنسية التي لم تدخر جهدا في محاربتهم ومضايقتهم.

([643])- المرجع نفسه، ص 42.

([644])- جمعية أول نوفمبر : **الأوراس ونظام التركيبة**، ص ص244-245.

الخاتمة

خاتمـــة

نستخلص من هذه الدراسة التي تناولت دور الطرق الصوفية والزوايا في منطقة الأوراس في المفترة الممتدة ما بين (1931/1844) ما يلي:

- الطرق الصوفية والزوايا في منطقة الأوراس مرت بمرحلتين أساسيتين ,الأولى امتدت من 1844م إلى 1879م والتي تميزت بالإيجابية لما قدمته من بطولات وإصرار على رفض المحتل في ظل غياب الدولة ومؤسساتها الرسمية ،أما المرحلة الثانية فتبدأ من 1880م إلى 1931م والتي تميزت بالسلبية والاستكانة والركود،برز فيها ولاء الكثير وحياد البعض منها ,حيث شكلت منها فرنسا جبهة مضادة لثائري 1916م بطريق مباشر أو غير مباشر،ثم حوّلتها بعد الحرب العالمية الأولى إلى حاجز أمام الاتجاهات الوطنية والإصلاحية.

- إن لزوايا منطقة الأوراس دور كبير في نشر التعليم الإسلامي ،إذ لا يكاد أن تخلو قرية أو دشرة من كتّاب أو مسجد أو زاوية،فقلصت بذلك نسبة الجهل في الأرياف وحافظت على الشخصية الوطنية وقيّم الشعب وأفكاره وأصالته ،فكانت منارات ومراكز إشعاع في الجبال العالية والصحاري المقفرة و رغم شراسة الاستعمار لم تهزم روحيا.

- إن الطرق الصوفية وزواياها كانت مؤسسات جمعت كل الوظائف (سياسية، اجتماعية، ثقافية، دينية واقتصادية) إذ عملت على تنظيم العلاقات بين مختلف شرائح المجتمع ووقفت حجر عثرة أمام كل محاولات الإدارة الاستعمارية لابتلاعنا ،فملأت بذلك الفراغ الثقافي أيام المحنة فلولاها لما وجد أثر للغة القرآن وعلوم الدين في منطقة الأوراس إذ ربطت أعراش ووحدت قبائل وآزرت بعضها وقت الشدة رغم الصعاب والأخطار والنتائج .

- إن الصوفية استطاعت الجمع بين جهاد النفس والجهاد القومي لوجود ارتباط وثيق بينهما,فرغم أن البلاد فقدت استقلالها وحُبست أوقافها من طرف فرنسا،إلا أن علماء الزوايا صانوا لغتهم وثقافتهم وتراثهم رغم الحصار والدمار والعواصف بقيت رمز للأصالة ،ولهذا فإن لبعض الطرق والزوايا مزايا تاريخية لا يستطيع أن ينكرها أحد إذ خرّجت طبقة من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن ونقلت الإسلام إلى الأعماق.

- أوجدت صعوبات كثيرة لقادة الاحتلال في منطقة الأوراس ,مما دفعهم إلى دراستها بعمق ليتحكموا فيها ويوجهونها لخدمة سياستهم الاستعمارية،لكنها أثبتت خلال القرن التاسع عشر بأنها معقل الصمود وجسد واحد في التآزر والتعاون،ولعل سبب تأخر المنطقة الاقتصادي والاجتماعي، خصوصا يعود إلى انعكاسات السياسة الاستعمارية من جراء العقوبات القاسية المفروضة على الذين ساهموا في المقاومة.

- لقد توصلنا من خلال هذا البحث إلى أن الطرق الصوفية والزوايا في منطقة الأوراس نشأت بتأثير الزاوية الأم بالبرج"طولقة" ففي هذه الزاوية درس شيوخ زوايا الأوراس ،وعند عودتهم أسس كل واحد منهم زاوية خاصة في قريته،ثم أن عدد الزوايا في الأوراس الشرقي أكثر بكثير من الأوراس الغربي ،و جل مقاومات القرن التاسع عشر وقعت في الأوراس الشرقي والزيبان دون أن نسجل ثورة واحدة في الأوراس الغربي باستثناء مشاركته مع أحمد باي، وفي ثورة 1871م وثورة بلزمة 1916م.

- رفض سكان الأوراس المطلق للوجود الاستعماري رغم إغراءاته وأساليبه وهو تحدي لا يمكن نكرانه أمام قلة الإمكانيات فكانت المقاومة مستمرة تسكن ثم تثور فكلما قررت فرنسا مشروعا إلا وتصدى له الأوراسيون بمشروع مضاد مسلحين بالإيمان والوطنية ،ارتبطت

ثوراته بزعماء دينيين وبأسمائهم الذين اكتووا بنيرانها ولعبوا دور بارز فيها ،واستشهدوا كلهم سواء في العركة أو المنفى أو السجن.
-التفاف الجماهير حول هذه الثورات(فلاحين وعمال ،شيوخ وشباب ،رجال ونساء)لا مصلحة لهم سوى تحرير الوطن والجهاد المقدس،كما كانت ملجأ للمستضعفين .
- أمام هذه الإيجابيات التي قدمتها الطرق الصوفية في القرن التاسع عشر يمكن أن نسجل بعض المآخذ لهذه الطرق بعد تغير نظام الحكم الفرنسي سنة 1870م وفشل ثورة محمد مزيان 1879م، بدأت السياسة الظلامية التي انتهجتها فرنسا في منطقة الأوراس عندما خيّرت شيوخ الزوايا بين البقاء أو الزوال فاختار الكثير منها البقاء وأرغمت على فرض الجهالة المزدوجة (تمجيد فرنسا وتحقيق السلم)،لكن يجب التفريق بين الزوايا التي أنجبت أبطالاً تاريخيين وعلماء أفذاذ وبين الزوايا المائعة في المخططات الاستعمارية، فانحازت للإدارة الفرنسية وانحادت عن طريق التصوف، ونتج عن ذلك ضعف العلم الشرعي لدى مريديهم وظهور الخرافات والبدع،فخالفوا بذلك أصول التصوف وأحوال المشايخ الأولين وتحولوا ا من تابعين إلى متبوعين خاضعين بفضل سياسة الإدارة الفرنسية التي سعت إلى إفراغ الزوايا من روحها ووضعتها في اتجاه يخدم مصالحها ويعزز سيطرتها، وقد انعكس ذلك سلبا على الحياة العامة لسكان الأوراس ،ففي الثلث الأخير من القرن التاسع عشر والأول من القرن العشرين لم ترث معظم الزوايا عن الأسلاف ثمارهم,بل أصبحت موجهة وفق النظرة الفرنسية ،ولذا يمكن القول إن للصوفية في منطقة الأوراس لهم مالهم وعليهم ما عليهم.
- إن ثورة 1916م قد كشفت النقاب عن الكثير من الطرقيين وأبعدت السكان عنهم لأنهم حادوا عن واقعيتهم بعدما أصابهم الوهن فخدموا فرنسا لسبب أو لآخر وإن لازم البعض منهم الحياد وابتعد عن السياسة ليتمكنوا من مواصلة نشاطهم الديني والتربوي.
- إن بوادر الإصلاح في منطقة الأوراس كانت أكثر بروزا بعد الحرب العالمية الأولى،فبعد عودة العلماء الذين درسوا في الأزهر والزيتونة وجهوا جل أعمالهم إلى محاربة الطرقيين خاصة الذين بايعوا فرنسا وقدموا الولاء والطاعة بصفتها حامية الدين،واتبعوا مظاهر الدروشة والخرافات البالية فانحطت بذلك سمعتهم و تزعزع مركزهم بعدما أن حولت الحركة الإصلاحية منطقة الأوراس إلى حركية فعّالة وأعادت إليه الروح الوطنية.
- لا يمكننا اليوم أن نمزق سجلات الماضي ،فالطرق الصوفية وزواياها كانت قلاعا عتيدة وحصونا منيعة، صمدت خلال القرن التاسع عشر وهوت في بداية القرن العشرين،ولذا لا يمكن أن نمدحها في القرن التاسع عشر ونقزّمها في القرن العشرين ،علينا أن نذكر مزاياها ونشير لخطاياها ونصحح،ولكن لا ننكرها ،فمثلما لها ماضي وحاضر لها نبهات وعثرات، فالنقد الذاتي أساس البناء الصحيح لأننا لا يمكن تجاهل أولئك الجنود المجهولين الذين لقنوا فرنسا دروسا في النضال والمقاومة والوطنية خلال القرن التاسع عشر.

الملاحق

الملحق رقم 11

جدول ملخص لرسائل وجهها ديفو يوم 1

8 جمادي من سنة 1375 الى القادة قصد فرض عقوبات على السكان تدفع نقدا لأنهم

شاركوا في ثورة الصادق بن الحاج

الاعراش	عدد الأشخاص المعاقبين	قيمة العقوبة	مدة الدفع
أولاد عيسى	17	1950 ف	15 يوم
أولاد ميمون	06	675 ف	08 يوم
أولاد بدرة	44	6225 ف	15 يوم
أولاد ادير	28	4350 ف	15 يوم
أولاد بوعكاز	08	1200 ف	15 يوم
أولاد عابد	24	3600 ف	15 يوم
أولاد داوود	الجميع	80000 ف	15
أولاد لخضر	26	2875	/
العرب الشراقة	05	250	10 يوم
أهل سيدي عقبة	07	1400	10 يوم
أولاد هلال غسيرة	21	2200	10 يوم
أهل الدسة	11	1150	08 يوم
أولاد عبد الرحمان	70	2250	08 يوم
العشايش	25	1650	08 يوم
أولاد الحاج	11	1300	08 يوم
أولاد بليل	14	2100	08 يوم
أولاد ايوب	78	3725	08 يوم
بني بوسليمان	300	52450	15 يوم
أولاد يحيى	52	6350	30 يوم
أهل مشونش	54	9700	15 يوم
أولاد رحيمة	16	2400	08 يوم
أولاد عبد السلام	15 رجل	1975	08 يوم
أولاد الحاج علي	10 رجل	1125	08 يوم
أولاد بلقاسم	14 رجل	1750	08 يوم
بن ملكه	71 رجل	6575	08 يوم
أولاد منصور	27	4050	08 يوم

الكتاب : عميراوي احميدة / بحوث تاريخية ط2 دار المهدي للنشر والتوزيع عين مليلة 2006/ص.ص.182- 189 .

الملحق رقم 2

شجرة تسلسل السند للشيخ محي الدين عبد القادر

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

الإمام علي كرم الله وجهه

الإمام حسين بن علي

الإمام علي زين العابدين

الإمام محمد الباقر

الإمام جعفر الصادق

الإمام علي الرضى

معروف الكرخي والسري السقطي

أبو القاسم الجنيد

أبو بكر الشبلي

أبو الفرح عبد عبد الوهاب التميمي

أبو الفرح يوسف الطرطوسي

أبو الحسن على بن يوسف

أبو سعيد المبارك المحرمي

عبد القادر الجيلاني

المصدر حياة محمد الفقيه / الغوث الأعظم .محي الدين عبد القادر، ص 12

الملحق رقم 07

شيوخ زاوية علي بن عمر – العثمانية – بطولقة

اسم الشيخ	التاريخ	ملاحظات
علي بن عمر	1752 – 1842	مؤسسة الزاوية سنة 1780
مصطفى بن عزوز	1803 – 1866	ترأسها لمدة سنة أشهر
علي بن عثمان	1816 – 1898	
عمر بن علي بن عثمان	1856 – 1920	
الحاج بن علي بن عثمان	توفي سنة 1948	
عبد الرحمان بن الحاج بن عثمان	1906 – 1966	
عبد القادر بن الحاج بن عثمان	1929 الى يومنا هذا	

من كتاب : أضواء على طريقة الخلوتية لعبد القادر مفتاح

الملحق رقم 17

ملحق خاص بالعلماء الذين عملوا بزاويا الاوراس

اسم الشيخ	مكان تخرجه	الزاوية التي درس فيها
الشيخ الهاشمي بن علي دردور	الأزهر الشريف	الدردورية
الشيخ الطيب العقبي	المدينة المنورة	صالحي (اريس)
الشيخ المولود الزريبي	الأزهر الشريف	سيدي محمد بن عزة
الشيخ الجموعي بن مازوز	الأزهر الشريف	سيدي صادق بلحاج
الشيخ صالحي المكي	جامع الزيتونة	صالحي اريس
الشيخ بلقاسم ميموني	جامع الزيتونة	مسجد غيفوني

الشيخ احمد الخالدي	جامع القرويين	مسجد النواد ر
الشيخ عيسى بجاوي	جامع الزيتونة	مسجد النواد ر
الشيخ العربي خظراوي	جامع الزيتونة	مسجد النواد ر
الشيخ نعيم النعيمي	الزاوية المختارية	مسجد النواد ر
الشيخ الأخضر الخنقي	توزر بالجريد التونسي	مسجد النواد ر
الشيخ محمود الواعي	جامع الزيتونة	اوراسي الحاج

المصدر : صالح مؤيد - الطرق الصوفية بالجزائر ص .ص 426 – 427

الملحق رقم 08
جدول لأهم مقاومات الاوراس (1837 – 1921)

تاريخ المقاومة	قائد المقاومة	منطقة المقاومة	ملاحظات
37 ـ 1848	احمد باي	الاوراس	استسلم واجبر على الإقامة الجبرية بالجزائر حتى توفي سنة 1850
38 ـ 1847	خلفاء الامير عبد القادر بالاوراس -فرحات بن سعيد -الحسن بن غزوز -محمد الصغير بن احمد بلحاج	- الزيبان - الاوراس	الحرب ضد احمد باي و فرنسا - انهزم مع احمد باي ، وفر إلى واد سوف ثم اعتقله الامير - اعتقل ونفي الى جزيرة سانت مارغريت توفي سنة 1847 -فر الى مدينة تورز بالجنوب التونسي مات سنة 1856
جانفي 1837	الشيخ المختار الجيلالي شيخ زاوية اولاد جلال مع بومعزة	اولاد جلال	استشهد 90 مقاوم - فرنسا 30 قتيلا منهم الرائد بيلان.
ماي – نوفمبر 1849	الشيخ بوزيان	الزعاطشة	قطع رأسه ورأس ابنه وقائد جيشه موسى -إحراق الواحة

نوفمبر – جانفي 1858 – 1859	الصادق بلحاج	من سيدي عقبة إلى مدينة منعة " جبل احمر خدو "	- احراق الزاوية - سجن بالحزش حتى توفي سنة 1862
مارس 1871	المقراني و الحداد بعض اعراش الاوراس خاصة أولاد سلطان	- القبائل - شرق الجزائر - باتنة و بسكرة في الاوراس	قادتها الطريقة الرحمانية
افريل 1876	- محمد بن يحيى - احمد بن عياش	واحة العمري عرش لبوازيد	مقتل زعيم الثورة محمد بن يحيى مع 50 رجل وجرح احمد بن عياش الذي نفي الى كورسيكا
ماي 1879	محمد امزيان	اشمول – شكوت وادي الطاقة ...	نفي قائد الثورة إلى كرورسيكا
1916- 1921	- عمر بن مدة - محمد بن نوى - مسعود بن زلماط - بومصران	- كامل الاوراس خاصة بلزمة . عين التونة . قلب الاوراس	انتهت بالقتل و النفي والتشريد

الملحق رقم 13
قائمة بأسماء الأهالي من أولاد عبدي ، الذين قدم في شانهم طلب أبعادهم إلى كورسيكا

الجزائــــــــر
قسمة قسنطينة
شعبة باتنـــــة
دائرة باتنة العسكرية

الاسم	القرية	مكان الأبعاد	ملاحظات
سي الهاشمي بن سي علي بن دردور	مدرومة	كورسيكا	شيخ زاوية دينية ، تابعة للطريقة السنوسية ،وقد كون لنفسه إتباعا كثيرين ،يحرضهم يوميا على عصيان سلطتنا .فهو يشكل خطرا على الأمن العام، يوصي بنفيه إلى ابعد مكان ممكن عن بلده الأصلي .
عمر بن يوسف	حيدوسة	كورسيكا	مقدم المرابط سي الهاشمي . شخص له نفوذ في حيدوسة ، متفان في خدمة شيخه .يوصي بنفيه الى كورسيكا .
محمد امزيان	نارة	كورسيكا	مقدم المرابط سي الهاشمي بحالة حوة .وقد كسب أتباعا كثيرين في هذه القرية للحركة التي يمثلها .يوصي بنفيه إلى كورسيكا
بوبكر بن خالد	تلات	كورسيكا	مقدم سي الهاشمي ، ليس له إرادة أخرى غير إرادة سيده ، وهو مرتبط كليا بحركته .ونفوذه كبير بقرية تلات

باتنة في 7-1-1880
اللواء قائد الشعبة العسكرية

المصدر:عبد الحميد زوزو/ نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر، ص 186

الملحق رقم 14
كشف بمبالغ الغرامة الحربية التي ستدفعها الاعراش التي شاركت في انتفاضة الاوراس سنة 1879

قبائل الاعراش والدواوير	المبلغ الاساسي للضرائب	الغرامة الحربية	ملاحظات
دائـــرة باتنـــة العسكـــــرية			
لحالحة	5.274 45	52.744.50	10 مرات الضريبة
اولاد موسى بن عبد الله	1.645	11.515	7 مرات الضريبة
بن بوسليمان	1.59970	11.19790	نفس الشيء
اولاد عيشة	2.23610	15.65270	نفس الشيء
الزحاحفة	8.35440	58.48080	نفس الشيء
اولاد رابح	3.22775	12.911	4 مرات الضريبة
اولاد بلاح	3.52540	14.10160	نفس الشيء
تاخريبت	3.59925	14.397	نفس الشيء
الحدادة	4.14130	16.56520	نفس الشيء
	المجموع:207.56570ف		

(... يتبـــع)

دائـــرة بسكـرة العسكريـــة

اولاد قاسم	880	17.600	20 مرة الضريبة
اهل جار الله	465	9300	/
تكوت	720	14400	/
المرادسة	775	7750	10 مرات

اولاد سليمان بوحمزة	1280	12800	/
اولاد عبد الرحمان	1515	10605	/
اولاد سالم بن عباس	970	6790	/
اولاد سعدية	340	2380	/
بني ملكان	2400	16800	/
اسرحنة واولاد سيدي محمد	3300	23100	/
الشرفة	2160	8640	4 مرات
السعادنة	1425	2850	مرتان
الزكارة	500	1000	/
اولاد عبد الرزاق	740	1480	/
	المجموع : 135495ف		

المصدر : عبد الحميد زوزو/ نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر، ص ص 186،190

الملحق رقم 09

رسالة ديفو إلى كافة أعراش أوراس عام 1858

(من المعظم الأرفع سعادة الجنرال ديزفو الحاكم الكبير بباتنة ونواحيها الى كافة اعراش اوراس خصوصا اهل احمر خده وبني بوسليمان وأهل واد غسيرة واولاد داوود السلام عليكم يليه اعلامكم ان الدولة الفرنسوية العالية قد عاملتكم بالعدل والإحسان في جميع مشاربكم ...وصرنا معونة في حفظ الزوي والمدارس لقراة العلوم العربية كما ان عساكرنا لم يتعدى احدهم الحدود مثلما كان في زمان الترك بل كل من يملك منكم شيء يعلم ان رزقه له ولم يقدر واحد يأخذه له ولما كان ذلك ولأي شيء اهملتم ما ذكر من دينكم وارزاقكم واتبعتم ماكذب عليكم سي الصادق او ماعلمتم ا نسي الصادق ملك قلبه الطمع وفي زعمه أنه خيار المسلمين قد فعل فعلا مكروها في دينكم... أيحل لي سي الصادق أن يجعل نفسه في مرتبة الرب سبحانه بل اتباعا لشريعتكم وفي دينكم وباتفاق أئمة مذهبكم من صدرت منه هذه الأبواب مثل سي صادق يقتل شرعا. وأما مآأحاط به من قطاع الطرق الذين جعل منهم كبراء حزبه مثل ابن البخاري وابن كريبع....أنتم عالمون بما يأتي من العساكر كل يوم الى محلاتنا فاعلموا ان الدولة الفرنسوية اظهرت لكل الناس ان لم يقدر احد يعاندها وكل الأعراش الكاينين ببر الجزاير حتى لتقرت وسوف تحققو سطوة سلاحنا والحال انكم مفتكرون ماحل بالزعاطشة... ولتعلموا الأن ان الدولة الفرنسوية تعفو على كل من ندم

وولى عن فعله القبيح... فمن لم تفد فيه نصيحتنا منكم التي ينصح بها الأب ابنه ومن لم يقترعو فيه ويتبع خبرا به عند اقامته مع المنافقين...)

المصدر : عميراوي حميدة/ بحوث تاريخية، ص 172

الملحق رقم 10

رسالة ديفو إلى الصادق بلحاج يوم 13 اكتوبر عام 1858

(إلى الخير المبجل الأشمل السيد الصادق بن الحاج السلام عليكم ورحمة الله تعالى يليه كيف أنتم وكيف أحوالكم هذا انه بلغنا كتابكم وبعد ماطلعنا عليه علمنا ان قبلت نصيحة ابننا سي احمد باي بن شنوف وابننا سي الساعيد القاضي ونحن مريدون عافية الوطن الذي تحت حكمنا. وارباح من وجد فيه كما كانت وصارت حمايتنا على أصحاب الخير والحال انك عالم ا نسي علي بن عمر مولى طولقة وسي محمد بن بلقاسم مولى القرقور وسي محمد العيد مولى تماسين كلهم أحبابا وموتامنين بنا والان نرجوا أن يكون صفوك تماما مع الدولة الفرنسوية وتجد اذاك حماية الدولة المذكورة لأن هذه الدولة تأمر من هو تحت حكما باتباع العدل وتحريض كل واحد على القيام بدينه وجعل العافية في الطرق ولان لنا سبع سنين متحكمون على باتنة ولا يخفا عليك إنا مرادنا الا العافية التي يكثر بها رزق من من الله عليه به والسلام من كتب عن اذنه سعادة المنظم الأسعد الجنرال ديزفو الحاكم الكبير بباتنة ونواحيها)

سنة 1275

المصدر : عميراوي حميدة / بحوث تاريخية، ص 178

قائمة المراجع

قائمـــة المراجـــع

1. الأرشيـــف

- ✓ أرشيف فرنسا :

- Rapport du 2eme Semestre 16 Aout 1855 F80.517 N° 317(Ordres Religieux KHOUAN) Constantine

- ✓ زاوية منعة

- مخطوط رسالة النصرة النووية، تأليف العلامة مصطفى بن إسماعيل فيها نسب أسرة آل بلعباس 1883

- ✓ زاوية الهامل

- مخطوط الدرة النحوية في شرح ألفاظ الجرومية لمحمد بن محمد بن يعلي

- ✓ مكتبة الحامة مخطوط رقم :945 لعلي بن عيسى العفوني حول مناقب الشيخ الأزهري

2. المراجـــع

- ✓ العربية

1. إيفون تيران / المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة – المدارس والمؤسسات الطبية والدين 1830 – 1880 ترجمة محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر والتوزيع 2005.
2. إدوارد دونوفو/ الإخوان دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عن مسلمي الجزائر، ترجمة كمال فيلالي دارالهدى – عين مليلة – 2003.
3. ألفريد بيل / الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ترجمة عبد الرحمان البدوي دار الغرب الإسلامي بيروت 1981.
4. أحمد الخطيب / جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985.
5. أبو القاسم محمد الحفناوي:تعريف الخلف برجال السلف ، ط1،مؤسسة الرسالة بيروت،لبنان 1982.
6. ابن القيم الجوزية:مدارج السالكين ..ج 2 تحقيق محمد حامد الفقي، دار الفكرالعربي،مصر ب.ت.ط،
7. ابن مريم:البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان،ديوان المطبوعات الجامعية ،ب.ت.ط.

8. إبراهيم مياسي / لمحات من جهاد الشعب الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،2007.

9. إدريس خضير/ البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830-1962 ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع 2006.

10. أحمد مريوش / الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ط1، دار هومة ، الجزائر ، 2007.

11. أحمد الجوهري / كرمات الأولياء في الحياة وبعد الإنتقال، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2003.

12. ابو الفرح عبد الرحمان (ابن الجوزي) / تبليس ابليس، دار التقوى ، القاهرة، ب – ت –ط .

13. إسماعيل ابن السيد محمد سعيد / الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية دار الهدى – عين مليلة – الجزائر 2004.

14. بوعزيز يحي / ثورات القرنين 19 و 20 الطبعة الأولى، دار البعث، الجزائر،1980.

15. (ـــ، ـــ) / موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر، دار الهدي – عين مليلة – ،الجزائر، 2004.

16. بسام العسيلي / محمد المقراني وثورة 1871 ط2، دار النقاش بيروت ب-ت – ط.

17. بوصفصاف عبد الكريم/رواد النهضة والتجد في الجزائر دارالهدى،عين مليلة

18. البشير فلاتي / دراسات في مسار وواقع الدعوة الإسلامية في الجزائر منشورت اقرأ ، قسنطينة ، 2007.

19. بلهادف بن سالم / الزاوية التيجانية قمار، تأصيل وحداثة، مطبعة طاسيلي وادي سوف، ب-ت –ط.

20. التليلي العجيلي / الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي في البلاد التونسية 1881 - 1939، منشورات كلية الأدب بمنوبة ، تونس،1892.

21. الجيلالي عبد الرحمان / تاريخ الجزائر العام ج4 ، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994.

22. الجيلالي صاري ومحمود قداش / الجزائر في تاريخ المقاومة السياسية 1900-1954 ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1987.

23. حسن العكريمي / حقيقة التصوف والطريقة في الإسلام، دار الهدي – عين مليلة – ،الجزائر، 2008.

24. حسن الشافعي واليزيد العجمي / التصوف الإسلامي ط1، دار السلام للطباعة والنشر ، مصر،2007.

25. حياة محمد الفقيه / الغوث الأعظم محي الدين عبد القادر الجيلاني ب-د-ط، ب-ت – ط

26. حسن عبد الرحمان سلوادي / عبد الحميد ابن باديس مفسر المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1988.

27. حسن علي مصطفى حمدان /أضواء عن الغزو الثقافي للعالم الإسلامي، شركة الشهاب ، الجزائر ،1999.

28. خديجة بقطاش / الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830 – 1871 حسين داي ، الجزائر، 1992.

29. خنوق علي:السلطة في الارياف الشمالية لبايليك الشرق الجزائري ،نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، الجزائر،مطبعة العناصر ،1999.

30. زوزو عبد الحميد / الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية 1837 – 1939، ترجمة مسعود حاج مسعود ج1،2 ،الجزائر، دار هومة 2005.

31. (ـــــ، ـــــ) / ثورة 1879، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986

32. (ـــــ، ـــــ) / نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

33. طاهر بو نابي / التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7ه الموافق لـ: 12و13 م، دار الهدى –عين مليلة- الجزائر 2004.

34. الطبري / تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة 193.

35. سعد الله أبو القاسم / تايخ الجزائر الثقافي من القرن 10 الى 16 ه، ج1،2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

36. (ـــــ، ـــــ) / الحركة الوطنية الجزائرية 1860 – 1900, ج1،ط1 دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992.

37. (ـــــ، ـــــ) / الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930, ج2،ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

38. (ـــــ، ـــــ) / محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال) ط3، الشرطة الوطنية للنشر والتوزيع 1982.

39. سعيدوني نصر الدين / دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1980.

40. سليمان الصيد / تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية، دار هومة، الجزائر، 1998.

41. صلاح مؤيد العقبي / الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق ، بيروت، 2002.

42. صالح فركوس / تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم للنشر والتوزيع، الحجار، عنابة 2005.

43. (ـــــ، ـــــ) / إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844 -1871 منشورات جامعة عنابة 2007.

44. (ـــــ، ـــــ) / نحو تأصيل إسلامي في تاريخ الجزائر – أصالة وتغريب مشروع فرنسا الصليبية والمجابهة الإسلامية –دار الكوثر للنشر، الجزائر، ب- ت – ط

45. صالح مطبقاتي / عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي ط1، مؤسسة عالم الأفكار، الجزائر،2005.

46. عبد القادر عيسى / حقائق عن التصوف منشورات دار العرفان ،حلب، سوريا 2005.

47. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي / تاريخ الفكر الإسلامي ط1،دار الفكر العربي ، القاهرة، ب –ت –ط.

48. عبد الرحمان ابن خلدون / المقدمة دار بنو الهيثم ، القاهرة، 2005.

49. عادل نويهض:معجم أعلام الجزائر،مكتب الطباعة والنشر،بيروت1971.

50. عميراوي حميدة / من الملتقيات التاريخية الجزائرية، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر - عين مليلة- 2007.

51. (ـــــ، ـــــ) / من تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى – عين مليلة -2004.

52. (ـــــ، ـــــ) / بحوث تاريخية ، دار للنشروالتوزيع - عين مليلة- 2006.

53. عبد الباقي مفتاح / أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، دار الهدى – عين مليلة- الجزائر 2008.

54. عثمان مسعود / أوراس الكرامة أمجاد وأنجاد، دار الهدى – عين مليلة – 2008.

55. عمار النجار / الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، دار المعارف ،القاهر، مصر 1983.

56. عبد الحميد زردوم / تاريخ بسكرة في عهد الأتراك 1660 -1844 ،مطبعة المنار، بسكرة، 2002.

57. (ـــــ، ـــــ) / البساكرة يتذكرون فرنسا 1844 -1962 ، مطبعة المنار، بسكرة، 2005.

58. عبد القادر جغلول /الإستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة سليم قسطونة،ط1 دار الحداثة ،بيروت، 1984.

59. علي مراد / الحركة الإسلامية الإصلاحية في الجزائر1925-1940 ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر،2007.

60. عبد الحميد صيد / مجموع محاضرات ومقالات وفتاوي الشيخ عبد القادر عثماني، ط1، مطبعة قرفي ، باتنة،2005.

61. عمار طالبي / ابن باديس مفسرا حياته وآثاره، ج3، دار اليقظة العربية ، دمشق ،1968.

62. علي الرضا الحسيني / زاوية بن عمر طولقة، الدار الحسينية للكتاب 2002.

63. علي خنوق / السلطة في الأرياف الشمالية لبيايلك الشرق الجزائري،نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي،مطبعة العناصر، الجزائر 1999.

64. عبد القادر الجيلاني / السفينة القادرية مكتبة المنار، تونس، ب ـ ت ـ ط.

65. العنتري محمد صالح / فريدة مونسة في حال دخول الترك قسنطينة واستيلائهم على أوطانها (تاريخ قسنطينة) مراجعة وتقديم يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية ب ـت ـط

66. كمال دحومان الحسيني / أشراف الجزائر

67. المختار الطاهر فيلالي / نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الفن للطباعة، باتنة، 1976.

68. (ـــــ، ـــــ) / افتتاحيات ومحاضرات نشرت في مجلة التراث شركة باتنيتا، باتنة، ب ـت ـ ط.

69. مبارك بنو محمد الميلي / تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج2، تقديم وتصحيح محمد الميلي، مكتبة النهضة الجزائرية 2004.

70. محمد الأخضر ضيف الله / محاضرات في الحضارة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر,1980.

71. محمد الهادي العامري / تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول ، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1974.

72. محمد الصالح آيت علجت / صحف التصوف الجزائري من 1920 - 1955

73. المدني أحمد توفيق / كتاب الجزائر ،ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984.

74. محمد ناصر:الصحف الجزائرية 1847-1939 ط1 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر1980

75. مكتب الدراسات لدار الهدى/ متصوفة الزهاد رابعة العدوية، دارالهدى –عين مليلة- الجزائر 1997.

76. يسلي مقران / الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920-1945 ، دار الأمل للطباعة والنشر، 2006.

✓ الأجنبية

1- AGERON charles robert/ les algériens musulmans et la France 1871-1919, thèse T.I.P.U.F 1968

2- CHARLE André julien / histoire de l'Algérie contemporaine paris 1964.

3- OCTAVE DUPONT ET EXAVIER COPOLANIE / les confréries religieuses musulmans. Alger a jordan1897.

4- LUIS RINN / marabouts et khowans / étude sur l'islam en Algérie. Alger .Adolphe jordan1884.

3.الملتقيات والمحاضرات

1- أحمد طالب الإبراهيمي :" مقاومة الأوراس في عهد أحمد باي " الملتقى الأول حول مقاومة الأوراس في عهد أحمد باي، الجمعية الثقافية، منطقة أكباش بلدية مزيرعة ولاية بسكرة أكتوبر 2006.

2-الحبيب بن عودة : " دور الطرق الصوفية أثناء ثورة التحرير" الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا ابان المقاومة والثورة التحريرية، وزارة المجاهدين، الجزائر2007.

3- عبد القادر بوعرفة : " جهاد شعبي ام مقاومة" الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا ابان المقاومة والثورة التحريرية، وزارة المجاهدين، الجزائر2007.

4-عبد القادر خليفي : " دور الطرق الصوفية في المحافظة على الهوية الوطنية" الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا ابان المقاومة والثورة التحريرية، وزارة المجاهدين، الجزائر2007.

5-علي عزوزي: "زاوية آل دردور بالأوراس" الملتقى الأول حول الأمير عبد القادر وأعلام من الأوراس، مؤسسة الأمير عبد القادر، باتنة 2003.

6-محمد الطاهر عدواني : " الزاوية تقود المقاومة " الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا ابان المقاومة والثورة التحريرية، وزارة المجاهدين، الجزائر2007.

7- محمد العربي : " مؤسسة الزاوية" الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، وزارة المجاهدين، الجزائر2007.

8- زاوية قمار التيجانية الملتقى الدولي الثاني للطريقة التيجانية الخطاب الصوفي التيجاني زمن العولمة ,الوادي 2008.

9-عمار يزلي : " مظاهر الصراع السياسي والثقافي تحت الاحتلال" محاضرة ألقيت بجامعة وهران.

10-عبد القادر عثماني:" الزوايا والتعليم الديني" محاضرة ألقيت بمدينة بسكرة في 24-10-2002.

4.الرسائل الجامعية

1- محمد شرقي : الطريقة الرحمانية ودورها في المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي 1830-1881، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة 1996-1997.

2- ماجدة القاسمي الحسني : الطريقة الرحمانية، أركانها وأصولها - دراسة تحليلية نقدية – رسالة الماجستير، جامعة الجزائر 2000.

3- شهرزاد شلبي : ثورة واحة العمري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن 19، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث، جامعة باتنة 2008-2009.

5-المقـــالات

✓ العربية

1- بوعزيز يحي :" جهود الأمير عبد القادر وخلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية" الأصالة ع 48 أوت 1977.

2- (ـــــ، ــــ) : " دور الإخوان الرحمانيين في ثورة 1871 بمنطقة الاوراس وأثر المقراني والحداد فيها " الثقافة ع 38 أفريل 1977.

3- جمعية الزاوية القادرية بن عباس : " القائد المجاهد أحمد باي" مجلة المريد منعة جوان 2006.

4- جمعية زاوية آل عبد الصمد : " معلومات عن زاوية أل عبد الصمد " نشرة الزاوية عيون العصافر.

5- جمعية الزاوية التيجانية قمار " الزاوية التيجانية بقمار الماضي والحاضر"" مطبعة كوينين، الوادي 2008.

6- ديوب محمد : " دور حركة صوفية المغرب الإسلامي في الحياة الثقافية والفكرية وتفاعلاتها في المشرق"، حولية المؤرخ ع2، 2000.

7- رابح تركي : " من أعلام الجهاد في الجزائر الأمير عبد القادر" الثقافة ع 88 ، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، أغسطس 1980.

8- محمد زرمان : " محمد مكي بن عزوز نضاله السياسي ونشاطه العلمي" التراث ع 11، مطبعة قرفي، باتنة، أكتوبر 2003.

9- محمد موهوب بن احمد بن الحسين : " قصة خنقة سيدي ناجي عبر أربعة قرون من تاريخها " الناصرية لخنقة سيدي ناجي، دار الهدى –عين مليلة- 2002.

10- محمد الطاهر عزوي : " مقاومة الأوراس خلال الإحتلال الفرنسي 1837-1879" التراث ع 1، دار الشهاب باتنة، 1986.

11- (ـــ، ـــ) : " ثورة الأوراس 1879" التراث دارالشهاب، باتنة جويلية 1986.

12- محمد تغليسية :" ثورات محلية – ثورة بلزمة وعين التوتة -" صدى الأوراس المؤسسة الولائية لأشغال الطباعة تيمقاد ب-ت –ط.

13- نور الدين بليل : " الطيب العقبي" مجلة الراصد ع8، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية. الجزائر.

14- عبد الرحمان الجيلالي :" شخصيات لامعة من الأوراس" الأصالة ع60-61.

15- عبد الحميد حاجيات: " سيدي محمد الهواري شخصيته وتصوفه" الثقافة ع 88، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية أغسطس 1985.

16- عبد القادر عثماني : " الشيخ سيدي محمد الأزهري" مجلة منبر الإمام ابن مالك ع4، دار الهدى – عين مليلة- الجزائر 2008.

17- عبد القادر زبايدية : " وثيقتان عن ثورة الأوراس لسنتي 59- 1879" الأصالة ع60-61 أوت،سبتمبر 1978.

18- علي أجقو :" الكاردينال لافيجري ودوره في محاولة تنصير الجزائريين" مجلة الطالب ع4، جامعة قسنطينة 1983.

19- عبد الماليك بن عباس : " أسماء المشايخ الذين درسوا في زاوية بن عباس 1760-2004" مجلة المريد الزاوية القاديرية بمنعة 2004.

20- عبد الكريم عوني : " مخطوطات احمد بوزيد مول القرقور" مجلة آفاق الثقافة والتراث ع27-28 دائرة البحث العلمي ، دبي يناير 2000.

21- العيد مسعود : " حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني" سيرتا ع 3، مطبعة البعث قسنطينة 1980.

22- شارل روبير اجيرون : " الإضطرابات الثورية في الجنوب القسنطيني 1916-1917" الأصالة ع 62-63 ، باتنة 1978.

✓ الأجنبية

1- FERAUD (charles) : « notes historique sur la province de Constantine, revue africaine N° 176 Alger 1986.

Gouvernement général de l’Algérie : service de l’action -2 administrative et économique bulletin de liaison et de documentation. février – mars 1956.

6-الصحف

1- **جريدة الشروق، الجزائر ع 1849-2287**

2- **جريدة الخبر، الجزائر ع 431-3020-3928**

3- **جريدة الأحرار، الجزائر ع 711-721-1039**

4- **جريدة الشعب ، الجزائر ع 11798**

5- **ملحق الشروق الثقافي، الجزائر ع 4 سنة 1993**

6- **جريدة الأخبار، الجزائر ع 305**

7- **جريدة الشهاب، ج 11، م14، محرم 1357 مارس 1938**

7-المنشورات

1-جمعية أول نوفمبر: تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الإجتماعية والإدارية أثناء فترة الإحتلال الفرنسي 1837-1954، دار الشهاب، باتنة 1980.

2-(ـــــ، ـــــ) : ثورة الأوراس 1916، باتنة 1996

8- **المراجع الإلكترونية**

http// www. al fadjr.com.phpçcode8539. -1

http./el-hamel.aspace.com/soufisme/rahmanya.htm. -2

http://www.alarabiya.net/articles/2006/11/29/29482.html -3

.http://www.saaid.net/feraq/mathahb/22.htm -4

http : www.m.moud jahidine.dz/histoire/dossiers/D82.HTM -5

http://mauneem.maktoobblog.com/146794 -6

et file=prent et sidwww.chihab.net/modules.phpsname=newsgttp: // -7

- file=print - sid 1555www.chihab.net/modules.ph name=newsgttp: // -8

http/mannem-maktoobblog.com/146764 -9

http //.almahdy.net.vp/ show thread.php.?t=5771p:05 -10

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات